



رابطة الأدب الإسلامي العالمية

مكتب البلاد العربية

١٨

القضية الفلسطينية

في الشعر الإسلامي المعاصر

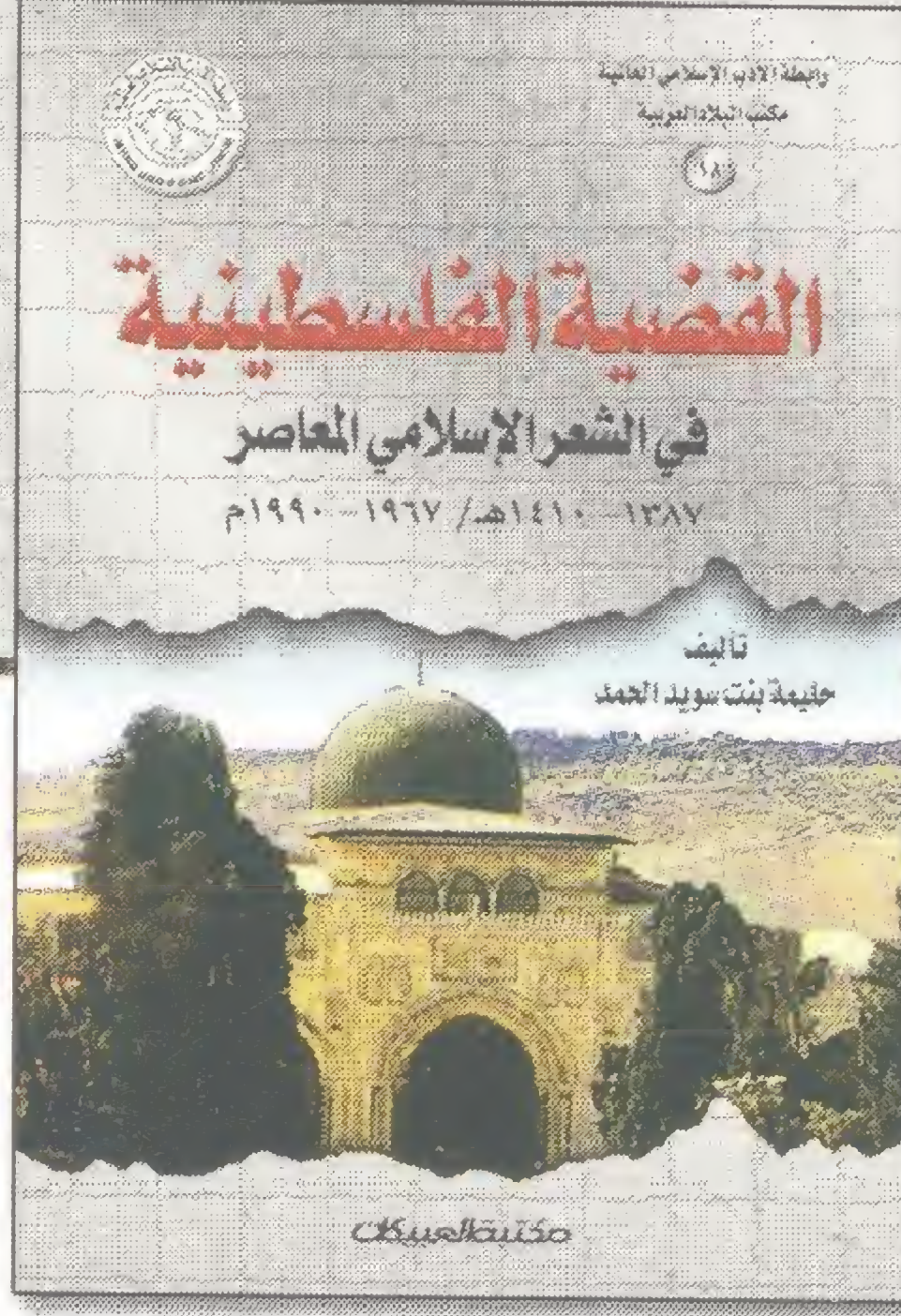
١٣٨٧ - ١٤١٠ هـ / ١٩٦٧ - ١٩٩٠ م

تأليف

حليمة بنت سويد الحمد



مكتبة العبيكان



المؤلفة في سطور

- الاسم: حليلة بنت سويد الحمد
- مكان وتاريخ الولادة:
- مدينة الخبر - المملكة العربية السعودية ١٣٨٨هـ.
- المؤهلات العلمية:
- بكالوريوس لغة عربية وآدابها من كلية الآداب في الدمام سنة ١٤١٠هـ.
- ماجستير في كلية الآداب بالدمام سنة ١٤١٧هـ.
- عملت:
- معيدة في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في الدمام.
- حصلت على عضوية رابطة الأدب الإسلامي العالمية سنة ١٤١٣هـ.
- المؤلفات:
- القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر (رسالة ماجستير).
- توفيت إلى رحمة الله سنة ١٤١٧هـ.



القضية الفلسطينية
في الشعر الإسلامي المعاصر
١٣٨٧-١٤١٠هـ / ١٩٦٧-١٩٩٠م

تأليف
حليمة بنت سويد الحمد

القضية الفلسطينية
في الشعر الإسلامي المعاصر
١٣٨٧-١٤١٠هـ / ١٩٦٧-١٩٩٠م

تأليف
حليمة بنت سويد الحمد

٣ مكتبة العبيكان. ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، حليلة بنت سويد

القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر. - الرياض، ١٤٢٣هـ

٣٤٤ ص، ١٦,٥ X ٢٤ سم

ردمك: ٢-٢٤٥-٤٠-٩٩٦٠

١- الشعر الإسلامي. ٢- القضية الفلسطينية - شعر. أ. العنوان

١٤٢٣/٥٤٥٢

ديوي ٨١١,٩٠٦٢

ردمك: ٢-٢٤٥-٤٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٤٢٣/٥٤٥٢

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرمز: ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد كانت مأساة فلسطين معيناً لا ينضب وينبوعاً لا ينفد، يمد الأدباء والشعراء -ليس في فلسطين فقط بل في جميع الأقطار العربية- بأروع ما أبدعوا وأعذب ما غنوا.

فمأساة فلسطين جرح متجدد الألم في كيان الأمة الإسلامية، لكونها جزءاً من ديار الإسلام، ولأنها الأرض المقدسة المباركة، مهبط الرسالات، وملتقى النبوات على امتداد التاريخ.

وقد شغلت القضية الفلسطينية الشعراء واستقطبت اهتمامهم. وبخاصة بعد نكبة (١٩٤٨م) وما نجم عنها من تشريد وهجرة ومذابح دامية للشعب الفلسطيني المسلم، فانبرى الشعراء يصورون تلك الفاجعة وإحساسهم إزاءها.

وفي عام (١٩٦٧م) جاءت النكبة الثانية، فاستولى العدو الصهيوني على جملة أراضي فلسطين وعلى أجزاء أخرى من الأراضي العربية، فهزت هذه الكارثة مشاعر المسلمين هزة عنيفة؛ أيقظتهم من غفلتهم، وعمقت في نفوسهم الإحساس بخطورة المؤامرة التي تستهدف القضاء على الإسلام والمسلمين، وتساعد هذا الإحساس ونما مع الصحوة الإسلامية. فبرز صوت الشاعر المسلم الملتزم الواعي،

ليبرز الأصوات الأخرى ذات الاتجاهات البعيدة عن التصور الإسلامي الصحيح لحقيقة المعركة.

وقد أدى الشعر الإسلامي في هذه الفترة التي أعقبت نكبة (١٩٦٧م) دوره الفعال في إذكاء الهمم وإلهاب المشاعر، فالدواوين الشعرية التي بين أيدينا تتضمن قصائد كثيرة تصور عمق المأساة وأدوارها المتكاملة.

فمنذ تاريخ النكبة حتى يومنا الحاضر ظلت القضية الفلسطينية القضية الكبرى التي تشغل العالم الإسلامي، وتشغل المكان البارز في الصراع الدولي؛ نظراً لخطورتها؛ ولعدم استطاعة العالم أن يجد الحل المناسب لها. ولذلك كتب على الشعب الفلسطيني -خاصة- والشعوب الإسلامية -عامة- أن تحمل السلاح جهاداً في سبيل الله، ودفاعاً عن كرامة مضاعة وحرية مسلوقة وحقٍ منترع.

وفي عام (١٩٨٧م) كانت الانتفاضة، باكورة ثمار ذلك الشعر الإسلامي الذي بشر بها، ورسم لها المنهج الصحيح ووجه مسارها. كما أن هذه الانتفاضة غذت الأدب بمضامين جديدة تحيي عزة المسلم، وتبعث في نفسه الأمل بالنصر القريب. فلم يكن شعر الانتفاضة شعر شكوى أو تباكٍ، بل إنه شعر أمل مشرق متفائل بدنو فجر التحرير والعودة. وقد كانت الانتفاضة رمزاً لثورة الشعب الفلسطيني وصموده. كما كانت الحلقة الأكثر صلابة في سلسلة متصلة الحلقات من جهاد الشعب الفلسطيني؛ لأنها انطلقت -منذ البداية- على خط إسلامي واضح المعالم، وتميزت بعمومها أرض فلسطين، وشمولها قطاعات الشعب كافة.

ويقوم هذا البحث على دراسة: ((القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر، منذ عام النكبة الثانية (١٣٨٧هـ) (١٩٦٧م) إلى عام (١٤١٠هـ) -

(١٩٩٠م) وهي مدة من الزمن تتابعت فيها الأحداث وبرز خلالها كثير من المستجدات في القضية؛ مما جعل الشعر يتجه إلى الفاعلية والإيجابية دون التوقف عند مجرد الانفعال والتأثر).

ولذا كانت هذه المدة من تاريخ القضية مجالاً خصباً للدراسة الأدبية؛ لوفرة الإنتاج الشعري. فقد وقفت على كثير من شعر الجهاد في هذه المرحلة؛ وكان علي أن أختار بعض ما لدي، لأن الإحاطة بكل ما عثرت عليه مستحيلة. فرأيت أن أعمد إلى أجود ما أراه ممثلاً للفترة محل الدراسة؛ لأن مأساة فلسطين قد تركت ما يملأ عدة مجلدات.

وقد اخترت لهذه الدراسة المنهج التحليلي التطبيقي، الذي عماده النص الشعري، وقراءته البقراءة الفاحصة، التي يمكن من خلالها استكناه خصائص الأدب الإسلامي الفكرية والفنية، ومن ثم يكون التقويم النقدي على أسس قويمه ثابتة.

وقد استخدمت مصطلح ((الشعر الإسلامي)) وأعني به الشعر الصادر عن شعراء عرب مسلمين عقيدة وفكراً، وإن كان هذا المصطلح يتضمن الشعر الإسلامي بلغات أخرى، ولكن ما قصده هو الشعر العربي فقط؛ فهو مجال التخصص، ولندرة المترجمات الشعرية من آداب الشعوب الإسلامية.

وتجدر الإشارة إلى أنني اكتفيت في هذه الدراسة بتناول النصوص الشعرية العمودية، دون الشعر الحر، وليس ذلك رفضاً لهذا القالب الفني الجديد، ولا جموداً في مواجهة الحياة المتغيرة، وإنما إثارة للأصالة، وتوحيداً لأطر الدراسة، ورغبة في الإيجاز؛ ولأن هذا الشعر الحر لا يزال في حاجة إلى استخلاص قانون عروضي يضبطه ويحدده.

كما تجدر الإشارة إلى وجود بعض الدراسات التي تناولت القضية في الشعر الإسلامي المعاصر وهي:

١- الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامي المعاصر في قضية فلسطين، للأستاذ محمد منير الجنباز، وقد استقصى الباحث -من وجهة إعلامية- شعر القضية على مدى ستين عاماً.

٢- الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، للأستاذ مأمون جرار، وهو بحث موجز اقتصر على أربعة شعراء إسلاميين فلسطينيين، وشعرهم في القضية.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز إسلامية القضية من خلال تناول الشعر الإسلامي لها، والوقوف على ما يملكه الأدب الإسلامي من إمكانات عظيمة في التأثير والتوجيه؛ مما يحفز على تأليفها وتحليلها؛ لإدراك سعة عوالمه وشمول نظراته وتسخير الكلمة لخدمة قضايا الإسلام.

كما أن هذا البحث يتغيا إنصاف الشعراء الإسلاميين المعاصرين الذين لم ينالوا حقهم من اهتمام الدراسات النقدية، مع ارتفاع مستوى إنتاجهم الفني، فيرمي هذا البحث إلى دراسة هؤلاء الشعراء ومدى ما في شعرهم من تصوير للواقع وتوجيه للأحداث من خلال المنهج التحليلي الذي يُعد محور الدراسات النقدية والأدبية.

وتقع هذه الدراسة في خمسة فصول:

الفصل الأول: لمحة تاريخية، ويضم مبحثين:

المبحث الأول: الأرض المباركة في التاريخ الإسلامي:

أ- موقف الرسول ﷺ من اليهود: وتحدثت فيه عن عداء اليهود للإسلام منذ فجر الدعوة، وعن غدرهم ونقضهم لعهودهم مع المسلمين غير مرة.

ب- الإسلام والأرض المباركة: وفيه تحدثت عن مكانة فلسطين في الأديان السماوية، ومترلتها المتميزة في عقيدة المسلم وتاريخ الإسلام.

ج- فتح فلسطين والمعارك الإسلامية: وتتبع في -تركيز وإيجاز- معارك المسلمين في بلاد الشام -ومن ضمنها فلسطين- من لدن عهد الرسول الكريم وحتى عهد الدولة الأيوبية، حيث تم الفتح العظيم على يد صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين المجيدة.

د- فلسطين في العهد المملوكي والعثماني: وفيه بينت كيف حافظ المماليك على فلسطين وردوا عنها هجمات الفرنج والتتار، وكانت معركة عين جالوت الحاسمة التي انتصر فيها المماليك على التتار. وثبتت بالحديث عن فلسطين في العهد العثماني، والمؤامرات الصهيونية التي انتهت بتقسيم البلاد العربية -ومن ضمنها فلسطين- بين روسيا وفرنسا وإنجلترا، وكانت فلسطين من نصيب الأخيرة.

المبحث الثاني: الأرض المباركة في التاريخ الحديث:

أ- أحداث ما قبل عام (١٩٦٧م)، (نكبة عام ١٩٤٨ وجزورها التاريخية): وتناولت فيه تحقيق الصهيونية هدفها الأول في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين؛ بعد تجزؤ وحدة الدولة العثمانية، واشتعال الثورات في أنحاء فلسطين

كلها، وأهمها: ثورة الشيخ عز الدين القسام، وثورة الشيخ عبد القادر الحسيني، ثم دخول الجيوش العربية أرض فلسطين، وكانت النكبة والهزيمة عام (١٩٤٨م)، ومن نتائجها: إعلان قيام الدولة الباغية، ثم تناولت حرب عام (١٩٥٦م)، ونتائجها، ثم النكبة الكبرى في هزيمة (١٩٦٧م) التي كانت من نتائجها: احتلال إسرائيل جملة أراضي فلسطينية، وأجزاء أخرى من الأراضي العربية.

ب- أحداث ما بعد عام (١٩٦٧م) وأبرزها الانتفاضة: وتناولت فيه كارثة حريق المسجد الأقصى عام (١٩٦٩م) وتوسيع عملية الاستيطان اليهودي، وحرب عام (١٩٧٣م)، وتصاعد الأعمال الفدائية في فلسطين المحتلة، ثم تحدثت عن اجتياح لبنان عام (١٩٨٢م) وما أسفر عنه من نتائج، وأخيراً تناولت انتفاضة عام (١٩٨٧م) دوافعها ونتائجها، ودور حركة المقاومة الإسلامية في قيادتها.

الفصل الثاني: تفاعل الشعر الإسلامي مع الواقع الحي للمأساة: ويضم

خمسة مباحث:

المبحث الأول: نكبة عام (١٩٦٧م) أسبابها وآثارها: وتناولت في هذا المبحث وصف الشعراء لمآسي الهزيمة الكبرى وتسجيلهم لمظاهرها وأسبابها ومقدماتها ونتائجها، وتأكيدهم على ضرورة الوحدة الشاملة والاستعداد لاسترداد الوطن المغتصب.

المبحث الثاني: من معاناة الشعب الفلسطيني ومظاهر الإرهاب الصهيوني: وتناولت فيه النصوص الشعرية التي عبرت عن الآلام التي كابدها شعب فلسطين ومظاهر المعاناة التي يعيشونها تحت نير الاحتلال الغاشم.

المبحث الثالث: مأساة التروح ومشاعر الحنين والغربة: وبينت فيها معاناة النازحين وتعبير الشعراء عن الاغتراب والحنين إلى الوطن.

المبحث الرابع: إحراق اليهود المسجد الأقصى عام (١٩٦٩م) وردود الفعل العربية: وتحدثت فيه عن تصوير الشعراء لهذه الكارثة الجسيمة ومناشدتهم الدول العربية التحرك لإنقاذ المقدسات من رجس اليهود.

المبحث الخامس: اجتياح اليهود لبنان ومذبحة صبرا وشاتيلا: وفيه تناولت دوافع هذا الاجتياح، وتعبير الشعراء عن المذابح الدامية التي حدثت للفلسطينيين في المخيمات في لبنان.

الفصل الثالث: الشعر الإسلامي ومحاور الإبداع الشعري: ويضم ثلاثة

مباحث:

المبحث الأول: مكانة فلسطين وقداسة المسجد الأقصى: وألحت فيه بكيفية تناول الشعراء لمترلة الأرض المقدسة مبرزين هذه المكانة الجليلة، والدعوة إلى ضرورة استرجاعها.

المبحث الثاني: كشف طباع اليهود وعدائهم للإسلام: وتحدثت فيه عن إبراز الشعراء لصفات اليهود وعدائهم للسافر للمسلمين منذ فجر الدعوة.

المبحث الثالث: استنهاض همم أبناء الإسلام للجهاد لتحرير الأرض المقدسة: وقد وقفت فيه على الشعر المحرض على الصمود والثورة ضد العدو الغاشم والتحرر من قيد اليأس وخيبة الأمل الذي صنعته الهزيمة.

الفصل الرابع: الشعر الإسلامي واستلهام قيم الانتفاضة، ويضم ثلاثة

مباحث:

المبحث الأول: الابتهاج بالانتفاضة والأمل بالنصر والعودة: وفيه عبر الشعراء عن فرحهم وابتهاجهم بثورة أبطال الحجارة متفائلين بهذه البارقة من الأمل.

المبحث الثاني: رثاء الشهداء وتهوين الموت في سبيل العقيدة: وتحدثت فيه عن تأدية الشعراء واجبهم في الدعوة إلى الجهاد وتخليد مواقف البطولة والفداء والاستشهاد.

المبحث الثالث: الحل الإسلامي هو الطريق لإنقاذ فلسطين: وفيه أشرت إلى الطرح القوي للحل الجهادي في هذه الفترة بعدما استجد من أحداث واكبت الانتفاضة.

الفصل الخامس: التجربة الإبداعية في ميزان النقد الفني: ويضم أربعة

مباحث:

المبحث الأول: التجربة الوجدانية والتعبير عنها: وفيها أشرت إلى مدى صدق الشعراء في التزامهم بالإسلام ديناً ومنهاجاً وشرعية وجهاداً، وكيف نفذت هذه المعاني إلى عواطفهم فأذكت فيها روح الصدق والحرارة الدافقة، كما نفذت إلى الأسلوب فجاء -معظمه- مطبوعاً واضحاً لا تكلف فيه ولا غموض.

المبحث الثاني: الوحدة العضوية: وفيه بينت أن الشعراء قد فطنوا إلى الوحدة العضوية والنفسية وطبقوها في أشعارهم إلى حد كبير؛ مما يدل على الطاقة التعبيرية الكبيرة لدى الشاعر وتمكنه من السيطرة وتوجيه مجريات النص الشعري.

المبحث الثالث: الخيال الإبداعي: وقد قسمته إلى صور جزئية: من تشبيه واستعارة وكناية، وصور كلية مركبة: تعددت فيها الصور، واجتمعت في أكثر من بيت، وبينت ما كان للشعراء من خيال لا يخلو من الروعة الشعرية، وجاء طبعياً لا تكلف فيه ولا تصنع. فجاءت هذه الصور في مواضعها وأدت الغرض منها في تكثيف المعاني واستيعابها.

المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية: وفيه وضحت معالم الصورة الموسيقية لدى الشعراء الإسلاميين، حيث جاءت موسيقاهم ملائمة للموضوعات التي طرقوها. وختمت الدراسة بخاتمة احتوت على ما أسفر عنه البحث من نتائج.

وقد اعترضت مسيرة هذا البحث صعوبات عدة، منها: تعذر الحصول على بعض نتاج الشعراء في القضية الفلسطينية نظراً لقلّة نشر بعض الشعراء الإسلاميين لشعرهم أو قلّة توزيعه عند نشره، وتفرق معظم إنتاجهم في الصحف والمجلات الإسلامية، كما تعذر عليّ الحصول على إنتاج الشعراء في بعض الدول العربية مثل لبنان والسودان واليمن والجزائر مع المحاولات العديدة التي قمت بها للحصول عليه؛ بمراسلة الجامعات ودور النشر في هذه البلاد والمهتمين بدراسة الأدب الإسلامي من الأدباء والنقاد.

وقد اعتمدت في دراستي على كثير من الكتب التاريخية التي أرّخت للقضية وذلك لتهيئة أرضية البحث، وللتمهيد لعرض النصوص، وفهمها فهماً صحيحاً،

كما رجعت إلى بعض الصحف والمجلات التي حوت بعض النصوص، إضافة إلى بعض المخطوطات من الشعراء أنفسهم. هذا فضلاً عن الكتب الأدبية والنقدية التي رجعت لها في الدراسة الموضوعية والفنية.

وبعد، فإن أصبت فهذا من توفيق الله جل وعلا، ولا أزعج في دراستي هذه أنني قد بلغت الشمول والتكامل غير أنني بذلت جهدي لبلوغ هذه الغاية. وأسأل الله تعالى أن يلهمني الإخلاص في القول والعمل، ويسر لي المساهمة في خدمة قضايا الأمة وهو نعم المولى ونعم النصير.

حليمة بنت سويد الحمد

لمحة تاريخية

✽ المبحث الأول: الأرض المباركة في التاريخ الإسلامي.

أ- موقف الرسول ﷺ من اليهود.

ب- الإسلام والأرض المباركة.

ج- فتح فلسطين والمعارك الإسلامية.

د- فلسطين في العهد المملوكي والعثماني.

✽ المبحث الثاني: الأرض المباركة في التاريخ الحديث.

أ- أحداث ما قبل عام (١٩٦٧م): نكبة عام

(١٩٤٨م) وجذورها التاريخية.

ب- أحداث ما بعد عام (١٩٦٧م) وأبرزها

الانتفاضة.

المبحث الأول

الأرض المباركة في التاريخ الإسلامي

أ. موقف الرسول ﷺ من اليهود:

إن القضية الفلسطينية هي قضية المسلم الأولى، فينبغي النظر إليها من منطلق مبدئي عقدي، ولا بد من نقلها من نطاقها القومي العربي الضيق إلى النطاق الإسلامي الواسع.

فمنذ مبدأ انتشار الإسلام ((أصاب اليهود جنون الغيرة والحقد الأسود، كما هو كامن في طبيعتهم))^(١)؛ فأعلنوا عداؤهم للسافر للإسلام وللنبي الكريم. وقد زاد هذا العدا بعد الهجرة؛ لما وجد الإسلام قبولاً وذيوعاً وأنصاراً^(٢).

فقد كان أحبار اليهود على يقين من أن النبي الخاتم سيكون من جزيرة العرب. وكانوا يطمعون أن يكون منهم؛ لذا فقد بدأ عداؤهم للإسلام منذ اليوم الأول الذي وطئت فيه قدما الرسول الكريم أرض المدينة المنورة، محاولين القضاء على الإسلام في مهده^(٣).

فكان من الأعمال الأولى التي قام بها النبي في المدينة موادعة اليهود ومعاهدتهم. فكتب بينه وبينهم ميثاق الأمان الذي نظم فيه العلاقة بين المسلمين

(١) الإسلام وبنو إسرائيل: ١٣٦.

(٢) انظر: المرجع السابق: ١٤٥.

(٣) انظر: صراعنا مع اليهود، من أين؟ وإلى أين؟: ٣٧-٣٨.

واليهود؛ ومن أهم ما جاء فيه: «... إنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة... وإن اليهود ينفقون على المؤمنين ما داموا محاربين،... وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم»^(١)، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة... لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليتهم وأنفسهم... وأن بينهم النصر على من دهم يشرب...»^(٢)، ولكن اليهود أضمرُوا نقض هذه المعاهدة، مع إظهارهم الاستجابة لها، شأهم في كل عهد أو ذمة يبرمونها مع غيرهم.

فبدأت مؤامراتهم ومكائدهم ضد المسلمين. وكان بنو قينقاع أغنى اليهود في المدينة؛ فساءهم انتشار الإسلام وعلو شأنه -وبخاصة بعد نصر المسلمين في بدر- ولم يستطيعوا إخفاء حقدهم على الإسلام، فعندما وفدت على سوقهم امرأة مسلمة لحاجة لها في سوق الصاغة، أحاط بها عدد من اليهود، وآذوها بما تأنف منه كل حرة، (فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله - وكان يهودياً- وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع)^(٣). وبذلك كان بنو قينقاع أول من نقض العهد من اليهود؛ فسار إليهم النبي -عليه الصلاة والسلام- وحاصرهم في حصونهم، ثم أمر بإجلائهم وغنم أموالهم^(٤).

(١) ((كان هذا قبل أن تفرض الجزية وحين كان الإسلام ضعيفاً، كان لليهود إذ ذاك نصيب في

الغنم، إذا قاتلوا مع المسلمين، كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب))

انظر: حاشية مختصر سيرة ابن هشام: ١٠٨.

(٢) المرجع السابق: ١٠٧-١٠٨.

(٣) انظر المرجع السابق: ١٣٣.

(٤) انظر المرجع السابق: ١٣٥.

وقد شنّ بعض شعراء اليهود حرباً على الإسلام والمسلمين؛ وكان على رأس هؤلاء كعب بن الأشرف الذي كان يحرض أهل الشرك - بعد بدر - على الانتقام من المسلمين، (وجعل ينشد الأشعار، ويحرض الناس على رسول الله ﷺ، ويكي على قتلى بدر من أصحاب القليب، ثم رجع إلى المدينة فشبّب بنساء المسلمين حتى آذاهم)^(١) فلما بلغ أذى هذا الشاعر مداه، أمر الرسول بقتله، فقتله عدد من المسلمين.

وأدرك بنو النضير أن شأن المسلمين يرتفع يوماً بعد آخر، فأروا أنه لا بد من التخلص من النبي ﷺ؛ حتى ينتهي الإسلام والمسلمون، فكانت مؤامرتهم لقتله ﷺ حين خرج إليهم يستعين بهم في دفع دية، فقالوا: (...يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟...) ^(٢) فصعد أحدهم - ورسول الله مع جماعة من أصحابه - فأوحى الله إليه بما دبروه من غدر، فقام ورجع إلى المدينة، وتهيأ لحربهم، بعد نقضهم للعهد، فحاصروهم، ثم أجلاهم عن المدينة، وغنم المسلمون أرضهم وأموالهم^(٣).

ونزلت فيهم سورة الحشر، وفيها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنْ

(١) مختصر سيرة ابن هشام: ١٣٥.

(٢) المرجع السابق: ١٥٩.

(٣) انظر المرجع السابق: الصفحة نفسها.

اللَّهُ فَإِنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿١١٠﴾ [الحشر: ٢/٥٩].

وتستمر المؤامرة، حيث يعمل اليهود على تأليب الأعداء والأحزاب لحرب المسلمين، ويمتنونهم أنهم سيكونون معهم بأموالهم ورجالهم، فلما علم رسول الله بما أجمعوا عليه، ضرب الخندق على المدينة، فكانت غزوة الأحزاب، التي طال فيها الحصار على المسلمين، وكان نقض يهود بني قريظة للعهد بلاءً عظيماً على المسلمين فزلزلوا زلزالاً شديداً، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ آتَتْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١/٢٣] إلى أن أذن الله بالنصر لجند الحق، وهُزِمَ الأحزاب ﴿إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩/٣٣]. وحاصر المسلمون بني قريظة -بعد غزوة الأحزاب- حتى أنهكهم الحصار؛ فأدركوا أنهم لا قبل لهم بقوة المسلمين، فترلوا على حكم الرسول الكريم، وحكم فيهم سعد بن معاذ، الذي حكم ((بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسي الذراري والنساء))^(١).

فكان ذلك جزاءً وفاقاً لغدرهم ونقضهم العهد. ونزل قوله تعالى: ﴿وَأَوْثَقْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضَا لَمْ تَطَّوْهُا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧/٣٣].

وفي خيبر -بؤرة الفساد- تجمعت فلول اليهود المنهزمين؛ فقاموا بتأليب الأعراب على المسلمين، فباغتهم النبي ﷺ ذات صباح، ففتح الله على يديه حصونهم المنيعة، وجاس خلال ديارهم دون مقاومة؛ فاستسلموا وسألوا الصلح، فصالحهم

(١) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: ٢٦٥.

الرسول على نصف خيبر^(١). ولكنهم عاودوا الغدر، حين أهدت يهودية من خيبر شاة مسمومة لرسول الله، فلما وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قال: «إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم» ثم دعاها، فاعترفت، فقال: «ما حملك على ذلك؟» فقالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر؛ فتجاوز عنها رسول الله ﷺ وكان بشر بن البراء بن معرور يأكل مع رسول الله ﷺ فأكل منها قطعة وكان ذلك سبب موته^(٢).

وهكذا فإنه مع سياسة اللين والتسامح التي عامل بها النبي ﷺ اليهود، ومع معاهدة الأمان المعقودة بينهم وبين المسلمين، فقد ظل اليهود يقاومون الدولة الإسلامية ويتآمرون ضدها دون أن يأبھوا بالمواثيق والعهود إلى أن أمر الله تعالى رسوله بإجلالهم بالقوة من المدينة المنورة.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلى من بقي منهم في فدك وتيماء ووادي القرى إلا من كان عنده عهد أو بيعة من رسول الله ﷺ. وتم بذلك تطهير الجزيرة العربية من اليهود^(٣).

ب. الإسلام والأرض المباركة؛

يرتبط أتباع الأديان السماوية بأرض فلسطين ارتباطاً تاريخياً وثيقاً؛ فهي الأرض التي بعث الله فيها كثيراً من الأنبياء، وفيها وُهب إبراهيم عليه السلام - ذرية مسلمة طيبة، تدين بالمنهج الإسلامي الرباني.

(١) انظر السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: ٣٠٣.

(٢) المرجع السابق: ٣٠٥.

(٣) انظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: ٤٨١.

وتضم هذه الأرض مدينة القدس ذات المكانة المتميزة في عقيدة المسلم وتاريخ الإسلام؛ ففيها المسجد الأقصى الذي أُسري بالرسول ﷺ إليه، ثم عرج به إلى السماوات العلا، يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١/١٧] ^(١).

فكان الإسراء والمعراج من الأحداث الإسلامية البارزة التي خلدت اسم القدس وربطت بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ربطاً روحياً قدسياً، قبل أن تتصل حدود أرضيهما ببضعة عشر عاماً ^(٢).

والمسجد الأقصى ثاني مساجد الدنيا وجوداً بعد المسجد الحرام، لما ثبت في سنن ابن ماجه عن أبي ذر الغفاري، قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وُضع أول؟ قال: المسجد الحرام. قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً... الحديث ^(٣). كما أن هذا المسجد هو ثالث الحرمين الشريفين ولا تشد الرحال إلا إليها: لحديث رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي هذا» ^(٤).

(١) وانظر حديث الإسراء في صحيح البخاري: ١٣١/٥ الحديث (٣٨٨٦)، وحديث المعراج: ١٣٢/٥-١٣٤ الحديث (٣٨٨٧).

(٢) انظر أهمية القدس في الإسلام: ٢١-٢٥. وانظر بيت المقدس وما حوله: ٦٢-٦٣.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه: ١٢٥/١ (٧٥٣).

(٤) صحيح البخاري: ٥١٢/٢ (١٩٩٥).

وضمت هذه الأرض المباركة القبلة الأولى التي اتجه إليها النبي الكريم، إلى أن أمر الله تعالى باستقبال الكعبة؛ وذلك حين هاجر الرسول إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود؛ ففرحوا لتوجه الرسول الكريم إلى قبلتهم (بيت المقدس)^(١)؛ فترل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤/٢]. فتم تحويل القبلة إلى الكعبة بعد ستة عشر شهراً من الهجرة^(٢). ولهذا، كانت فلسطين أرضاً حباها الله بالخير، وخصها بالبركة، وقد وصفها القرآن الكريم بصفات الطهر والقدسية والبركة في مواضع عديدة منها آية الإسراء والمعراج السابق ذكرها، وقوله تعالى: ﴿وَنَجِّنَنَّهُ وَلُوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١/٢١]. فالأرض التي بارك فيها - كما ذكر الشوكاني - ((قيل [إنها] بيت المقدس؛ لأن منها بعث الله أكثر الأنبياء، وهي أيضاً كثيرة الخصب))^(٣). وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ [سبا: ١٨/٣٤]. ((قال ابن عباس: القرى التي باركنا فيها هي بيت المقدس))^(٤) وهي الأرض المقدسة التي ذكرت على لسان موسى في قوله جل شأنه: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١/٥]^(٥).

(١) انظر تفسير ابن كثير: ١/١٦٩.

(٢) انظر حديث تحويل القبلة في صحيح البخاري: ٨٣/١ (٤٠) و(٣٩٩).

(٣) فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ٤١٦/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٣٣/٣.

(٥) انظر تفسير الآية في فتح القدير: ٢٦/٢.

ومؤدى ذلك - لا مرأى - أن فلسطين لدى المسلم قضية عقيدة وحضارة، لا قضية أرض وتراب، فأرض فلسطين هي منبت عقيدة التوحيد، ومهبط الرسالات، وملتقى النبوات على امتداد صفحات التاريخ.

وإزاء هذا فإن مسؤولية الأمة العربية والإسلامية، مسؤولية تامة عن قدسية الأرض الفلسطينية ووحدةها؛ بوصفها أمانة تاريخية، لا يجوز التفريط فيها، أو التصرف بها، ولا يحق لأحد التنازل عنها.

ج. فتح فلسطين والمعارك الإسلامية؛

كان أول عمل حربي للمسلمين خارج الجزيرة العربية هو تسيير أول قوة إسلامية إلى بلاد الشام، حيث بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة - في السنة الثامنة للهجرة - على رأس تلك القوة، وكان عددها ثلاثة آلاف مقاتل؛ للاحتكاك بقوات الروم التي كانت تحكم سيطرتها على بلاد الشام، ومن جملتها: الأردن وفلسطين، وكان هرقل ملك الروم قد حشد مئة ألف مقاتل، وانضم إليهم مثل هذا العدد من قبائل العرب. ومع هذا التفوق العددي الكبير للعدو، أقدم المسلمون بشجاعة، وقاتلوا جموع الروم في معركة مؤتة. ودارت المعركة التي أثبتت استعداد المسلمين للتضحية والفداء في سبيل الله. فاستشهد في هذه المعركة زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة^(١).

وفي العام التاسع للهجرة، جهز رسول الله ﷺ جيشاً لغزو الروم، وخرج في ثلاثين ألفاً من أصحابه، فلما بلغوا تبوك، لم يجدوا للرومان أثراً يدل على تأهبهم للحرب؛ فقد آثروا الصلح على ملاقاته الجيش الإسلامي الفتي الذي كان أول

(١) انظر مختصر سيرة ابن هشام: ٢١٥-٢١٧.

جيش إسلامي يخرج بهذا العدد. ثم عاد الرسول الكريم إلى المدينة بعد أن صالح أهل أيلة^(١)؛ وأعطوه الجزية^(٢).

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة، عقد عليه الصلاة والسلام اللواء لجيش أسامة بن زيد، وأمره أن يسير إلى موضع مقتل أبيه في تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين^(٣)، وكان في هذا ((إشارة من الرسول ﷺ إلى صحابته من بعده، أن ما بدأه لا بد أن يستمر، وأنه لا بد من مواصلة الجهاد في سبيل الله حتى يسقط طواغيت الروم، وتتحرر بلاد الشام - بما في ذلك بيت المقدس - من ربة الاحتلال النصراني ومن شايعة من أبناء العرب المشركين))^(٤).

وبعد وفاة النبي الكريم، أمر الخليفة أبو بكر الصديق بإنفاذ جيش أسامة، الذي عقد لواءه رسول الله بيده قبيل وفاته قائلاً: «اغزُ باسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله»^(٥). ومع انشغال الصديق بحروب الردة، إلا أنه أبي أن يحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ فوصل أسامة وجيشه إلى تخوم البلقاء، وشنّ عليهم الغارة، وقتل قاتل أبيه، وغنم غنائم كثيرة، ثم عاد إلى المدينة ولم يُصَب مسن المسلمين أحد^(٦).

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم (الأحمر) مما يلي الشام. انظر: معجم البلدان: ٢٩٢/١.

(٢) انظر السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: ٣٦٦.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى: ١٩١/٢.

(٤) الطريق إلى بيت المقدس: ٥٤.

(٥) الطبقات الكبرى: ١٩٠/٢.

(٦) انظر المرجع السابق: ١٩١/٢.

وفي العام الثالث عشر من الهجرة وجه أبو بكر الصديق أربعة جيوش إلى بلاد الشام، فبعث عمرو بن العاص إلى فلسطين، ويزيد بن أبي سفيان إلى دمشق، وأبا عبيدة بن الجراح إلى حمص، وشرحبيل بن حسنة إلى وادي الأردن، ثم سَير الصديق جيشاً آخر بقيادة خالد بن الوليد الذي وُحِّد القيادة، فكانت المعركة الفاصلة في وادي اليرموك، في العام الثالث عشرة للهجرة، حيث انتصر المسلمون انتصاراً عظيماً على جيش الروم الذي كان عشرة أمثالهم. ووقعت -في العام نفسه- المعركة الثانية بين جيش الإسلام وجيش الروم، في أجنادين^(١). فتمكن أفضال القادة المسلمين من هزيمة جموع الروم، بعد معركة شديدة الضراوة انجلى غبارها عن نصر عزيز للمسلمين^(٢).

ولما تولى عمر بن الخطاب الخلافة عين أبا عبيدة قائداً لجيوش الفتح، المتوجهة نحو بيت المقدس، ففتح عدة مدن بفلسطين؛ مما مهد للجيش الإسلامي الطريق للزحف نحو بيت المقدس. ثم كتب أبو عبيدة إلى أهل إيلياء^(٣)؛ يدعوهم إلى الإسلام، أو دفع الجزية أو يأذنوا بحرب، فلما لم يستجيبوا؛ سار إليهم أبو عبيدة وضرب الحصار حول بيت المقدس في أيام بردٍ شديدة، فضيق عليهم، حتى استيأس أهل إيلياء من مغالبة الحصار، الذي دام أربعة أشهر، فأجابوا إلى الصلح، على أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بنفسه؛ ليعطيهم العهد ويكتب لهم الأمان. فكتب أبو عبيدة إلى عمر؛ فاستشار كبار الصحابة، وأشار

(١) أجنادين موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين، من الرملة من كورة بيت جبرين، انظر معجم البلدان: ١٠٣/١.

(٢) انظر السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: ٤٤٦-٤٥٢.

(٣) إيلياء: اسم مدينة بيت المقدس، انظر معجم البلدان: ٢٩٣/١.

عليه علي بن أبي طالب بالخروج إليهم، فجاء عمر إلى بيت المقدس في السنة السادسة عشرة للهجرة، ودخل القدس مكبراً، وكتب وثيقة الأمان المعروفة بالعهد العمرية^(١). ((وكانت هذه العهد العمرية رمزاً على تسامح الإسلام، وتجربة عملية لتطبيق عدل الإسلام، ومبادئه التي تقرر أنه لا إكراه في الدين، ويلاحظ فيها النص على منع اليهود من السكن في إيلياء^(٢) بناءً على طلب البطريك؛ ذلك لأن المسلمين حينما فتحوا بيت المقدس لم يجدوا فيها أحداً من اليهود؛ لأن النصارى قد حرّموا عليهم العيش في المدينة المقدسة؛ تخلصاً من مؤامراتهم ودسائسهم))^(٣).

وبنى عمر رضي الله عنه مسجداً أمام الصخرة المشرفة، أما المسجد الأقصى وقبة الصخرة بشكلهما الحاضر فقد تمّ بناؤهما في عهد الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان وابنه الوليد، وما زالا إلى اليوم من أهم الآثار الإسلامية الخالدة^(٤).

وظلت المدينة المقدسة عربية إسلامية مصونة محفوظة في كنف الدولة العباسية؛ وقد أولاهم الخلفاء العباسيون اهتمامهم العظيم؛ فأصلحوا بناء المسجد، وجعلوه أوثق وأحسن صناعة مما كان عليه، وذلك في عهد أبي جعفر المنصور والمهدي والمأمون^(٥).

(١) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ٢٤٦/١-٢٥٨.

(٢) انظر نص العهد في الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ٢٥٣/١.

(٣) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية: ١٣١.

(٤) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ٢٧٢/١-٢٧٣.

(٥) انظر المرجع السابق: ٢٨٢/١-٢٨٣.

واستمرت هذه الأرض المباركة في أمان واستقرار تحت حكم الدولتين الطولونية والإخشيدية.

وفي عهد الفاطميين تغير الحال إلى ما لم تحمد عقباه؛ حيث عمل الحكام الفاطميون على تقريب النصارى في فلسطين واسترضائهم؛^(١) مما جدد أطماع النصارى في الاستيلاء على هذه الأرض؛ فكان ذلك من الأسباب الرئيسية لتجهيز الحملات الصليبية وإغارتها على البلاد الإسلامية واستيلائها على بيت المقدس.

وانتهزت الصليبية الحاقدة فرصة تنازع الفاطميين والسلاجقة على المدينة المقدسة؛ فشنت حرباً ضد المسلمين؛ لإخراجهم من بيت المقدس، متظاهرين بأنهم أصحاب عقيدة، وأن لهم مقدسات يرغبون في استرجاعها في أرض الشام.^(٢) ف وقعت القدس في يدي النصارى عام ٤٩٢هـ، بعد خمسة قرون كاملة في ظل حماية دول الخلافة الإسلامية المتتابعة.

وأمعن النصارى في التدمير ونشر الرعب، ولم يسلم من بطشهم رجل ولا امرأة ولا شيخ ولا طفل، ((وركب الناس السيف، ولبت الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين... وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم))^(٣).

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ٣٠٧/١.

(٢) انظر البداية والنهاية: ١٥٦/٢، وانظر الكامل في التاريخ: ١٩/٩.

(٣) الكامل في التاريخ: ١٩/٩.

ولا يخفى على عاقل البونُ الشاسع بين فتح المسلمين للقدس في عهد عمر رضي الله عنه وبين هذا الفتح الحاقد المدمر، فقد آمن عمر النصارى على أنفسهم وأموالهم، وعاملهم معاملة كريمة. فكان مثلاً للعدل والتسامح؛ لأنه داعية خير وسلام؛ فلم يستبح دماً ولا مالاً، كما فعل الصليبيون الذين نهبوا الأموال، وخرّبوا أثاث المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، ونهبوا القناديل الذهبية^(١).

وتبقى المدينة المقدسة في يد الصليبيين أكثر من تسعين عاماً إلى أن قيّض الله لها قائداً مسلماً غيوراً هو صلاح الدين الأيوبي، الذي عزم على تطهير الأرض المباركة؛ فدارت معركة حطين الحاسمة، قرب بحيرة طبرية (٥٨٣هـ)، حيث أحاط المسلمون بالصليبيين من كل جانب، وقطعوا عليهم السبل إلى موارد الماء، ثم أشعلوا حولهم النيران؛ فضاق بهم الأمر، واشتد القتال، فكان النصر حليف المسلمين؛ مسطّرين بذلك صفحة مشرقة مجيدة في تاريخ الإسلام^(٢). ثم سقطت المدن تباعاً في يد الجيش الإسلامي، فاستولى على قلعة طبرية وتسلم بلاد الأردن، ثم سار إلى عكا ففتحها صلحاً؛ مما فتح الطريق أمامه إلى بيت المقدس؛ فحاصرها حصاراً شديداً، ودارت رحى الحرب بعنف إلى أن سقط البرج المحصن فيها ودخل صلاح الدين بيت المقدس في ٢٧ رجب ٥٨٣هـ؛ فهرع الصليبيون إلى القائد صلاح الدين لطلب الأمان، فأجابهم إلى الصلح؛ ضناً منه بدماء الأسرى من المسلمين، الذين كانوا في أيدي الصليبيين المنهزمين، الذين هددوا بقتل أولئك الأسرى؛ ما لم يجلبهم صلاح الدين إلى الصلح^(٣). فسمح لهم صلاح الدين بدفع

(١) الكامل في التاريخ: ١٩/٩-٢٠.

(٢) انظر الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية: ٧٤/٢-٩٠.

(٣) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية: ٧٤/٢-٩٠.

الجزية؛ وجاءت شروط الصلح سهلة ميسرة؛ مع أن صلاح الدين قد حدد الفدية بعشرة دنانير عن كل رجل، وخمسة عن كل امرأة، ودينار عن كل طفل، إلا أنه عفا عن كثير منهم، وكانت معاملته لهم مضرب المثل في العدل والإنصاف، وسمح لهم بحرية العبادة في كنيسة القيامة، وأن يسكنوا بيت المقدس آمنين مطمئنين. وشتان بين هذه الروح الإسلامية السامية وبين ما فعله الصليبيون الحاقدون عند غزوهم القدس عام ٤٩٢هـ، من تضييع للمسلمين والبطش بهم حتى خاض الناس في الدماء على شوارع بيت المقدس^(١).

د. فلسطين في العهد المملوكي والعثماني؛

ظلت أرض فلسطين إسلامية في عهد الأيوبيين؛ إلى أن انقسمت دولتهم المترامية الأطراف، وضعفت شوكتهم؛ فاستغل الأعداء من الفرنج هذه الفرصة؛ وانتزعوا بيت المقدس منهم ثانية. ولكن تمكن الملك الصالح نجم الدين أيوب من استعادتها سنة ٦٤٣هـ.

وبعد سقوط الدولة الأيوبية، بدأ عهد المماليك الذين دافعوا عن الأرض المباركة؛ وردوا عنها هجمات الفرنج والتتار^(٢).

وفي عهد الملك المظفر سيف الدين قطز اجتاح التتار بقيادة هولاكو أرض الرافدين والجزيرة وبلاد الشام ومصر، وأنزلوا بأهلها أنواع النكال والدمار، ولما علم الملك المظفر بما كان من أمرهم بالشام، وما فعلوه فيها من نهب وسلب وتدمير، بادرهم وخرج بجيشه إلى الشام؛ فالتقى بجيش هولاكو في رمضان

(١) انظر الكامل في التاريخ: ١٠/١٤٩.

(٢) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ٨٥/٢.

٦٥٨هـ، ووقعت معركة عين جالوت العظيمة، التي انتصر فيها المسلمون، وهُزم جيش المغول هزيمة ساحقة.

وبعد هذه المعركة توفي الملك المظفر قطز، وتولى الحكم بعده الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، الذي حكم بلاد الشام حكماً عادلاً، وطارد من بقي فيها من الصليبيين، كما قاوم جيوش التتار التي حاولت استرجاع الشام، فصدّهم عنها وكرّوا راجعين^(١).

وحينما تولى السلطان المملوكي المنصور قلاوون السلطة، واصل مسيرة الجهاد ضد الأعداء من التتار والفرنجة، فنازلهم في مواقع عديدة، وألحق بهم الهزيمة، فنجت بلاد الشام من شرهم^(٢).

وقام ابنه الأشرف خليل من بعده بتطهير بلاد الشام من بقايا الجيوب الصليبية، فاسترجع بقية ثغور الشام من أيدي الصليبيين سنة ٦٩٠هـ. وبذلك انتهى الوجود الصليبي في الشام؛ وأضحى العالم المسيحي الشرقي خاضعاً لحكم المسلمين^(٣).

ولا ريب أن هذه المواجهات الإسلامية مع العدو الصليبي هي التجربة التي يجب أن تكون ماثلة أمام المسلمين اليوم؛ ليعلموا أن الطريق الصحيح لمواجهة العدو هو الطريق الإسلامي الذي سار عليه صلاح الدين وقطز وبيبرس فحقق لهم النصر على الأعداء؛ لأنه هو وحده منطلق النصر.

(١) انظر البداية والنهاية: ٢١٩/١٣ - ٢٢٠ - ٢٢٣.

(٢) انظر المرجع السابق: ٢٩٤/١٣.

(٣) انظر المرجع السابق: ٣١٩/١٣ - ٣٢٣.

وجدير بالذكر أن بيت المقدس في العهد المملوكي أصبح مركزاً للثقافة الإسلامية، حيث اهتم المماليك بالعلم وبنوا المدارس، ووفد إليهم العلماء من كل مكان، واهتموا بترميم مسجد قبة الصخرة فزخرفوا القبة بالفسيفساء^(١).

وفي عهد العثمانيين احتل السلطان سليم الأول بلاد الشام بعد معركة [مرج دابق] مع المماليك سنة ٩٢٢هـ، ثم سار إلى فلسطين وقضى على بقايا المماليك الذين تجزأت وحدتهم؛ فاحتل فلسطين دون قتال، ثم غادرها إلى مصر، التي أصبحت إحدى ولايات السلطنة العثمانية.

ولما توفي السلطان سليم الأول، تولى من بعده ابنه السلطان سليمان القانوني، الذي جدد عمارة سور القدس، وعمر قبة الصخرة، وجدران الحرم وأبوابه^(٢).

((ومن السلاطين المشهورين في العهد التركي السلطان محمود الثاني الذي جرت في عهده حوادث جسام، منها حملة نابليون بونابرت سنة ١٧٩٨م، وكان الهدف منها توسيع إمبراطوريته... لكن أمله لم يتحقق... ومن تلك الحوادث الجسام حملة إبراهيم باشا على بلاد الشام... [الذي] كاد أن يدخل الآستانة لولا تدخل الدولة الأجنبية، وعلى رأسها إنجلترا التي خشيت من توسع نفوذ محمد علي؛ فوقفت إلى جانب الدولة العثمانية، وضغطت على محمد علي لقبول الصلح مع الدولة العثمانية... وأصبحت مصر وفلسطين وبعض أراضي بلاد الشام، تابعة لولاية محمد علي [إلى أن انسحب عنها] بعد أن دام حكم أسرة محمد علي فيها عشرة أعوام))^(٣).

(١) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ٨٦/٢-٨٩.

(٢) انظر مدن فلسطين الكبرى، القدس: ٦٦-٦٧.

(٣) المرجع السابق: ٦٨-٦٩.

ومن السلاطين ذوي الشأن، السلطان عبد الحميد الثاني بن عبد المجيد الذي صدر في عهده قانون يمنع اليهود من دخول فلسطين، إلا في حالة الحج والزيارة (١٨٨٢م)، ثم أصدر قانوناً يحرم بيع أراضي الحكومة إلى اليهود (١٨٩٢م). وقد واجه السلطان عبد الحميد الثاني المؤامرات الصهيونية لتهويد فلسطين، تمهيداً لإقامة الدولة اليهودية فيها^(١).

ففي عام (١٨٩٧م) عرض هرتزل^(٢) على السلطان عبد الحميد مبلغاً كبيراً من المال نظير السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين والتوطن فيها، ولكن السلطان عبد الحميد وقف موقفاً ثابتاً وحاسماً أمام هذا العرض الصهيوني، وقال: ((... إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض؛ فهي ليست ملك يميني، بل ملك شعبي. لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض، ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم... إن عمل الموضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بُترت من إمبراطوريتي. إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة))^(٣).

وهكذا ظلت هذه المواقف المشرفة للسلطان عبد الحميد الثاني عقبة كأداء في وجه هرتزل، ومحاولاته المتكررة من أجل تنفيذ المشاريع الصهيونية في فلسطين.

(١) مدن فلسطين الكبرى، القدس: ٧٠-٧١.

(٢) من أخطر زعماء الصهيونية في العالم، نُصّب في مؤتمر بال (١٨٩٧م) بسويسرا رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية، انظر الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية: ١٨٧، وانظر التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد: ٤٨-٤٩.

(٣) التاريخ الإسلامي، العهد العثماني: ٢٠٠/٨.

المبحث الثاني

الأرض المباركة في التاريخ الحديث

أ. أحداث ما قبل عام (١٩٦٧م):

نكبة عام (١٩٤٨م) وجذورها التاريخية:

لم تلبث الدولة العثمانية أن تضععت وتجزأت؛ فحققت الصهيونية العالمية هدفها الأول من انبعاثها حركةً سياسيةً في العصر الحديث، في إقامة الوطن القومي اليهودي، وتهجير الآلاف من اليهود من روسيا ورومانيا وبولندا منذ عام ١٨٨٢م فقد اتسع نطاق الهجرة بعد تمزيق الدولة العثمانية عن طريق النعرات العنصرية التي أثارها اليهود، وإيقاع أبرز فريقين يشكلان الدولة (الترك والعرب) في صراع شديد، انتهى بانضمام تركيا إلى ألمانيا وانضمام العرب إلى فرنسا وإنجلترا^(١).

وكان من أهم العوامل التي ساعدت على رفع الستار عن وجه الصهيونية السافرة؛ عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧م، بقيادة هرتزل، الذي اتخذ عدة قرارات مهمة منها:

- تنصيب هرتزل رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية.
- إنشاء دولة يهودية في فلسطين تجمع شتات اليهود.

(١) انظر المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية: ٩٠.

- تقوية الروح القومية اليهودية^(١).

وبذلك اتسع نطاق الحركة الصهيونية، وتطورت أطماع اليهود. فبعد أن كانوا يتطلعون إلى الإقامة في فلسطين تحت الحكم العثماني، قفزت أطماعهم إلى الاستيلاء على فلسطين، وإقامة دولة عنصرية فيها.

وعندما أعلن الشريف حسين الثورة ضد الدولة العثمانية -مخدوعاً بوعود بريطانيا للتغريب به- في الوقت الذي كانت تجتمع فيه مع فرنسا للتفاوض على مستقبل البلاد العربية، انتهت تلك المفاوضات إلى سلسلة من الاتفاقات؛ عملت على تقسيم تركيا الدولة العثمانية، وأهم تلك الاتفاقيات اتفاقية سايكس بيكو (١٩١٦م)، التي وزعت البلاد العربية بين روسيا وفرنسا وإنجلترا، وكان من نصيب الأخيرة المنطقة الممتدة من جنوب سورية حتى العراق (وشملت بغداد، البصرة، حيفا، عكا) أما منطقة القدس فكانت منطقة دولية.

وتعد هذه المعاهدة أحد الأدلة الواضحة على نفاق السياسة الإنجليزية ضد العرب أثناء الحرب العالمية الأولى^(٢).

وتضاف حلقة أخرى إلى سلسلة الوعود البريطانية الغادرة؛ وذلك في تشرين الثاني ١٩١٧م، حيث تم تصريح بلفور وزير خارجية بريطانيا، الذي وعد بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين^(٣). ((والحقيقة أن وعد بلفور لم يكن مجرد وعد قطعه بريطانيا على نفسها للصهيونية العالمية لإقامة دولة يهودية في فلسطين على أنقاض

(١) انظر الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية: ١٨٧.

(٢) انظر جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن: ٥٤-٥٧.

(٣) انظر نص التصريح والدوافع إليه في: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية: ٢٣٤-٢٣٦.

أصحابها الشرعيين، ولم يكن مجرد تصريح صادر عن وزير خارجية دولة كبرى أملت ظروف معينة؛ لكنه كان في حقيقته أعمق من ذلك غوراً وأبعد أثراً؛ إنه كان نقطة تحول هائلة في مجرى السياسة الدولية؛ فقد كان حلفاً أبرمه الاستعمار البريطاني مع الصهيونية العالمية، لتنسيق سياستهما المبنية على تلاقي أطماعهما ومصالحهما المشتركة في الوطن العربي خاصة، وعلى الصعيد الدولي عامة^(١).

وبدأ الاحتلال البريطاني على الفور، ببرنامج تسليم فلسطين لليهود؛ فعُين هربرت صموئيل مندوباً سامياً في فلسطين؛ بزعم حفظ التوازن بين العرب واليهود؛ فبدأ بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين وتمليكهم الأراضي، عن طريق انتزاع الأراضي الزراعية من المواطنين العرب، ونقل ملكيتها إلى اليهود المهاجرين في سياسة تعسفية واضحة تمثلت في أمور، منها:

- فرض الضرائب الباهظة على الأراضي؛ لإثقال كاهل المزارعين وبالتالي توقيع الحجر على أراضيهم.

- منع تصدير المحاصيل؛ مما يؤثر على دخل المزارع.

- تصفية البنك الزراعي العثماني، وتحصيل ديونه عنوة من المزارعين^(٢).

هذا، واستمرت سياسة التهويد بخطى سريعة، فعمّ البلاد السخط جراء هذه السياسة الجائرة؛ فاشتعلت الثورات في أنحاء فلسطين كلها، ابتداءً من ١٩٢٠م وحتى خروج الإنجليز من فلسطين في عام ١٩٤٨م.

(١) أعلام الجهاد في فلسطين، أحداث القضية الفلسطينية خلال ستين عاماً: ٢٩.

(٢) مدن فلسطين الكبرى، القدس: ٧٥/١-٧٧.

ومن تلك الثورات: ثورة نيسان سنة ١٩٢٠م التي حدثت في موسم موسى^(١)، حيث هتف الثوار المسلمون ضد الصهيونية والاستعمار، وانقلب الاحتفال الشعبي الديني إلى مظاهرة وطنية مقاتلة؛ تعبر عن ازدياد الشعور بالمرارة تجاه السياسة البريطانية المعادية للشعب الفلسطيني؛ حيث حدثت هذه الثورة إثر تفاقم الاستفزازات اليهودية ضد سكان فلسطين في القدس. ومما ألهب حماس الجماهير المسلمة خطب مشايخ فلسطين الذين قادوا الثورة^(٢) وانطلقت هذه الثورة من القدس، فكانت أول مواجهة على نطاق واسع بين الجماهير المسلمة الرافضة للوجود اليهودي، وبين العصابات الصهيونية الإرهابية، وأسفرت عن قتل عدد كبير من الجنود البريطانيين واليهود^(٣).

وفي (أيار ١٩٢١م) اندلعت الثورة في يافا؛ وكان سببها المظاهرة التي قام بها اليهود للتحرش بالعرب، وكانت تلك الثورة رداً رافضاً لتغلغل التيار الشيوعي الذي نشره اليهود في البلاد، وأسفرت عن سقوط عدد من القتلى من الطرفين^(٤).

وفي (آب ١٩٢٩م) كانت ثورة البراق، وذلك عندما تزايدت صيحات اليهود المطالبة بالحائط الغربي للمسجد الأقصى (حائط البراق) الذي يسميه

(١) الفكرة التي يعبر عنها هذا الموسم هي حشد أكبر عدد ممكن من المسلمين لإحياء أي مؤامرة يمكن أن يقوم بها النصارى عند زيارتهم للأماكن المقدسة في أعيادهم، انظر البعد الإسلامي في الحركة الوطنية الفلسطينية: ٢٦-٢٧.

(٢) من هؤلاء القادة: عبد القادر المظفر، الحاج أمين الحسيني، موسى كاظم الحسيني، عبد الفتاح درويش، عارف العارف، خليل بيدس.

(٣) انظر البعد الإسلامي في الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة البراق حتى الانتفاضة: ٢٦-٢٧.

(٤) انظر المرجع السابق: ٢٨، وانظر خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية: ٢٣٦.

اليهود (حائط المبكى) ونشرت التصريحات اليهودية التي أعلنت هدفها في إقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، فجاؤوا إلى الحائط في عيد الغفران بأعداد كبيرة، وأحضروا المقاعد والموائد والمصابيح؛ ليحولوا المكان إلى كنيس يهودي؛ فغضب المسلمون واتفقوا - في اجتماع لهم تحت قبة الصخرة - على تشكيل لجنة ممثلة لهم سموها ((لجنة الدفاع عن البراق الشريف)).

وكان للحاج أمين الحسيني دور بارز في إثارة الجو الإسلامي في البلاد، إثر وقوع هذه الأحداث، واكتسبت قضية البراق بعداً إسلامياً واسعاً، وبخاصة في المناطق القريبة من فلسطين^(١).

وعُقد مؤتمر إسلامي في القدس كان من أهم نتائجه تشكيل جمعية حراسة الأقصى والأماكن الإسلامية المقدسة، ومركزها القدس.

ولما قطع الأعداء كل أمل في زحزحة المفتي أمين الحسيني عن موقفه الصلب بشأن البراق؛ لجؤوا إلى محاولة إغرائه بالمال؛ لتبديل موقفه، والتساهل مع اليهود؛ تمهيداً لتنفيذ خططهم الرامية إلى الاستيلاء على البراق، ولكن الحاج أمين رفض العرض اليهودي بكل إباء.

وفي (آب ١٩٢٩م) اشتعلت ثورة البراق، عندما نظّم اليهود مظاهرة ضخمة، رفعوا فيها العلم الصهيوني على حائط البراق؛ فخرج المسلمون في باحة المسجد الأقصى، في مظاهرة عظيمة، ووقع اصطدام دموي قاتل فيه المسلمون بشجاعة فكانت حصيلة هذه الاشتباكات مئات القتلى والجرحى من الفريقين^(٢).

(١) انظر أعلام الجهاد في فلسطين، الحاج أمين الحسيني، رائد جهاد وبطل قضية: ٩٨-١٠١.

(٢) انظر أعلام الجهاد في فلسطين، الحاج أمين الحسيني، رائد جهاد وبطل قضية: ٩٨-١٠١.

ولا جرم أن لهذه الثورات أهمية قصوى؛ بما أثبتته من كون العنصر الديني هو المحرك الرئيس للشعب الفلسطيني في كفاحه ضد العدو، الذي بات يهدد حرياته واستقلاله ومقدساته كذلك.

واستمرت بريطانيا في مرحلة الثلاثينيات (١٩٣٠-١٩٣٩م) في سياستها الرامية إلى تهويد فلسطين وتمزيق الكيان العربي. فكان أبرز الأحداث الوطنية التي شهدتها فلسطين في تلك الفترة، أحداث تشرين الأول ١٩٣٣م، عندما دعت القيادة الفلسطينية إلى الاحتجاج على الحالة الرهيبة في البلاد؛ فانطلقت مظاهرة القدس الكبرى من الحرم الشريف، فبادر العدو إلى إطلاق النار لتفريق المتظاهرين؛ مما أسفر عن عدد من الجرحى والقتلى الفلسطينيين.

وحدثت في العام نفسه مجزرة في يافا، قُتل وجُرح فيها عدد كبير من الفلسطينيين، فقامت مظاهرات في حيفا والقدس ونابلس وغزة؛ إثر تلك المجزرة في يافا^(١).

وفي عام (١٩٣٥م) بدأت ثورة الشيخ عز الدين القسام، الذي كوّن حركة جهادية لتحرير الوطن من العدو الصليبي والصهيوني. وامتاز القسام عن غيره في تلك الفترة بتركيزه على الاستعمار البريطاني؛ لإدراكه أنه العدو الرئيس الذي تجب مقاومته؛ فاستقر في حيفا، وبدأ مرحلة الإعداد والتهيئة النفسية للثورة، ثم كوّن الوحدات الجهادية المنظمة، التي قامت بأعمال بطولية عظيمة؛ أسفرت عن اغتيال عدد من الضباط الإنجليز، وتنفيذ عمليات فدائية ضد المستوطنات اليهودية. ثم استشهد الشيخ القسام بعد أن قاوم بيسالة وأبى الاستسلام، ومع

(١) انظر البعد الإسلامي للحركة الوطنية الفلسطينية: ٤٤-٤٥.

فرصة النجاة التي سنحت له ولرفاقه، الذين هتف بهم قبل موته قائلاً: ((موتوا شهداء))^(١).

((ومن المهم الإشارة إلى أن معركة يعبد -التي استشهد فيها القسام- قد أكسبت الجهاد في فلسطين بعده الإسلامي الواسع.. وقد ذكر عديد من المؤرخين للحركة الوطنية الفلسطينية أن استشهاد القسام كان بمثابة القبس الذي أشعل نيران الثورة الفلسطينية الكبرى))^(٢) فقد بدأت هذه الثورة بتحريشات اليهود بسكان يافا، فردّ العرب على هذا العدوان اليهودي؛ فهرعت قوات الإنجليز لحماية اليهود والدفاع عنهم؛ وتطورت الأحداث إلى قتال بين العرب واليهود في (نيسان ١٩٣٦م)؛ فقتل وجرح عدد كبير من اليهود، واستشهد ستة من العرب، وبدأ الإضراب في جميع أنحاء فلسطين؛ تعبيراً عن السخط ضد السياسة البريطانية فكان إضراباً لم يُعرف له مثيل في تاريخ البلاد؛ استمر ستة أشهر. فكانت تلك صورة نادرة من صور البطولة، رسمها الشعب الفلسطيني المجاهد. وتحوّل الإضراب إلى جهاد مسلح في مختلف المدن الفلسطينية؛ فأشعلت الحرائق، وألقيت القنابل. ولم يفتّ في عضد المجاهدين القمع من قبل سلطات الانتداب، بل زادهم ذلك تماسكاً وتصميماً^(٣).

((وحينما يش الإنجليز من إخماد الثورة حرياً لجؤوا إلى الحيلة والدسائس والمكر، وأقنعوا ملوك العرب بالتوسط لإنهاء الإضراب، ووقف العصيان، واعدن بالنظر في مطالب العرب))^(٤).

(١) انظر أعلام الجهاد في فلسطين: ٢، الشيخ عز الدين القسام، قائد حركة وشهيد قضية: ٨٣-١٢٦.

(٢) البعد الإسلامي للحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة البراق حتى الانتفاضة: ٥١.

(٣) انظر خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية: ٢٦٨-٢٦٩.

(٤) انظر خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية: ٢٧٠.

وبالفعل فقد أصدر الملوك والحكام العرب نداءً دعوا فيه إلى الهدوء، ووضع حد للاضطرابات؛ معتمدين على حسن نوايا الحكومة البريطانية^(١) فتوقف الإضراب وهدأت الثورة لفترة. ثم امتدت تلك الثورة طوال سنوات (٣٧، ٣٨، ١٩٣٩م)، إلى أن أعلنت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م).

وفي هذا الوقت بلغ التحرك اليهودي أوجه، إذ إن سيل اليهود -الذين تطوعوا في الجيش البريطاني إبان الحرب- بدأ يتدفق باستمرار إلى فلسطين، بصفتهم جنوداً بريطانيين؛ فقام الجيش البريطاني بجمع الأسلحة من العرب في فلسطين؛ متذرعاً بالأحداث المفتعلة التي قام بها اليهود بعد الحرب، مثل: مهاجمة المنشآت العسكرية البريطانية، واختطاف بعض الضباط، وكان هذا ثمناً باهظاً دفعه العرب، إثر استكانتهم إلى الوعود البريطانية الماكرة^(٢).

وبعد أن تمّ تجريد العرب مما كانوا يملكونه من مقومات الدفاع، وتأكد اليهود من العون الأمريكي غير المحدود، وتمّ حشد العناصر اليهودية المقاتلة؛ قامت بريطانيا -وفق اتفاق سابق- بإعلان تخليها عن الانتداب في فلسطين؛ بزعم عدم قدرتها على السيطرة على اليهود، وأعقبت ذلك بنقل القضية إلى هيئة الأمم المتحدة؛ التي أصدرت قرار التقسيم في (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧م) الذي ينص على تأسيس دولة عربية ودولة يهودية، واعتبار منطقة القدس وبيت لحم منطقة دولية^(٣).

(١) انظر نص النداء في المرجع السابق الصفحة نفسها، وانظر جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن: ٢٨٠.

(٢) انظر زحف الطاعون المزمع. التحركات اليهودية عبر التاريخ: ٤٠١-٤٠٥.

(٣) انظر شهداء فلسطين: ١٨٣-١٨٤، وانظر: القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: ١٢٢.

((وأمام تأمر هيئة الأمم مع بريطانيا واليهود وسائر الدول الصليبية هبت الشعوب العربية المسلمة تستنكر قرار التقسيم، وتشجب غدر بريطانيا وتنادي بحمل السلاح، ودخول المتطوعين المجاهدين إلى أرض فلسطين؛ لإنقاذها من المؤامرة الدولية والغدر البريطاني والجشع اليهودي))^(١).

وتألف جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، الذي كان علماً من أعلام الجهاد الفلسطيني ورمزاً له، بالنظر إلى الأعمال البطولية التي هزت كيان اليهود؛ فنسف الوكالة اليهودية (١٩٤٨م)، وهاجم المستعمرات. فكانت مقاومة فعالة مؤثرة؛ جعلت اليهود يهرعون إلى مجلس الأمن؛ بعد أن عجزوا عن مواجهة جيش الجهاد المقدس، واقتربوا جرائم بشعة بتشجيع من القوات البريطانية. وكان من أبشعها مذبحة دير ياسين، وهي قرية صغيرة في غربي فلسطين هاجمها اليهود بغتة وفتكوا بأهلها وجمعوا جثث القتلى وشوّهوها، ثم ألقوا بها إلى بئر القرية. وذلك في (٩ نيسان ١٩٤٨م). كما أعملت العصابات اليهودية القتل والخراب في المدن والقرى القريبة، مثل: عكا وحيفا ويافا وصفد وطبريا وسمخ^(٢).

((وفي خضم هذا الموقف العالمي المعادي للعرب؛ لم يعد بد من تدخل العرب العسكري في فلسطين؛ أملاً بإنقاذ ما يمكن إنقاذه منها ومن سكانها العرب.

وهكذا دخلت الجيوش العربية -التي كانت في مستهل تكوينها مفتقرة

(١) شهداء فلسطين: ١٨٦.

(٢) انظر: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية: ٣٠١-٣٠٢، وانظر: على أبواب

القدس: ١٥٣.

الافتقار كلّهُ للسلاح والعتاد- في (١٥ أيار ١٩٤٨م) أرض فلسطين؛ فوقعت الواقعة، واشتبكت وحداتها الشبه عزلاء^(١) مع العصابات الصهيونية المدججة بمختلف أنواع الأسلحة الحديثة، فكان من الطبيعي أن لا يكون النصر العربي حاسماً؛ مع البون الشاسع الذي كان بين القوتين المتصارعتين. أضف إلى ذلك تدخل الأمم المتحدة الدائم لصالح الصهيونية، كلما أخرج موقفها العسكري إبان تلك العمليات...^(٢) ومع ذلك رجحت الكفة العربية في المرحلة الأولى، لولا تدخل الأمم المتحدة وفرض الهدنة على الدول العربية. وبذلك أفسح المجال أمام اليهود لإعادة التسليح وجلب المتطوعين من أوروبا، وعندما توقف القتال -بعد عدد من الاتفاقيات (١٩٤٩م)- كانت إسرائيل قد حصلت على جميع الأراضي التي تضمنها قرار التقسيم، إضافة إلى نصف الأراضي التي خُصّصت للفلسطينيين؛ وأعلنت قيام الدولة الباغية^(٣).

وتتابعت الحلقات في سلسلة مآسي الشعب الفلسطيني، من إبعاد وترحيل وإرغام على الهجرة، باستخدام جميع الوسائل لإخراجهم من أرضهم؛ وإحلال اليهود محلهم.

بعد أن أشرفت بريطانيا على غرس الدولة اليهودية ((نصلاً حاداً مغمداً بين ظهراي العرب، لا يفتأ يحتزّهم ويستترّف قواهم؛ حتى تتداعى، فيخلدوا للخنوع والاستسلام، ولا تقوم لهم قائمة))^(٤)، بعد أن قامت بكل ذلك سلّمت علم

(١) هكذا في أصل النص، وهو خطأ، والصواب: شبه العزلاء.

(٢) زحف الطاعون المزمّن، التحركات اليهودية عبر التاريخ: ٤١١.

(٣) انظر جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن: ٤٠٥-٤١٤.

(٤) الصهيونية بين الدين والسياسة: ٢٠.

الصهيونية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، التي عدّت نفسها -منذ ذلك الحين- مسؤولة عن أمن إسرائيل، وتوفير أسباب البقاء والاستمرار لها. فقدمت إليها الهبات والمنح المالية والعينية والقروض، وفتحت لها أبواب خزائنها ومخازن أسلحتها، متعهدّة بالقيام بعملية توازن القوى في الشرق الأوسط بين الدولة اليهودية ومجموع الدول المحيطة بها^(١).

وهكذا تبدّت الأحقاد الصليبية والصهيونية مجتمعة ضد المسلمين، ولا عجب في ذلك؛ فقد جمعتهم وحدة الهدف، ووحدة المصالح. فالصهيونية ليست مقصورة على اليهود، بل هناك نصارى يعتنقون الصهيونية، ويفتخرون بأنهم صهاينة، وهم يزعمون أن الإنجيل امتداد للتوراة، وأن إعادة الهيكل سيُعجّل بمجيء المسيح^(٢).

وبعد أن منيت الجيوش العربية بتلك الهزيمة أمام القوات اليهودية في نكبة ١٩٤٨م، بدأت مشاعر السخط عند الشعوب العربية في كثير من الأقطار، ضد صنّاع هذه الهزيمة. كما تفاقمت النقمة ضد الغرب وأتباعه؛ ممن كانوا وراء إسرائيل، حتى أصبحت دولة ذات كيان مستقل قوي؛ بما تلقاه من دعم الغرب والشرق لها مادياً ومعنوياً فكانت موضع الحذب والرعاية منهم؛ بما يجعل قوتها العسكرية -وحدّها- مضارعةً لمجموع قوى الدول العربية؛ فلا تستطيع أن تصمد أمامها ندأً لند^(٣).

وما انفكت إسرائيل تغتني كل فرصة لتنفيذ أهدافها الإقليمية الصهيونية؛

(١) انظر قبل أن يهدم الأقصى: ١١٨.

(٢) انظر قبل أن يهدم الأقصى: ١٦-١٩. وانظر أمريكا وإسرائيل: ١٦-١٧.

(٣) انظر معركة الإسلام، وقائعنا بين الأمس واليوم: ١٧٩.

فقامت بتشريد أهل فلسطين، وفتحت أبواب الهجرة إليها على مصراعيها أمام كل متشرد من يهود العالم؛ وذلك لسد النقص في العنصر البشري والقوة العسكرية. فتمكّن وكلاء الصهيونية من تهجير عدد كبير من اليهود من شتى بقاع العالم؛ بالقيام بحملة مركزة في الدعاية، غايتها زعزعة وجود الطوائف اليهودية، عن طريق غرس الخوف من الاضطهاد الوشيك، وإيجاد ضغوط سياسية واقتصادية لحملهم على الهجرة إلى فلسطين^(١).

ولم تتخلّ الدول الاستعمارية عن إسرائيل، بل عملت دائماً على دعم نفوذ هذه الدولة وتثبيت أقدامها؛ فأصدرت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ما يعرف باسم ((التصريح الثلاثي)) عام ١٩٥٠م، وجاء في هذا التصريح:

- أن الحكومات الثلاث تقرر بأن الدول العربية ودولة إسرائيل في حاجة إلى الاحتفاظ بمستوى معين من القوات المسلحة؛ لتضمن أمنها، وتتمكّن من الاضطلاع بالدور المنوط بها.

- أن الحكومات الثلاث تلقت من جميع الدول التي تعتمد عليها في التسلّح، ضماناً بأن هذه الدول لا تعتزم القيام بأي عمل عدواني إزاء أي دولة أخرى.

- أن هذه الحكومات تنتهز هذه الفرصة لتعلن اهتمامها بتوطيد أركان السلم في منطقة الشرق الأوسط^(٢).

ومما لا ريب فيه أن الهدف الحقيقي من هذا التصريح هو تقديم ضمانات جديدة للكيان الإسرائيلي في فلسطين، وتهديد العرب، حتى لا يفكروا في استعادة

(١) انظر أطلس الصراع العربي الصهيوني: ٤٣-٤٥.

(٢) انظر زحف الطاعون المزمّن، التحركات اليهودية عبر التاريخ: ١١٧.

أراضيهم بالقوة. وأوضحت الدول الثلاث -فيما بعد عملياً- أنها لم تكن تعني بتصريحها هذا، إلا حماية إسرائيل من اعتداء العرب. أما اعتداء إسرائيل على العرب، فإن هذه الدول تغمض أعينها عنه. فقد كانت الغارات الإسرائيلية العديدة على العرب عمليات عسكرية منظمة، ولم يحدث أن انتهكت أي من الدول العربية اتفاقات الهدنة بأي هجوم على إسرائيل^(١).

وبدأت إسرائيل تمارس سياسة الإدارة القائمة على مبدأ الأمر الواقع في القسم الذي احتلته من القدس عام (١٩٤٨م)^(٢) فمارست الإجراءات التي من شأنها تهويد هذا القسم من بيت المقدس، باعتبار ذلك مرحلة أولى من مراحل أطماعها النهم في القدس جميعها. متجاهلة القوانين والمواثيق الدولية كلها، وبالرغم من القرارات كلها الصادرة عن هيئة الأمم، التي تدين مثل هذه الأعمال. وشجعت الاستيطان اليهودي في القدس: مما أدى إلى تفوق سكاني يهودي في المدينة المقدسة^(٣).

هذا وآياً ما كانت الظروف الصعبة التي كان الشعب الفلسطيني يمرّ بها، فإنه تابع تأدية واجبه الجهادي، فقام بأعمال بطولية ذات طابع عسكري، بمبادرات فردية أو جماعية. مما كبّد العدو خسائر عظيمة؛ فكان رد فعله على تلك

(١) انظر شهداء فلسطين: ٣٦٧.

(٢) في حرب (٤٨) تجزأت القدس إلى قسمين: أولهما - القدس القديمة (الشرقية): وهي التي يحيط بها سور القدس العتيق، وبها كل المقدسات، وظل هذا الجزء بيد العرب بعد الحرب المذكورة، وثانيهما - القدس الجديدة (الغربية): وتقع خارج السور القلسم، وتتميز بعمرائها الحديث، وقد احتلتها إسرائيل عام (١٩٤٨م).

(٣) انظر: بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ: ٥٤-٥٥.

العمليات شن العدوان على القطاع في تشرين الثاني عام ١٩٥٥م^(١). فلم تكف إسرائيل بما استولت عليه في حرب ١٩٤٨م، من الأراضي الفلسطينية، بل تابعت أطماعها التوسعية للاستيلاء على المزيد من الأراضي العربية.

وعندما أعلنت مصر تأميم قناة السويس، اشتعلت نار الغضب لدى بريطانيا؛ فكان أن تحالفت مع فرنسا^(٢) وإسرائيل وكانت الأخيرة ترى أن الفرصة قد سنحت لاحتلال باقي أرض فلسطين، وشبه جزيرة سيناء، فتكون لها السيادة على مشارف قناة السويس^(٣).

وقد بدأت إسرائيل هجومها في تشرين الأول عام ١٩٥٦م، وسرعان ما تدخلت فرنسا وبريطانيا؛ بدعوى وقف الحرب بين مصر وإسرائيل. وذلك تنفيذاً للمؤامرة السريّة مع إسرائيل، وضماناً لمصالحها للتقدم نحو القناة^(٤).

وقد واجه أهالي القطاع حكماً إرهابياً خلال الاحتلال الصهيوني، بعد الهجوم الثلاثي؛ حيث اتبعت القوات الإسرائيلية سياسة الإرهاب العام، والإبادة الجماعية^(٥) والتعذيب النفسي والجسدي.

-
- (١) انظر: البعد الإسلامي للحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة البراق حتى الانتفاضة: ٩٨.
- (٢) كانت فرنسا في ذلك الوقت تحتل الجزائر؛ فرأت أن قهر القيادة العربية في القاهرة، يؤدي إلى سهولة تخطيط الثورة الجزائرية التي كانت مصر تساندها.
- (٣) انظر: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن: ٤٤٩، وانظر تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٠-٧١.
- (٤) انظر: أطلس الصراع العربي الصهيوني: ٥٦.
- (٥) كما حدث في بلدة خان يونس (٣ تشرين ثاني ١٩٥٦م) حيث مارست إسرائيل عمليات الفتك والقتل. انظر: البعد الإسلامي للحركة الوطنية الفلسطينية: ١٠١.

وما انفكت إسرائيل تغتسم كل فرصة لتنفيذ أهدافها التوسعية الصهيونية. فكانت ((تعزز قواتها العسكرية، وتستعدّ لمعركة قادمة مع العرب؛ للاستيلاء على مزيد من الأرض، وفرض الصلح، بحيث تستطيع أن تخفف من الأعباء المالية التي يفرضها سباق التسلح، وسياسة الحرب الدائمة، وبحيث تفتح أمامها أسواق العالم العربي. فقد كان وضع إسرائيل الاقتصادي يسوء بسبب المقاطعة العربية، وغيرها من العقوبات الاقتصادية))^(١).

وكان من العوامل التي دفعت إسرائيل إلى عدوان عام (١٩٦٧م)، تعاضم قدرتها العسكرية، وتزايد نشاط الفدائيين، ومحاولة تقليص النفوذ السوفيتي في بعض الدول العربية، والأزمة الحادة في الاقتصاد الإسرائيلي. فمن شأن الحرب أن توفر دعماً مالياً قوياً عن طريق التبرعات، وكذلك قيام مصر بإغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية. فكانت تلك أبرز الأسباب التي مهّدت للحرب^(٢).

وفي الخامس من حزيران ١٩٦٧م، بادرت إسرائيل بشنّ هجوم غادر بطائراتها على المطارات المصرية، ثم استولت على قطاع غزة، وشبه جزيرة سيناء، إلى أن بلغت قناة السويس. كما احتلت الضفة الغربية للأردن والقدس الشرقية ومرتفعات الجولان السورية. وسقط عدد كبير من القتلى، وتوقف العمل في القناة، وأعلنت إسرائيل القدس عاصمة لدولة الكيان الصهيوني، بعد استيلائها على القدس القديمة (الشرقية)، والتي كانت تحت حكم الأردن. وزاد عدد

(١) تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٢.

(٢) انظر دراسات في تاريخ العرب الحديث: ٤٨٠، وانظر تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٣.

اللاجئين عن ربع مليون فلسطيني من الضفة الغربية وقطاع غزة. ودخل عرب القطاع والضفة تحت حكم إسرائيل^(١).

وبعد هذه الهزيمة الساحقة، بادر مجلس الأمن إلى التدخل لوقف إطلاق النار، ثم أصدر قراراً بسحب القوات الإسرائيلية من المناطق العربية. ولكن إسرائيل رفضت الانسحاب من الأراضي التي احتلتها، وأصرّت على ضم القدس عاصمة لها^(٢).

((وبعد ذلك باشرت إسرائيل تنفيذ مراحل التهويد النهائية (في القدس) ضمن عدد من الإجراءات والقرارات والأوامر العسكرية والإدارية والتشريعية والإرهابية))^(٣).

ب. أحداث ما بعد عام (١٩٦٧م) وأبرزها الانتفاضة:

في (٢١ آب ١٩٦٩م)، تعرض المسجد الأقصى لحادث حريق مفتعل من صنع أحد الإسرائيليين. وقد احترق في هذا الحادث منبر صلاح الدين، وأثاث المسجد وجدرانه. وبعد محاكمة صورية للفاعل، ادّعت السلطات الصهيونية عدم تحميله للمسؤولية الجنائية؛ لأنه مختل عقلياً^(٤).

(١) انظر أطلس الصراع العربي الصهيوني: ٦٢-٦٧، وانظر تاريخ العرب الحديث والمعاصر: ٧٣.

(٢) انظر دراسات في تاريخ العرب الحديث: ٤٨٢.

(٣) بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ: ٥٠.

(٤) انظر أيام دامية في المسجد الأقصى المبارك: ١١، وانظر القدس الشريف خلال فترة الاحتلال

الإسرائيلي ٤٠-٤٢، ٨٢-٨٤.

ووسّعت إسرائيل عملية مصادرة الأراضي العربية، مع تقديم الدعم الكبير لحركة العمران الاستيطاني اليهودي في القدس. وبدأت عملية هدم الأملاك العربية حول الحرم الشريف ومصادرتها. كما أعملت الحفريات بالقرب من الحرم الشريف، وتحت أساساته بهدف تقويضه وهدمه؛ وذلك تحت ستار القيام بأعمال الحفريات الأثرية، للتنقيب عن آثار هيكل سليمان المزعوم^(١).

هذا، وقد استتبع نكبة حزيران أن تنبه العرب من غفلتهم؛ واستشعروا الخطر الداهم الذي يتهددهم؛ مما أدى إلى تحرك الدول العربية في إطار المساعي السياسية والدبلوماسية؛ لإنهاء التزايدات العربية، وإقامة علاقات جديدة، لدعم التقارب في الجبهة العربية. ((وقد كان للملك فيصل - رحمه الله - النصيب الأوفى في تحقيق تضامن العرب وحشد طاقاتهم، وتسخيرها لخدمة القضية العربية، بفضل حنكته السياسية، وغيرته على العروبة والإسلام))^(٢).

وباشرت الحكومات العربية العمل الدؤوب في سبيل إعادة بناء قواتها المسلحة، وتقوية قدراتها القتالية؛ لتهيئتها لعملية الثأر. فمع ذلك الانتصار العسكري الكبير لإسرائيل، إلا أنه لم تتمكن من حمل العرب على الاعتراف بها، أو التفاوض معها. وأدركت الحكومات العربية أن ما انتزع بالقوة لا يسترد إلا بالقوة. ومن هنا بدأ الاستعداد العربي لاسترجاع الأراضي المحتلة، واستعادة

(١) انظر حركة المقاومة الإسلامية، نظرات في الفكر والممارسة: ١٢-١٥، وانظر القلس الشريف

خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي: ٤٠-٤٧، ٨٢-٨٤.

(٢) من سيناء إلى كامب ديفيد: ٧٥.

الحقوق المشروعة لشعب فلسطين. فتمّ توقيع اتفاقية عسكرية بين مصر وسورية، تحدّدت فيها أهداف الصراع القادم وطرق قيادته^(١).

وتمّ الإعداد العسكري للحرب، وبنّت القيادة المصرية خطتها على عدّة مبادئ رئيسة من أهمها: إقامة نظام دفاعي جويّ متفوق؛ لحرمان العدو من هذه الميزات، والتخطيط الدقيق لاقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف^(٢).

وبدأت الحرب في ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ م - في شهر رمضان - حين اجتازت القوات المصرية قناة السويس، وتمّ تدمير خط بارليف (خط الدفاع الإسرائيلي) على الضفة الشرقية من القناة^(٣).

واستطاعت إسرائيل - بعد ذلك - اختراق القناة، واحتلال بعض أجزاء الضفة الغربية لقناة السويس، واختراق خطوط القتال السورية.

وانتهت هذه الحرب بإصدار مجلس الأمن قراراً دعا إلى وقف إطلاق النار. وذلك بعد أن اتفقت الولايات المتحدة وروسيا على وقف القتال بين العرب وإسرائيل، لمحاولة الوصول إلى تسوية للتراع. ((فكانت اتفاقية فكّ الارتباط بين القوات المصرية والإسرائيلية في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ م، وبقيت القوات

(١) انظر تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٥.

(٢) خط بارليف: خط دفاعي أنشأه اليهود بمحاذاة قناة السويس من جهة سيناء؛ ليحول دون أي هجوم من جهة مصر على إسرائيل، وصاروا يتفخرون به، وأنه سيكون مقبرة لكل من يحلم بعبوره، انظر: من سيناء إلى كامب ديفيد (٦٧-٧٩): ٧٦-٧٧.

(٣) انظر المرجع السابق: ٨٨-٨٩، وانظر: تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٦-٧٧.

المصرية في الضفة الشرقية))^(١) وأعيد فتح قناة السويس للملاحة الدولية (١٩٧٥م)، بعد إغلاقها ثمانية أعوام، منذ حرب حزيران ١٩٦٧م^(٢).

وجدير بالذكر أنه تم استخدام البترول سلاحاً سياسياً في هذه الحرب. فكانت المبادرة السعودية هي أول مبادرة قوية في هذا الصدد^(٣). إذ أرسل الملك فيصل رسالة إلى الولايات المتحدة، جاء فيها: ((إن العربية السعودية لن تزيد إنتاجها الحالي من النفط إذا لم تغير الولايات المتحدة موقفها المنحاز إلى إسرائيل))^(٤). وقرر الوزراء العرب - في اجتماع للدول العربية المنتجة للبترول عقد في الكويت - خفض الإنتاج بنسبة ٢٥% ثم يزداد التخفيض بمعدل ٥% حتى يتم جلاء القوات الإسرائيلية؛ ويستعيد الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة. وأدى ذلك إلى ارتفاع أسعار النفط، وبالتالي إلى أزمة اقتصادية تهدد الأمن الداخلي والاستقرار السياسي للدول الأوروبية^(٥).

هذا، وقد ((تصاعدت الأعمال الفدائية... وتميزت بقدرة الفدائيين على اختراق حدود فلسطين المحتلة، والتوغل بالعمق، وضرب أهداف كان يعدها العدو آمنة وخارج نطاق العمليات الفدائية))^(٦).

(١) تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٨.

(٢) انظر المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٣) حاول العرب استخدام البترول في المعركة مع إسرائيل مرتين، ولكن المحاولة أخفقت لعدة أسباب، انظر: من سيناء إلى كامب ديفيد: ١٤٧.

(٤) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٥) انظر أطلس الصراع العربي الصهيوني: ٨٤.

(٦) المرجع السابق: ٩٦.

وإزاء ذلك، شرعت إسرائيل تحوّل المؤامرات للقضاء على المقاومة الفلسطينية، فتذرعت بالعمليات الفدائية -التي كانت تنظمها المقاومة الفلسطينية في لبنان- مقدمة لاجتياح لبنان. ففي عام ١٩٧٢م أغارت القوات الإسرائيلية على جنوب لبنان، وقصفت مخيمات الفلسطينيين، تحت ستار ضرب قواعد الفدائيين. ولكنها كانت في الواقع نوعاً من حرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني^(١).

واستمرت الحرب في لبنان، وتمكن العدو في حزيران ١٩٨٢م من اجتياح لبنان، والوصول إلى العاصمة بيروت. وجرت معارك عنيفة بين الطرفين، انتهت بخروج منظمة التحرير بكامل أسلحتها عن طريق البحر؛ بعد أن توسطت بعض الدول العربية لإنهاء القتال^(٢).

واستمرت خيوط المؤامرة حول الوجود الفلسطيني في لبنان. وكان من أبرز الأحداث، العدوان الوحشي على مخيمي صبرا وشاتيلا في جنوب لبنان، في ١٦ أيلول ١٩٨٢م. حيث اجتاح الجيش الإسرائيلي وعملاؤه هذين المخيمين، وقام بمجزرة رهينة؛ ذهب ضحيتها حوالي سبعة آلاف فلسطيني. وقد هزّت هذه المجزرة الرأي العام العالمي، وقوبلت بالسخط والتنديد، وأظهرت الحقد الصهيوني السافر ضد الفلسطينيين^(٣).

(١) انظر أسباب وأسرار الحرب اللبنانية (٧٥-٧٦): ٢٠٩-٢١٠، وانظر أطلس الصراع العربي الصهيوني: ٧٩.

(٢) انظر تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٨١.

(٣) انظر المرجع السابق: ٨٩.

وفي غمرة تلك الأحداث ((سارت العلاقات العربية في اتجاه مختلف؛ أدى إلى التفكك والتمزق...، وأدى أيضاً إلى خروج مصر من ساحة الصراع؛ بتوقيع اتفاق صلح مع إسرائيل))^(١) وقد قوبلت هذه الاتفاقية (كامب ديفيد) بموجات عارمة من الشجب، من قبل الدول العربية.

واستعاد السوريون القنيطرة من إسرائيل، بعد أن دمّرها تدميراً كاملاً، وتراجعت القوات الإسرائيلية في سيناء، وجلت عن مجموعة من البقاع التي أعيدت إلى مصر، والتي احتوت على حقول البترول^(٢).

هذا، وقد تُوجّج تاريخ جهاد الشعب الفلسطيني، بانتفاضة عام ١٩٨٧م؛ فكانت هذه الانتفاضة حلقة جديدة في سلسلة متصلة الحلقات من الجهاد الفلسطيني، منذ بداية العدوان الصهيوني على فلسطين.

وثمة أمر لا بد من تجليته بادئ ذي بدء -عند الحديث عن الانتفاضة- وهو أن هذه الانتفاضة تتميز بالتنظيم الدقيق، والتنسيق التام. في حين كانت الثورات السابقة تحدث بصورة عفوية غالباً وتكون ردة فعل لبعض الاستفزات الصهيونية، أو للتعبير عن المشاعر الوطنية في بعض المناسبات.

وقد كان لهذه الانتفاضة وتطورها أسباب ودوافع، من أهمها: الإرهاب الصهيوني؛ إذ ((شملت قوانين الاحتلال الاستيطانية التوسعية جميع مجالات الحياة في فلسطين، ولم تترك للشعب متنفساً للحياة الكريمة المستقرة))^(٣) فاستولت

(١) تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٩.

(٢) انظر ملف الانتفاضة: ٧٣، وانظر الانتفاضة المباركة، وقائع وأبعاد: ١٦-٢٢.

(٣) الانتفاضة المباركة، وقائع وأبعاد: ١٦-٢٢.

السلطات الصهيونية على الأراضي والأوقاف الإسلامية؛ وشيّدت عليها المستوطنات بعد إبعاد أصحابها وتهجيرهم منها. كما لجأت إلى التنكيل بالشعب، واعتقال أبنائه، ضاربة عرض الحائط بالقوانين الدولية التي تحدّ من صلاحيات الدولة المحتلة، فيما يتعلق بالمواطنين تحت الاحتلال. وقامت تلك السلطات بنسف المنازل بدعوى مقاومة أصحابها الاحتلال. كما قامت بإبعاد الفلسطينيين من أراضيهم وترحيلهم، وفرضت الضرائب الباهظة، لتدعم بذلك اقتصادها؛ وتجعل أوضاع المواطنين في تردٍ دائم. وتدخل الاحتلال في مناهج الدراسة، فغيرها، وقيد مجالات الدراسات الأكاديمية وأنواعها، هذا فضلاً عن أنواع أخرى من القهر الصهيوني، لسحق الشعب الفلسطيني المسلم^(١).

وكان تنامي الصحوة الإسلامية التي عمّت البلاد منذ منتصف السبعينيات، من أهم الدوافع التي أبرزت الانتفاضة، وحدّدت منطلقاتها، في مواجهة العدو اليهودي بفاعلية وعنف.

وفي ((٨ كانون الأول ١٩٨٧ م، وأثناء عودة عمال قطاع غزة خرجت مقطورة من مستوطنة (إيريز) وانحرفت إلى الشارع الموازي لتحطيم سيارتين مما أدى إلى مقتل عدد من الفلسطينيين من مخيم جباليا، وجرح آخرين))^(٢).

وبعد هذه الحادثة دعا الشباب المسلم كافة سكان المخيم للمشاركة في جنازة الشهداء. وتحولت إلى مظاهرة قادها شباب حركة المقاومة الإسلامية، وقاموا بهجوم على مركز الجيش الإسرائيلي في المخيم. ودارت معركة ضارية بين

(١) انظر ملف الانتفاضة: ٧٣، وانظر الانتفاضة المباركة، وقائع وأبعاد: ١٦-٢٢.

(٢) القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: ١٧٣.

الجانبين^(١). فكانت هذه الحادثة هي ((الشرارة التي أشعلت الفتيل، بقرار حركة المقاومة الإسلامية، بتصعيد الانتفاضة المباركة))^(٢).

واستمرت التظاهرات قوية صامدة، مع اشتداد الممارسات القمعية من قبل الجيش الإسرائيلي. وامتدت إلى جميع مناطق غزة، ووصلت إلى مدن الضفة الغربية ومخيماتها^(٣).

كما استمرت سياسة القمع الصهيونية؛ لمواجهة هذه الانتفاضة الشعبية العارمة. فكثف العدو عمليات القتل والاعتقالات والتعذيب والإبعاد وإخلاء الأرض من السكان وجباية الضرائب من المواطنين^(٤).

وقد كان للانتفاضة تأثيرها الفعال على العدو الإسرائيلي. حتى إن وزارة دفاعه تركت مهماتها الأساسية لمواجهة هذه الثورة، التي استخدمت الحجارة، والزجاجات الحارقة، وإشعال الحرائق؛ ونشرت الرعب بين المستوطنين اليهود^(٥).

وتظل الانتفاضة الجهادية تعبيراً عن رفض الوجود الصهيوني في إسرائيل، فتقدم مئات الشهداء والجرحى والمعتقلين، مع استمرار وسائل القمع التي يستخدمها العدو. وكان من أهم سمات هذه الانتفاضة المباركة، ظهور دور حركة المقاومة الإسلامية في قيادة الانتفاضة وتوجيهها، في معظم قرى الضفة

(١) انظر الانتفاضة المباركة ومستقبلها: ٥٣.

(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٣) انظر القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: ١٧٤.

(٤) انظر ملف الانتفاضة: ٢٣٨، وانظر: الانتفاضة المباركة: ٣٢.

(٥) انظر حركة المقاومة الإسلامية: ٤٣٣، وانظر الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية، دراسة

في الإدراك والكرامة: ١١٠-١١٤-١٢٢.

والقطاع ومدفها، وإصرارها على استمرار الثورة الجهادية حتى التحرير وطرد الاحتلال. فمما جاء في ميثاق هذه الحركة: ((تعارض المبادرات، وما يسمى بالحلول السلمية، والمؤتمرات الدولية؛ لحل القضية الفلسطينية، مع عقيدة حركة المقاومة الإسلامية. فالتفريط في أي جزء من فلسطين، تفريط في جزء من الدين...))^(١).

ويستمر صراعنا مع اليهود -الصراع العقائدي في منطلقاته وخططه وأهدافه- صراعاً بين العقيدة الإسلامية، وعقيدة التوراة المحرفة. وهو جهاد يستهدف الوصول إلى نتيجة واحدة محددة، هي تحرير الأرض المقدسة.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١/١٢].

(١) القضية الفلسطينية بين ميثاقين: ١٠١.

تفاعل الشعر الإسلامي مع الواقع الحي للمأساة

- ✽ المبحث الأول: نكبة عام (١٩٦٧م): أسبابها وآثارها.
- ✽ المبحث الثاني: من معاناة الشعب الفلسطيني ومظاهر الإرهاب.
- ✽ المبحث الثالث: مأساة التروح ومشاعر الحنين والغربة.
- ✽ المبحث الرابع: حريق المسجد الأقصى عام (١٩٦٩م) وردود الفعل العربية.
- ✽ المبحث الخامس: اجتياح لبنان ومذبحة صبرا وشاتيلا.

مقدمة

الشعراء مرآيا الأمة، يعكسون واقعها ويحكون آلامها وآمالها، ويجسدون مسارات فكرها، ويؤرخون لكل أحداثها.

وقد واکب الشعر الإسلامي أحداث القضية الفلسطينية، وصور محنة الشعب الفلسطيني ومعاناته في سبيل تحرير أرضه المقدسة المغتصبة، فانسابت القصائد التي تصور المأساة بلسان يبين عن زفرة الأسى ولظى الحنين وتدفق الألم، مما يعكس استشعار المسلم للمسؤولية المنوطة به، فعبّر عن آلام الشعب في محتته القاسية وآماله في غد مشرق وحياة آمنة كريمة، ونبه الضمائر إلى ضرورة الدفاع عن الحق السليب واسترجاع الوطن المحتل.

وقد طرق الشعراء هذا الباب من خلال موضوعات عديدة منها:

المبحث الأول

نكبة عام ١٩٦٧م، أسبابها وآثارها

بعد استقرار جملة صالحة من الشعر الذي عرض لهذه النكبة وما تلاها من مضاعفات وما أعقبها من عواقب، وجدت أن تلك الأشعار تتناول بصورة رئيسة القضيتين التاليتين:

- وصف أحداث النكبة والهزيمة، والتعرض للأسباب التي أدت إلى وقوعها، والأثر النفسي الذي تركه هول هذه النكبة في النفوس الشاعرة.

- سبيل مواجهة النكبات التي منيت بها الأمة - وهذه إحداها - ورسم طريق النجاة الوحيد، مستمداً من عقيدتنا وديننا الذي يوجه سلوك المسلم وينير خطواته.

لذا سأحصر الكلام في هاتين القضيتين، مستشهداً بأشعار سبعة من الشعراء الذين تناولوا هذه النكبة، على أنها نماذج للكثير الذي قيل في ذلك، مما لا سبيل إلى الإحاطة به جميعاً.

في مقدمة الشعراء الذين توقفوا عند هذا الحدث، الشاعر السوري عمر بهاء الدين الأميري^(١)، الذي نظم قصيدة طويلة عنوانها: الهزيمة والفجر. وهذا العنوان

(١) عمر بهاء الدين الأميري: (١٩١٥-١٩٩١م) ولد في حلب في سورية، عمل في التدريس والمحاماة، ثم عين وزيراً مفوضاً في باكستان وفي السعودية، ثم اختار الإقامة في المغرب إلى أن توفي وله دواوين كثيرة. انظر من شعر الجهاد في العصر الحديث: ٢٨٥.

الذي اختاره لقصيدته يبنىء بنفسية الشاعر وتأرجحها بين مشاعر اليأس والأمل حيث يقول^(١):

على بُراقٍ من الإشراق منطلَقِي من حَومةِ الهمِّ واللأواءِ والقلَقِ
في مطمحي أملٌ لم تحبُّ جذوئهُ برحمةِ الله والأعباءِ في عُنُقِي
أرنو إلى الله والضراءُ تُحدِقُ بي ونكبةُ المسجدِ الأقصى على حَدَقِي

فنكبة الأقصى تملأ قلبه وبصره، والأمل برحمة الله يشده للتطلع إلى المستقبل، ولكنه غير قادر على تصور ما آلت إليه حال المقدسات بعد الاحتلال^(٢):

عيناَي عيناَي ويلُ الهولِ صورُتُهُ في أدمعي حيثما يَمَمْتُ من أفقي
ما لي أرى الصخرةَ الشَّمَاءَ في كمدٍ تذوي وعهدي بها مرفوعةَ العُنُقِ
ومنبرُ المسجدِ الأقصى يئنُ أسىً قد كان يحبو الدُّنا من طهره الغَدَقِ

كما كان للشاعر وقفة واعية على أسباب الهزيمة ومقدماتها، فاليهود -مع ذلتهم وتفرقهم وقلة عددهم- أخذوا بأسباب القوة، وتوحدوا في حروبهم، واستخدموا المكر والحيلة التي جُبلوا عليها، فكان لهم النصر^(٣):

وقائلين يهودُ قلتِ واحرَبَا أجل يهودُ يهودُ الذلُّ والفرَقِ
يا لائمون انظروا فالله من أزلٍ أرسى نواميسه في الخلق كالفلَقِ
هم يحاربونا برأي واحد، عدد قلٌّ ولكن مضاءً ثابتُ النَّسَقِ
علماء ودأباً وإعداداً وتعبئةً وبادروا غزونا في مكرٍ مستَبَقِ

(١) من وحي فلسطين: ٦٥.

(٢) المرجع السابق: ٦٥-٦٦.

(٣) المرجع السابق: ٦٩.

وهو ينظر بالمقابل إلى حال المسلمين فيجدهم كثرة لا تغني شيئاً، وآراء
بدداً، شئت شملهم وبُدد جمعهم^(١):

كُثُرٌ ولكن عديدٌ لا اعتدادَ به	جمع ولكن بديدٌ غيرُ متسقٍ
حارتْ عقائدُنا زاغتْ قواعِدُنا	أما الرؤوسُ فرأيٌ غيرُ متفقٍ
وأعلنوها وما خاضوا معامِعَها	ولا أعدّوا لها إعدادَ ذي حَذَقٍ
فكان من أمرنا ما كان من فشلٍ	هذي جحافلُهم مهزومةُ المِزَقِ
بهم هُزِمنا وما زلنا وما اتعظَلتْ	عُميُّ النفوسِ ألا إن الشقيَّ شقي!

فالشاعر هنا يؤكد سبب الهزيمة؛ إنه الفرقة والاختلاف وعدم وضع الأمور
في نصابها الصحيح؛ فقد كانت البلاد العربية في ذلك الوقت غارقة في خلافاتها،
مما شغلها عن تهيئة أسباب القوة والإعداد للحرب، فأعلنوا الحرب ولم يخوضوها،
وإنما هزمهم العدو في الساعات الأولى منها مستغلاً عنصر المفاجأة بعد أن
استكمل الإعداد لها فكانت النكبة والهزيمة.

وخلاصة ما ذكره الشاعر أن مقدسات فلسطين الإسلامية ملء السمع
والبصر، وأن اليهود عدّوا عليها متسلّحين بتوحيد الصف والكلمة، وأخذين
بأسباب النصر، وأن العرب والمسلمين بالمقابل حملوا بذور الفرقة وزيف العقيدة
وافتراق الكلمة فكانت هذه النتيجة الفاجعة.

وفي ذكرى الهزيمة ينظم الشاعر قصيدة بعنوان ((سيطول الطريق والنصر
آت)) ويقدم لها بقوله^(١): ((أيام وتطل ذكرى الهول الفاجع، ذكرى الهزيمة

(١) من وحي فلسطين: ٧٠-٧٢.

والنكبة، ذكرى الخامس من حزيران، فأين نحن من معركة الثأر، وأين نحن من يوم النصر؟)). وعنوان القصيدة يدل على مغزاها، حيث يعرض الشاعر في مقدمتها أثر هزيمة الخامس من حزيران وما تبعها من أحداث أليمة. ثم طفق يؤنب المسلمين على التراخي عن نصره إخوانهم في الأرض المباركة. وانشغالهم بالشعارات الخادعة التي أوردتهم موارد الذل والخضوع، وأعمت أعينهم عن ((دواهي حزيران)) وموت عليهم ((النكبة الضروس)) يقول^(٢):

تتوالى ذكرى حزيران والأحـ	لـدات تُثرى والجرحُ يزدادُ عمقا
وتُسيغ الحياة في رهج الزئـ	فـفٍ وتُلوي عن المخاطر عُنقا!
وكأننا قد أزمَنَ البطل فينا	فغدونا لا نعرف الحقَّ حقاً

((ويميط الستار عن سبب بارز في النكبة: إنه تكييل الطغاة للشعوب والوصاية عليها والنطق ظلماً باسمها. ولقد هُزم الطغاة بتكييل الشعوب وإهدار طاقاتها وعقيدتها، ومصادرة حرياتها))^(٣) يقول^(٤):

الشعاراتُ للخداع هتافا	تُ وزورُ نرقى بها شرُّ مرقى
ويساقُ الشعبُ المكبلُ بالأغـ	لالٍ في موكبِ التحررِ سَوْقا
موهوا النكبة الضروسَ عليه	حنقوا ثورة الجماهير خنقا
أيها الصُّمُّ عن دواهي حزيران	ن بكمثم فلا تطيقون نطقا

(١) من وحي فلسطين: ١٦٤.

(٢) المرجع السابق: ١٦٥.

(٣) شعراء وأدباء على منهج الأدب الإسلامي: ١٨/٢.

(٤) من وحي فلسطين: ١٦٦.

والأفكار نفسها التي وردت في قصيدتي الأميري يكررها الشاعر أحمد محمد الصديق^(١)، الذي نظم قصيدة في نكبة حزيران مطلعها^(٢):

من رعشة الجرح بل من وطأة الألم يجيش بالشعر في ليل الأسى قلبي
ويُلَمَح من هذا المطلع مدى المعاناة التي غشت قلب الشاعر بالأواء والأسى
جاء النكبة، ثم يقول^(٣):

عجبتُ من أمةٍ قد أسلمتْ يَدَها للقيدِ مذلولَةً منكوسةَ العَلَمِ
ألا بقیةَ إيمانٍ تحركُها ونفحةٌ من إباءِ الروحِ والشَّمَمِ؟
ما جرعتُ محنةً بالخزيِ مثقلةً أمرٌ من كاسِنَا كاساً لمنهزمِ

وهو في ذلك يتعجب من الحالة التي آلت إليها الأمة؛ إذ أصبحت أعلامها منكسة حين أسلمت يدها للقيد في ذلة واستكانة، ويتساءل: أين روح الإباء والعزة التي يذكها الإيمان في قلب المسلم؟ ألم يبق منها بقية؟. ثم يقرر أن هذه المحنة المثقلة بالخزي قد جرعت الأمة كأساً مرّاً لم يتجرعه أحد.

واستمراراً في استشارة المشاعر الإسلامية لدى أبناء الأمة، نظم الشاعر نفسه قصيدة أخرى عقب النكبة أسماها ((يا مسلمون)) غمرتها الروح الجهادية وظللتها

(١) أحمد محمد الصديق: شاعر فلسطيني، ولد في (شفا عمرو) بالقرب من حيفا في فلسطين، عام ١٩٤١م، درس الشريعة في السودان، وعمل في التدريس في قطر، وحصل على الماجستير في الشريعة الإسلامية في جامعة الأزهر. انظر الشعر الإسلامي الحديث: ٢٠١.

(٢) نداء الحق: ٢٢٢.

(٣) المرجع والصفحة نفسها.

بظلال الثورة والدعوة إلى الانتقام والأخذ بالثأر. وفيها يوجه الشاعر نداءه إلى المسلمين فيقول^(١):

يا مسلمون ومن سواكم للحمى	إن كَثُرَتْ عن ناهي الأخطار؟
يدعوكم الوطنُ الذبيحُ ومسجدُ	أسري إلى ساحاته المختارُ
يجترُّ في القيدِ العذابَ مردداً	شكواه: أين الأمة الأخيار؟
أين الذين همُّ الرجالُ إذا دُعوا	هَبُوا، وإن دوى النفيرُ أغاروا؟

فالشاعر يهيب بأبناء الأمة إلى الزحف المقدس لنصرة إخوانهم في أرض الإسرائ، فليس من الإيمان أن يسمع المسلمون نداء ((الوطن الذبيح)) ولا يجيئون وليس من الإسلام أن يروا المسجد الأقصى ((يجتر في القيد العذاب)) ولا يلبون نداءه.

ويصف الشاعر الهزيمة وأثرها في نفوس المسلمين، وما أحدثت من هزة عنيفة نبهتهم من غفلتهم، وأزالت الغشاوة عن أعينهم فيقول^(٢):

خطبٌ ألمٌ ومحنةٌ مكتوبةٌ	بدمائنا زاغت لها الأبصارُ
ولعلها تجلو القذى عن أعين	فتخط درباً ليس فيه عثار
فليَنقشعَ عنا الضبابُ فإنه	دون الحقيقةِ حائلٌ وستارُ
ولينكشفَ ليلُ الطواغيتِ الألى	عاثوا فساداً في البلادِ وجاروا
الله ليس بغافلٍ وقضاؤه	عدلٌ، تعالى الواحدُ القهارُ

(١) نداء الحق: ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) نداء الحق: ٢٢٩.

ومن الشعراء الذين توقفوا عند هذا الحدث الشاعر أحمد فرح عقيلان^(١)، فقد نظم قصيدة بعنوان ((صرخة في مآتم العيد)) في أول عيد بعد نكبة حزيران سنة ١٩٦٧م. والقصيدة حافلة بالنداء الوجداني الذي يهز المشاعر ويوقظ القلوب ويثير العواطف.

يحدثنا الشاعر في مستهل قصيدته عن العيد بعد الهزيمة فيقول^(٢):

يا عيدُ يا مآتماً للأهل والدار	لا عُدْتَ إن لم يُزَيِّنْكَ الدَّمُ الجاري!
حطمتُ قيثارتي قَطَعْتُ أوتاري	جفَّ الغِنَاءُ ودَقَّتْ ساعةُ الثَّارِ
ماذا أغنِّي وتاريخُ العروبةِ في	مستنقعِ الذلِّ والتشريدِ والعارِ؟
والقلسُ والمسجدُ الأقصى وصخرته	عاد الأذانُ بها تهريجَ كفَّارِ

ويرتفع صوت الشاعر مخاطباً عيد الهزيمة؛ لأنه لا عيد إلا بعد النصر في معركة الثَّار، فهذا هو العيد الحقيقي وهو الفرحة الكبرى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ **بِنَصْرِ اللَّهِ** [الروم: ٤/٣٠-٥] ويتساءل الشاعر: هل للفرح مكان في هذا الواقع المؤلم وقد حلَّ بالأقصى ما حلَّ حيث عاث اليهود به فساداً وإفساداً؟.

وفي جو الهزائم والغمة التي تخيم على الأمة، يتوجه الشاعر إلى أعماق

(١) أحمد فرح عقيلان: شاعر فلسطيني، ولد في قرية الفالوجة بفلسطين سنة ١٩٢٤م، نشأ في

أسرة متدينة تحب العلم والأدب، عمل مدرساً في فلسطين وفي السعودية، ثم أصبح مستشاراً ثقافياً في الرئاسة العامة لرعاية الشباب، وله مشاركات في الإذاعة والصحافة والتلفاز، انظر

مدرسة بدر وشعراؤها: ٤٦.

(٢) جرح الإباء: ٢١.

التاريخ، فيسمع صوت صلاح الدين الأيوبي غاضباً ساخطاً، منكراً على أبناء الأمة الخنوع والاستكانة وهم أهل العقيدة ونسل الصحابة من الصيد والأطهار، ومذكراً إياهم بما حققه من انتصارات على العدو الصليبي بتأييد من الله لإعلاء راية التوحيد، جاعلاً شعاره ((الله أكبر)) ومجاهداً في سبيله تحت هذا الشعار^(١):

كأن صوت صلاح الدين من غضبٍ	يكاد يقذف وجه العرب بالنار
يقول: يا عرب يا أهل العقيدة يا	نسل الصحابة من صيد وأطهار
بالأمس دوّخت أوربا بما حشدت	واليوم يهزمكم شذاذ أشرار
لما حملت لواء الله أيديني	وعاد (ريكرد) قلب الليث كالفار
وجلجلت راية التوحيد تحرسنا	كأنما خفقها أنفاس إعصار
الله أكبر في حطين صرختنا	أما الشعار فدين الخالق الباري

ويسهب الشاعر في الحديث عن أسباب الهزيمة، فبعد أن عرض تلك الصورة المشرقة للتاريخ المجيد، يأتي بالصورة المقابلة لها في الحاضر الأليم، ليظهر بوضوح سبب الهزيمة بعد النصر، والضعف بعد القوة^(٢):

لهفي على العرب أعلاماً ممزقة	وراءها كل طبال وزمار
تقسّمنا شعارات يروّجها	في شعبنا كل طاغوت وغدار
فإن دعا للهدى والحق داعية	تناعقوا حوله: رجعي أفكار
ساروا إلى الحرب أشتاتاً بلا هدف	مزودين بقرع الدف والطار
وقد رأوا صفرة الرئان باهرة	باعوا الكرامة قنطاراً بدينار

(١) جرح الإباء: ٢٢-٢٣.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

فالتمزق والفرقة والخلافات في مقدمة أسباب الهزيمة، أما الجهاد فتحول إلى شعارات يروجها الطواغيت تضليلاً للشعوب، فاستشرت الرذائل وركن الناس إلى الدنيا ((فباعوا الكرامة قنطاراً بدينار)).

ومن الشعراء الذين أبرزوا أسباب الهزيمة الشاعر مأمون جرار^(١) في قصيدته ((القدس تصرخ)) التي يبدوها بتساؤل يستصرخ فيه الأمة لإنقاذ الأقصى من براثن الأعداء، حيث يقول^(٢):

مالي أراكم تائهين حيارى؟	مالي أراكم ذاهلين سُكارى
متقلين به دجىً ونهاراً؟	مالي أراكم قائمين على الخنا
خلف السراب. ألا ترون مناراً؟	مالي أراكم تركضون لهوة
لاقت سفينةً ركبها إعصاراً	يا قوم أبكتني مصائبُ أمةٍ
وتخافتت دقائمه استنكاراً	يا قومنا قد ذاب قلبي من أسى

فردة الفعل التي تركتها النكبة لدى الشاعر تتمثل في هذه التساؤلات الحائرة، لم التيه والذهول والإعراض عن الدين؟ لم الركض نحو السراب، ولديكم المنار الذي يهديكم في بحر الحياة؟.

(١) مأمون فریز جرار: أديب وشاعر إسلامي معاصر ولد في قرية صانور في فلسطين عام ١٩٤٩م، أتم دراسته الجامعية الأولى وكذا دراساته العليا وحصل على دكتوراة في الأدب العربي عام ١٩٨٧م، له عدة دراسات ودواوين شعرية، انظر: مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٣٤٧.

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية: ٧٧/٣-٧٨.

ثم يلتفت الشاعر إلى وصف الأثر النفسي لهذه المأساة. فالبكاء ديدنه على أمة تاهت سفينتها حين واجهت الإعصار، وقلبه يذوب أسى جراء الفاجعة، حين تحول أصحاب الأرض إلى أسرى في أرضهم.

ويفصل الشاعر في البيتين التاليين في نتائج الهزيمة، فيستنطق القدس بصرخة استنجد توجّها إلى أسماع أبناء الأمة، لأن اليهود يخططون لهدم الأقصى، مسرى النبي. وقد استباحوا حرمة المقدسات، وعاثوا فيها الفساد، فيقول^(١):

والقدسُ تصرخُ أنقذوني فالعدا راموا بإسراءِ النبي دمارا
ها هم بنو صهيون داسو حُرمتي جعلوا الغواية والفساد شعارا

ويحصر الشاعر أسباب النكبة في أمرين: الأول: أننا لم نوعظ بالنكبات السابقة، التي كانت نكبة (١٩٦٧م) مترتبة عليها. والثاني: أننا أحسنّا الظن في أعدائنا مع وضوح أهدافهم العدائية يقول^(٢):

يا قومُ كم من نكبةٍ مرّت ولم نوعظ بها إذ تحمل الإنذارا
لم نلقِ بالاً للنذير وإنما سرنا نطاولع مجرمًا جبارا

وفي قصيدة أخرى^(٣) يسهب الشاعر في بيان أسباب الهزيمة. ثم يأسف لحال الأمة الذي أدى بها إلى هذه النكبة. ويعلن أن السبب الرئيسي هو التمزق والفرقة وتعدد الأحزاب والشعارات. كما يعلن الشاعر أن الذي زرع بذور الصراع والفرقة هو المستفيد الوحيد من ذلك كله، إنه العدو المتمثل في (الثالوث المشترك)

(١) شعراء الدعوة الإسلامية: ٧٨/٣.

(٢) المرجع والجزء والصفحة نفسها.

(٣) المرجع نفسه: ٨٠/٣-٨١.

دول الغرب والشرق والصهيونية. التي اتخذت شعار (فرّق تسد) لتفتيت وحدة المسلمين، وتمزيق جهودهم حتى لا يتوحدوا ضدها. وكل ذلك قد تمّ والأمة لا تزال سادرة في غيها غير مدركة لما يُحاك ضدها.

وللشاعر حسان حتحوت^(١) قصيدة يقدم لها بقوله^(٢):

((بعد هزيمة يونيه ١٩٦٧م، قصدت العمرة والزيارة، وفي مجلس بالروضة الشريفة كانت دموع وشجون، ونجوى ودعاء)). ونجد الشاعر في هذه القصيدة يشارك الشعراء السابقين في نظرهم الواعية إلى الأحداث، فلا يتوقف عند عامل التمزق والفرقة وحسب، وإنما يتعداه إلى أسباب أخرى. فبعد أن يبدأ قصيدته بمناجاة إلهية وتضرع إلى الله يقول^(٣):

ولقد برى عودي وأرقّ مقلتي	أني رأيتُ الداء لا يتوارى
ورأيت أمة أحمد قد أصبحت	في بعدها عن أحمد تبارى
من بعد عصمتكم بحبل الله أضـ	بحتم شراذم في الخضم صغارا
كتتم أسوداً في حمى إيمانكم	فخلعتم الأنياب والأظفارا
ولقد شهدت الخطب قبل وقوعه	لم يأل تحذيراً ولا إنذاراً
من يزرع التفريط في إيمانه	يجن الهزيمة والهوان ثمارا

(١) ولد الدكتور حسان حتحوت بمصر في كانون الأول ١٩٢٤م، ودرس الطب في جامعة القاهرة، ثم حصل على دكتوراة الفلسفة من جامعة أدنبرة عام ١٩٦٤م وحصل على زمالة كلية الجراحين الملكية بأدنبرة وكلية الجراحين الأمريكية، وعمل أستاذاً بكلية الطب بجامعة الكويت وما زال، وله كتابات علمية وإسلامية، انظر شعراء الدعوة الإسلامية: ٩/١-١٠.

(٢) جراح وأفراح: ٨٥.

(٣) المرجع نفسه: ٨٧-٨٨.

يا مسلمون وما لعيني لا ترى
دار الزمان عليهم فتغيروا
حسبوا بأن الدين عزلة راهب
والدين كان ولا يزال فرائضاً
والدين مصباح حملنا نوره
والدين حكم باسم ربك قائم
ذاك الهدى يا من يسأل ما الهدى؟
للمسلمين الورد والإصدارا
ليت الزمان عليهم ما دارا
واستمرؤوا الأوراد والأذكارا
ونوافلاً لله واستغفارا
لنبث ما بين الدجى أنوارا
بالعدل لا جوراً ولا استهتارا
فبأي آيات الهدى تمارى؟

نجد عند الشاعر حسان صوتاً موقظاً ومنبهاً للمسلمين، فأساس الهزيمة يكمن في البعد عن الدين الذي به يتوحد المسلمون، وبغيره يصبحون ((شراذم في الخضم صغاراً)) وقد كانوا من قبل أسوداً في حمى الإيمان يهاجم العالم أجمع. ويعلن الشاعر أنه لم يفاجأ بالحدث، وهو الهزيمة؛ لأن الهزيمة والهوان حصاد من يزرع التفريط بالدين.

ويندد الشاعر بالحال الذي وصل إليه أبناء الأمة حين تخلوا عن إيمانهم، ففقدوا زمام الأمور وقيادة العالم، وحصروا العقيدة في دائرة ضيقة ونسوا شمولية هذا الدين وآفاقه التي تسع حياة الإنسان كلها. ومتى حُكِّم الدين في حياة الإنسان فلا مكان للجور والفساد، وذلك هو سبيل الهدى والرشاد.

ويلتفت الشاعر إلى حال الأعداء وتوحدهم ضد المسلمين رغم تفرقهم في الواقع، فالخوف من الإسلام وتوحد أبنائه يجعلهم يصدرون عن قوس واحدة رغم اختلافهم في العقيدة: يقول^(١):

وانظر عداة المسلمين فإنهم
متنافرين فإن تراءى مسلمٌ
خوفٌ من الإسلام يملأ قلبهم
دأءٌ أناخَ على الحمى وأغاراً
حسموا الخلافَ ووحدوا الأوطاراً
رعباً ويذكر في الجوانح ناراً

وبعد أن عرض الشاعر أسباب الهزيمة يذكر بعض نتائجها، حيث يقول^(٢):

ولربَّ جرحٍ في فلسطين جرى
ما زال ينتظرُ الدواءَ كئيباً
القدسُ في أسرِ اليهودِ فزلزلي
بدمٍ فأجرى المدمعَ المدراراً
تهوى الحمام وأنفساً أحراراً
يا أرضُ واهمي يا سحائب ناراً

فالجراح الدامية تستدرّ الدموع ولا دواء لها إلا الكئاب المجاهدة التي تستعذب الموت في سبيل العقيدة. والقدس أصبحت أسيرة في أيدي اليهود فمن ينقذها من الأيدي الباغية؟.

كما كان للشاعر محمد التاجي^(٣) مساهمة في هذا الموضوع ففي ذكرى الإسراء ١٩٦٨م عقب النكبة نظم قصيدته ((على هامش

(١) جراح وأفراح: ٨٩.

(٢) المرجع نفسه: ٩٠.

(٣) ولد الشاعر محمد أحمد التاجي عام ١٩٢٥م، في جزيرة شندويل بسوهاج في مصر، وتلقى تعليمه الأول في معهد أسيوط الديني، ثم حصل على الشهادة العالية بكلية اللغة العربية بالأزهر، ثم حصل على دبلوم معهد التربية العالي للمعلمين، وعمل في التدريس ثم أصبح

الإسراء)) وعرض فيها صوراً للمأساة تثير الحميّة والشفقة في قلب المسلم، إذ قال^(١):

حاشا لذكراك يا إسراء نسيانُ	فأنت أنت لسفر الدهر عنوانُ
ذكراك بالأمس كانت في فمي نغماً	واليوم شجوّ وآهات وأحزانُ
في أضلعي ثورة ضجّت فضجّ دمي	حقداً وثار وراء الصدر بركانُ
سهمٌ أصاب من العليا مقتلها	غدرأ. ودمعٌ يجفن الحق هتانُ
لكل فاجعة في الدهر سلوانُ	وما لنكبة أرض القدس سلوانُ

تجسد الأبيات صورة لوجدان الشاعر والألم النفسي الذي يمضيه، فذكرى الإسراء لا تُنسى، وقد كانت قبل المأساة نغماً حلواً يبعث البهجة في النفس، واليوم ارتبطت هذه الذكرى بالمأساة والهزيمة، مما جعل صدره يثور بثورة عارمة، وحزن شديد جراء هذه الفاجعة التي تلح على ذاكرته.

ثم طفق الشاعر يصف آثار النكبة في عددٍ من الصور الموحية إذ يقول^(٢):

هذي مآذنه خرساء ذاهلة	فلا أذان ولا في الناس آذانُ
بكي المصلي جباه الساجدين به	وناح في جانب المحراب قرآنُ
بيت مشى أمس في ساحاته عمر	فكيف يمرح فيه اليوم (دايان) ^(٣) ؟

موجهاً للغة العربية، وله عدة دراسات أدبية وديوان واحد. انظر شعراء الدعوة الإسلامية: ٦٦-٦٣/٩.

(١) جراح وأفراح: ٧٩/٩.

(٢) جراح وأفراح: ٧٩/٩-٨٠.

(٣) موشي دايان: وزير الحرب الصهيوني عام ١٩٦٧م.

فالمآذن خرساء بعد أن أسكت العدو فيها صوت الأذان ولم يعد يُسمع،
والمصلى يفتقد الجباه الساجدة؛ حيث انتهك العدو حرمة المقدسات وأهان من
فيها، فالمكان الذي شهد مقدم عمر -رضي الله عنه- منتصراً ظافراً بعد الفتح
أصبح ((يمرح فيه اليوم دايان)).

وللشاعر يوسف أبو هلالة^(١) تصوير معبر لآثار النكبة، أودعها عدة أبيات
من قصيدته الطريق إلى القدس، يقول^(٢):

غصّ الثرى بدم الأضاحي	وتلهت سُوح الكفاح
وتبرّجت جند الضلّال	لِ وأطرقت جند الصّلاح
وتواردت سحب الهوا	نِ على الروابي والبطحاح
والنور طال غيابَه	والليل مسدول الجناح
والقدس في أسر اليهو	دِ وهم على دنّ وراح
والمسجد الأقصى غدا	في الأرض مغلول السّراح
لندائِه في كل قلّـ	بِ مؤمن، وخز الرّماح
أين الذين يقودهم	للبذل ذبحي واجتياحي؟
ويقول هل من ضيغم	عن طهر أمته يلاحني؟
أنا صحتُ أطلب عونهم	أتراهم سمعوا صياحي؟

(١) يوسف محيي الدين أبو هلالة: ولد في معان في الأردن عام ١٩٤٨م، شارك في الجهاد في فلسطين، وعمل في الدعوة إلى الله مرشداً في وزارة الأوقاف الأردنية، أتمّ دراسته الجامعية وحصل على الدكتوراة في الدعوة وأصول الدين، له ديوان مخطوط، انظر شعراء الدعوة الإسلامية: ٩٧-٩٢/٦.

(٢) المرجع السابق: ١٠٤/٦-١٠٥.

يصف الشاعر صوراً من آثار الهزيمة والمآسي الدامية المترتبة عليها، فالقتلى في جميع أنحاء الأرض المباركة، وجند الضلال تتحدى جند الصلاح، وسحب الهوان والإذلال تحجب النور وتسدل جناح الظلمة الحالكة، وتسقط المدينة المقدسة في يد العدو الطاغوي الذي ينشر الفساد في كل مكان، فيقع الأقصى أسيراً وتنتهك حرمة. ويستنطق الشاعر المسجد الأقصى في صيحة تعي المشاعر وتسثير العواطف، إذ يتساءل في حيرة: أين الأبناء الغير الذين يبدلون أرواحهم فداءً للعقيدة؟ وهل من مجاهد نائر كالأسد إذا استبيح حماه، فيثار ممن دنس طهر مقدساته؟

أما القضية الثانية التي ركز عليها الشعراء في تناولهم نكبة حزيران فهي وصف الدواء وطريق الخلاص، بعد تشخيص أسباب الهزيمة ووضع اليد على الأدوية التي أدت إليها. وطبعي أن الدواء الحقيقي الذي لا دواء غيره عند الشاعر المسلم الملتزم، يكمن في العودة إلى الله والأخذ بأسباب النصر التي رسمها لخلاص الأمة، مهما طال الزمن وعمت الخطوب وتكاثف الضباب.

والشاعر المسلم لا يئأس أبداً، بل ينظر إلى الغد نظرة تفاؤل تنبئه نبأ يمزق ظلام الليل ويجلو الضباب، فتشرق شمس الإسلام وتنير الآفاق. هكذا يصور عمر الأميري طريق النجاة في قوله^(١):

لسنا نبالي وللقرآن في دمننا	جُداً من العزم تطوي شقة اللحق
غداً سيشرق بالإسلام طالعنا	بدرًا وشمسًا وتجلو غرة الفلق
والنصر بالصبر والإيمان معقده	والمجد بالعزم والإعداد والسبق

(١) من وحي فلسطين: ٧٤.

ثم يملأ الأمل صدره بأن يمن الله عليه بزيارة ((حرم الأقصى)) محرراً من رجس اليهود فيقول^(١):

يا ليلة القدرِ أدعو الله في لهفٍ أموتُ من حرمِ الأقصى على نشقٍ
محرراً من يهودٍ يعيشون به يحوطه الصيّدُ من أبنائه الخلقِ
عليك أقسمُ بالقرآنِ تليّةً يا ربُّ يا خالقَ الإنسانِ من علقِ

ويعود الشاعر في قصيدته الأخرى إلى النظرة التفاؤلية المشرقة فيقرر أننا عندما ننفض عنا غبار الدعة والاستخذاء^(٢):

سيرى الكونُ من تمرّدنا الجبّ — بارٍ ما يسحقُ الطواغيتَ سحقاً
إن للفتحِ موعداً راسخَ العز مٍ وسعيّاً إلى الفداءِ وسبقاً
بيعةً في الجهادِ شقت من القد سٍ إلى الخلدِ دربها الوعرَ شقاً
سيطولُ الطريقُ لكن نصرَ اللّ — هِ آتٍ وعروةُ الله وثقى

أما الشاعر أحمد الصديق فهو يعمد إلى تحريك النخوة الإسلامية في نفوس المسلمين، علّهم يمدون يد العون لإخوانهم في فلسطين حيث الغاصب يسومهم سوء العذاب، يقول^(٣):

عصاةُ الغدرِ عاثت في مرابعنا ومزقت حرماتِ الله في الحرمِ
ودئست كلَّ شبرٍ كان متجعاً للطهرِ بل كان مهوى الروح من قدمِ
لو غضبةً في سبيلِ الله صادقةً لجندلِ الباطلِ المغرورِ من أممِ
وطوّحت بقلاعِ البغي قارعةً من السماءِ فلم تثبت على قدمِ

(١) من وحي فلسطين: ٨١.

(٢) من وحي فلسطين: ١٦٢.

(٣) نداء الحق: ٢٢٣.

بعد ذلك يربط الشاعر المقدمات بالتائج، ويصل بين أسباب الهزيمة وطريق الخلاص، ويهيب بالأمة أن تستيقظ من رقدتها وتستعيد وعيها فيصرخ قائلًا متعجباً^(١):

يا أمة لم يكن في الحقّ منهجُها	نبشَ الخلافَ ونهشَ العرضَ والرحمَ
لم تبقَ أصرةٌ في اللهِ تجمعُها	لما تقطّعَ جبلُ الدينِ والذممَ
ومُرّغت بالخنا أخلاقُ ناشئةٍ	تاه الدليلُ بهم عن صالحِ القيمِ
فكيف نبي على رملٍ دعائمنَا	وكيف نطمعُ أن نرقى إلى القممِ؟

وحرّيّ بالشاعر -بعد أن وضع يده على موطن الداء وأدرك أعراضه وأسبابه- أن يصف له الدواء المناسب والعلاج الشافي.

فالشاعر المسلم لا تتردى نفسه في هوة اليأس وإن ادلهمت الخطوب وحُجب النور عن الأفق. والنصر والتمكين ملازم لهذه الأمة إن أخذت بأسبابه ووثقت عرا الإيمان واعتصمت بجبل الله المتين: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٤٧/٧] والليل مهما طال فإنه سيرحل ليشرق الفجر ويغمر بنوره الأرجاء، يقول الشاعر الصديق^(٢):

إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ فَلَا تَهِنُوا	وَلَا تَخَافُوا حَشَوَدَ النَّاسِ كُلَّهُمْ
وَوَثِّقُوا عُرْوَةَ الْإِيمَانِ فَهِيَ لَكُمْ	عَرَبُونَ نَصْرٍ وَسَيْفٌ غَيْرُ مُنْثَلِمٍ
وَسَجِّلُوا فِي كِتَابِ الدَّهْرِ مَلْحَمَةً	يَشْدُو بِهَا فِي فِجَاجِ الْأَرْضِ كُلُّ فَمٍ
سِيرْحَلُ اللَّيْلِ لَنْ يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ	إِلَّا صَدَى مَرٍّ فِي التَّارِيخِ كَالْحُلُمِ

(١) نداء الحق: ٢٢٣.

(٢) نداء الحق: ٢٢٥.

أما شاعرنا أحمد فرح عقيلان فهو يصرح بالحل الذي يخرج الأمة من هذا المضيق الذي حشرت نفسها فيه، والتيه الذي ضاعت في أرجائه، فانقلبت من أمة من الأحرار إلى شردمة من العبيد، يقودهم الجزار إلى الذبح، وينتظر كل منهم دوره لا حول له ولا قوة، وهكذا لصق العار بالأمة ولازمها وصار عنواناً لها^(١):

إن الشعوب إذا ضلّت حقيقتها	أمسى بها العبد نخاساً لأحرار
والجيش من دون إيمان ومعتقد	ضأن يساق إلى حانوت جزار
مبادئ الكفر قد جرت هزائمنا	وصيرت عارنا نشرات أخبار

وفي نهاية المطاف يناشد الشاعر قومه أن يحطموا الأصنام التي جرت عليهم الرمال، وأن يعودوا وحدة متراسة لا يتسرب إليها الوهن، تسير قدماً لتحرير الديار المقدسة وتطهيرها من رجس الأعداء، تحت قيادة قائد رباني بطل^(٢):

يا قوم لا ترتضوا الأصنام آلهة	لأنها أهدرنا أي إهدار
قوموا لنعلنها شعواء مؤمنة	لا رأي فيها لفساق وفجار
يقودها بطل لله هجرته	وراءه جيش أطهار وأبرار

وينظر الشاعر مأمون جرار إلى الغد نظرة تفاؤلية، فالفجر سيسطع بعد هذا الظلام الحالك، فكلما اشتدت حلكة الظلام قرب طلوع الفجر، وستعود الطيور المفردة حرة طليقة تغني للأزاهير البيضاء في الرياض الياقة. يقول^(٣):

(١) جرح الإباء: ٢٥.

(٢) جرح الإباء: ٢٥.

(٣) شعراء الدعوة الإسلامية: ٨٢/٣.

لكن سيبدو الفجرُ يوماً ساطعاً وأقول: ولّي وارحلي يا ليلتي
سُطِلَ مهما طالَ هذا ما أرى ويعود نسَمُ الصبح يهَجُ مهجتي
وتعود أسرابُ البابلِ حرةً تشدو لزهرٍ أبيضٍ في روضتي

ويؤكد الشاعر نفسه فكرة العودة إلى الدين الصحيح والتمسك بالمبدأ الأصيل في قصيدة أخرى حيث يقول^(١):

لم يبقَ إلا مبدأً نرجو به أن نبلغَ الآمالَ والأوطارا
لم يبقَ إلا دينُنا إسلامنا يحو الفسادَ وينسفُ الأوكارا
إسلامنا بالأمسِ أنشأ أمةً كانت تعيشُ مذلةً وصغارا
فغدت بفضلِ الله أعظمَ أمةً كانت لكل الحائرين منارا

فالإسلام قد صنع من أمة جاهلية - كانت تحيا حياة الذل والمهانة - صنع منها خير أمةٍ أخرجت للناس، فكانت المنار الذي يهدي الحائرين في كل زمان ومكان إلى الطريق القويم.

ثم طفق الشاعر بمجدّ الشهداء الذين كانوا دائماً وما زالوا رموزاً ومنارات تهدي السائرين على الطريق، وتدعو من يركز منارات أخرى في الطريق إلى تخليص الوطن السليب ((فشرف الشهادة لا يعادله شرف آخر، فهو عنوان لكل أمة ترفض الاستعباد والمذلة، وهو رمز ترفعه الشعوب المناضلة شعلة وضاعة تظل أبد الدهر تسطع كرامة وأنفة وتذكي لهيبها دماء الشهداء التي لا تنضب))^(٢). فيقول^(٣):

(١) شعراء الدعوة الإسلامية: ٧٩/٣.

(٢) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر: ٢٠٧.

(٣) شعراء الدعوة الإسلامية: ٧٩/٣.

وإذا اتخذنا ديننا منهاجنا فيه نربي صفوة أبرارا
 يشرون دنياهم بأكرم ميتة حتى ينالوا الخلد والأفارا
 وإذا تعود الدار أكرم عودة ونعود نرفع في الديار الفارا

ومن الشعراء الذي وقفوا طويلاً عند تمجيد الشهداء الشاعر يوسف أبو
 هلاله في قصيدته ((الطريق إلى القدس)). فبعد أن استعرض الصور الدامية
 للمأساة قال^(١):

ومن القفار الجرد تبـ زغ نبعه الماء القراح
 فتدفقت جند العقيـ دة أفرأ في كل ساح
 وحداؤها القرآن عنـ وان الهداية والفلاح
 وتقول: إن شحّ العطا ء فنحن للدين الأضاحي
 وعلى الطريق شدا الرجا ل بالسن البذل الفصاح
 والفوز فوز الخاضبيـ ن جسومهم بدم الجراح
 والعائفين العيش عيـ ش المستذل المستباح

كما تنبع العيون الصافية في الصحارى المقفرة، نهضت هذه المجموعة من
 المجاهدين كالأحر الهادرة، وحادي ركبها القرآن الكريم رمز الهداية والفلاح،
 ولسان حالها يقول: إننا نبذل أرواحنا فداءً للعقيدة، في زمن شحّ فيه البذل
 والعطاء. فالفوز حليف الشهداء الذين تخضبت أجسادهم بالدماء الزكية جهاداً
 في سبيل عزة الإسلام والمسلمين.

(١) شعراء الدعوة الإسلامية: ١٠٥/٦-١٠٦.

ثم شرع شاعرنا في وصف الحدث الذي قامت عليه القصيدة^(١)، فقال^(٢):

خمساً من الساعاتِ يهـ	زَمَ روعُها هوجَ الرياحِ
ولشدةِ الأهوالِ يغـ	بدو الثبْتُ فيها غيرَ صاحِ
يهوي بها رضوانُ مثـ	لَلنَّسرِ مقصوصِ الجناحِ
من بعدما اقتحم الرّدى	والقصْفُ قد غمر النواحي
فرأيتـه وعليه من	حللِ الدِّما أهى وشاحِ
وجيئـه المشجوجُ يحـ	كي للذُّنا قصصَ الكِفاحِ
وجراحُـه عطراً تفور	ح كأنها وردُ الأقـاحي
فحنوتُ ألثمُ جرحـه الرّ	عَافَ فانتكأت جراحـي
وهمتُ على خدي الدمو	عُ وقلت يا روعي وراحـي
هلاً رحمتَ قلوبنـا	فعدلتَ عن هذا الرواحِ
فأجابني البطلُ المسجّـ	ى هازئاً بي باقتراحـي
كفكف دموعك ليس في	عبراتك الحرّى ارتياحـي
هذا سبيلي إن صدقـ	تَ محبتي فاحمل سلاحـي

(١) ذكر الشاعر مناسبة القصيدة في قوله: «ذات يوم وبعد هزيمة حزيران الأسود خاضت مجموعة من الشباب المسلم معركة مع اليهود أسفرت عن استشهاد الأخ رضوان عمر بلعة، ذلك الذي عرفته في ساح الأخوة أصفى ما يكون الإنسان، والذي رأيتـه على مذبح الشهادة مخضب الكفين، مشجوج الجبين، في مزق لحمه ضجيج وفي رعاف جرحه صلاة» شعراء الدعوة: ١٠٤/٦.

(٢) شعراء الدعوة: ١٠٧/٦-١٠٨.

تلك هي قصة استشهاد ذلك المجاهد البطل الذي كان شجاعاً كالنسر، وظل صامداً في المعركة إلى أن خضب جسمه بالدماء الزكية كورد الأقاح، وأحس الشاعر بدنو ساعة الفراق وغالبتة دموعه إلا أن الشهيد يوصيه بوصيته الخالدة التي يوجهها إلى الشاعر جاعلاً شخصه استقطاباً للإنسان المسلم، فيرى فيها السبيل الأوحـد للنصر، فيقول: هذا هو الطريق طريق الجهاد مشيته، فإذا توقفت فأكمل أيها المسلم الطريق واحمل السلاح وواصل الجهاد.

أما الشاعر حسان حتـحوت فيوجه حديثه إلى الزعماء المسلمين مهيباً بهم أن يحبوا فريضة الجهاد إعلاء لكلمة الله، ولا مراء في استجابة أبناء العقيدة الضياغم لداعي الجهاد والتسابق لميادين الشهادة، وسيُجري الله على أيديهم معجزات النصر: ﴿وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧/٨]. يقول^(١):

يا معشرَ الحكمِ هذا يومُكم	كي تثبتوا الإيمانَ والإثـارا
من منكمُ يحمي الجهادَ فريضةً	ويكون سيفُ إلهه بـثـارا
يبني على الإيمان خطَّ دفاعه	وبه يرد من اعتدى أو جارا
يدعو للاستشهاد دعوة مؤمن	فنجيبُ تلك دماؤنا أثارا
فاهجم تجدنا في اللقاء ضياغماً	واهبُ تجدنا في الوغى إعصارا
إن كنتَ بالقهار ربك مؤمناً	لم تُلفِ من هذا الوري قهارا
لم ترمِ كفك إذ رميتَ وإنما	أجرى الإله بكفك الأقدارا

ويختتم الشاعر قصيدته بابتهاـل ضارع إلى الله تعالى إذ يقول^(٢):

(١) شعراء الدعوة: ٢٩/١٠.

(٢) المرجع نفسه: ٢٧/١٠-٣٠.

ثار العبابُ بنا فنَجَّ سفيننا واهدِ الرياحَ وسخرِ التيارا
واجعل لوجهك سعيَنا وجهادنا واجعل لك الإعلانَ والإسرارا

وعبر الشاعر محمد التاجي عن الآمال المعقودة على سواعد أبناء الأمة في
تحرير الأراضي المقدسة من ربة الاحتلال الغاشم، فها هو ذا يقول^(١):

الويل للشرق^(٢) إن لانت سواعدهُ وعاقه دون نصر القدس خذلانُ
دع كل صوتٍ سوى الهيجاء ناحية فكلُّ صوتٍ سوى الهيجاء بهتانُ

* * *

لا كنتَ يا شرقُ يوماً للكرام حمىً إن أنتَ لم تنفجر في غضبةٍ حمما
كنِ الردى واركب الأجواء صاعقةً والأرضَ ناراً وأمواجَ البحارِ دما
فالحرُّ يغشى حياضَ الموتِ كالحةً ولا يؤدُّ نعيمَ العيشِ منهزما
هذا عرينك لكن أين هيئته؟ والليثُ ليثٌ فتياً كان أو هرماً
فيم الوجوم؟ تقدم غاضباً حنقاً عبر الخطوبِ وزجرُ صاخباً عرماً
كالسيلِ منطلقاً كالويلِ مستبقاً كالليلِ محتدماً كالنارِ ملتهما
هي الوغى قد رضينا بالوغى حكماً حتى نرى حائطَ الطغيانِ منهديما
حتى نرى القدسَ حرّاً في عروبه حتى نرى الحقَّ والإسلامَ مبتسما

ينشد الشاعر أبناء الإسلام أن يهبوا لنصر القدس، الأرض المقدسة، فلا
سبيل إلى تحريرها سوى الجهاد، وكل ما عداه فهو بهتان لا قيمة له. ويستنهض

(١) شعراء الدعوة: ٨٠/٩-٨١.

(٢) ((إن لفظة المشرق والشرق مطاوعة. عنت في الشعر العربي كله مفاهيم متفاوتة من حيث
الرقعة الجغرافية))، الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية: ١٦٠.

الشاعر الهمم لاقتحام الردى في ثورة وإقدام، فالحر يأبي العيش مهاناً، كالأسد الذي يحمي عرينه ((فتياً كان أو هرمًا)). ويحرض الشاعر المجاهد المسلم على اقتحام غمار الحرب وعدم التخلف عنها حتى النصر وتحرير القدس لبناء مستقبل مشرق.

وهكذا كان الشعراء على وعي كامل لواقع الهزيمة؛ أسبابها وآثارها، مستنيرين بهدى الإسلام، ومدفوعين بطاقات العقيدة. فلم يكونوا شاهدين على الواقع المؤلم فقط وإنما ترقّوا في ذلك ليكونوا المحرّضين الفاعلين في شعرهم. مما يؤكد فهمهم الإسلامي لأسباب النكبة وآثارها، ومن ثم كان تركيزهم على استشارة المشاعر الدينية لدى أبناء الأمة.

المبحث الثاني

من معاناة الشعب الفلسطيني ومظاهر الإرهاب الصهيوني

لقد كان للاحتلال وممارساته الصهيونية التوسعية آثاره الوخيمة، التي أدت إلى استئثار مشاعر المسلمين وتطلعهم إلى اليوم الذي ينتهي فيه هذا الاحتلال الغاشم؛ ليستعيد شعب فلسطين حريته وسيادته على أرضه ووطنه. فلا شك أن رؤية مؤسسات الاحتلال العسكرية، ورؤية قوات الاحتلال اليومية تروح وتغدو على تراب الأرض المقدسة تملأ قلوب المسلمين غضباً وحقداً، وتطلعاً إلى تخلص المقدسات من دنس العدو الغاصب.

وقد اتخذت سلطات الاحتلال سياسات متعددة لتقييد حرية الشعب والضغط عليه، وأطلقت لنفسها العنان للممارسات الإرهابية، بعد أن اقتلعت أهل البلاد من أرضهم بالإبادة أو التدمير أو الطرد أو الاضطهاد.

وتفاوت الشعراء في تصوير المعاناة تبعاً للمواقف التي يعبرون عنها، فحين رأوا ما حلّ بالأرض المباركة وأهلها، أخذوا ينظمون وينشدون مصورين المأساة، ومنادين بالجهاد لتحرير الديار، ومحرضين على الصمود والثبات في وجه مخططات الأعداء^(١).

فكانت الفكرتان الأساسيتان اللتان دارت حولهما القصائد هما:

(١) انظر الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث: ٢٨.

- تصوير المأساة ومظاهر الإرهاب الصهيوني، والأثر النفسي لدى الشعراء.
- الدعوة إلى الجهاد لتحرير الديار، والتحريض على الصمود في وجه العدو الغاشم، والتفاؤل بغد مشرق.

فهذا الشاعر يوسف العظم^(١) يصف لنا الملامح الأولى للمعاناة حين يبعث إلينا ((رسالة من القدس)) على لسان شيخ فلسطيني يحكي لنا فيها عن الضيق الذي يعاني منه، والآلام التي يكابدها، إذ يقول^(٢):

في ساحة المسجد المحزون حدثني	شيخ على وجهه الأيام ترتسم
لمن أبث شكاتي والشفاه غدت	خرساء ليس لها في الحادثات فم
من ذا الذي هدّ مني ساعداً ويداً	هل ضاع دربي أم زلت بي القدم؟
لقد جرّنا كؤوس الذلّ مترعة	والقدس في العار والمحراب والحرم
والصخرة اليوم باتت غير شامخة	لأن نجمة صهيون لها علم

تلك هي حكاية ذلك الشيخ الذي يصف عجزه عن مجابهة البلاء الذي دهمه وقومه، والمذلة التي اكتفتهم من الفئة الباغية. ثم يُجري الشاعر الحديث على لسان شهيد، فيعرض صوراً ذات ظلال قائمة تثير المشاعر فيقول^(٣):

(١) يوسف العظم: شاعر أردني، ولد في مدينة معان سنة ١٩٣١م، تخرج من كلية اللغة العربية بالأزهر ثم من معهد التربية للمعلمين بجامعة عين شمس، له مؤلفات عديدة في الشعر والأدب والنقد والفكر الإسلامي والتراجم والقصة وأدب الأطفال. انظر من الشعر الإسلامي الملتزم في الأردن، يوسف العظم شاعر القدس: ١٩-٢١.

(٢) في رحاب الأقصى: ٦٦.

(٣) المرجع نفسه: ٦٧.

وَإِذْ بِصَوْتِ شَهِيدٍ فِي مَسَامِعِنَا يَبْنِي فِي أَلْمٍ مَاذَا أَصَابَكُمْ؟
 أَتَطْرِبُونَ لَأَهَاتٍ نَصَعَدُهَا وَيَتَرَفُّ الْجَرْحُ (وَالْقَطْعَانُ) تَبْتَسِمُ؟!
 فِي ظِلِّ زَيْتُونِي نَاحِ الْحَمَامِ لِمَا أَصَابَ مِنْ مَزَقِ الْعَدَوَانِ جَمْعَهُمْ
 بِالْأَمْسِ كُنْتُ أَرَى زَيْتًا نَبَارَكَهُ وَالْيَوْمَ يَتَرَفُّ مِنْ جَرْحِي الْأَلِيمِ دَمٌ
 فِي خِيَمَةٍ عَصَفَتْ رِيحُ الزَّمَانِ بِهَا لَحْتُ بَعْضَ بَنِي قَوْمِي وَقَدْ سَلِمُوا
 فَأَسْلَمُوا لَنِيوبِ الْمَوْتِ ضَارِيَةً الْبَرْدُ وَالْجُوعُ وَالْإِذْلَالُ وَالْأَلْمُ

يعلو صوت الشهيد بالنكير على الأمة؛ بسبب تقاعسها وتحاذلها عن الجهاد، ويتساءل في عجب عما أصابهم، علّه يوقظهم من همود الغفلة والإلف والعادة، ويلفتهم إلى تأمل واقع إخوانهم من حولهم. فالجراح تترف والآهات تتصاعد. وفي ظلال شجر الزيتون تنوح الحمام لما أصاب المسلمين من تمزق وتفرق؛ فأضحى الزيت المبارك لتلك الشجرة دماً يترف من جرح أليم. والعدو الغاشم شرد أهل البلاد من أرضهم، واغتصب بساكنيهم؛ فتشردوا في نواحي الأرض، لاجئين في الخيام، يصارعون نيوب الموت الضارية، ويعانون البرد والجوع والمرض والإذلال.

وللشاعر نفسه قصيدة أخرى يعرض فيها المعاناة التي يحياها أهل فلسطين، فيحشد في الأبيات صوراً من ممارسات الاحتلال التعسفية، فيقول^(١):

وَالْعَدُوُّ الدَّخِيلُ فِي كُلِّ شَرٍ بَثَّ فِيكُمْ آذَانَهُ وَعِيُونَهُ
 يَمَلَأُ الْأَرْضَ وَالْفُضَاءَ فَسَاداً وَيَغْذِي بِكُلِّ حَقْدٍ جُنُونَهُ
 كَمْ صَغِيرٍ ذَاقَ الرَّدَى بِيَدَيْهِ وَصَغِيرٌ مَا عَادَ يَلْقَى ((الْحَنُونَةَ))
 وَعَجُوزٌ فِي عَتَمَةِ اللَّيْلِ بَاتَتْ جَرَحُهَا يَتَرَفُّ الدَّمَاءُ سَخِينَةً
 دَمَرُوا بَيْتَهَا فَصَارَ حَطَاماً وَاسْتَبَاحُوا فِي حَقْلِهَا زَيْتُونَةً
 وَفَتَاةٌ عَذْرَاءٌ مَزَقَهَا الْقِيَامُ لَدُوْكَ وَكَانَتْ رَمَزَ الْعَفَافِ مَصُونَةً

(١) في رحاب الأقصى: ٥١-٥٢.

((إن الأرض المعذبة تصرخ لما يجري لها من انتهاك للمقدسات الدينية،
والشعب الفلسطيني الأسير يعاني أبشع صور الإرهاب والعنف والظلم))^(١).

فالعُدو يث جواسيسه في كل مكان لمقاومة الثورات داخل فلسطين
وخارجها. ويصف الشاعر ما فعله اليهود بأهل فلسطين، حيث أعملوا القتل
فيهم صغاراً وكباراً، ودمروا البيوت واستولوا على الحقول، وانتهكوا
الأعراض.

ويحدثنا الشاعر محمد صيام^(٢). بلسان الوجدان الشعري، عن صور أخرى
من صور المعاناة التي يعانيها أهل فلسطين، مقارناً بين الماضي السعيد والحاضر
الآليم: فيقول^(٣):

أنا كان لي في أرض أجْـ	_____	دادي منازلُ لا تزال
في القدس في يافا وغزْ	_____	ة في الجنوب وفي الشمال
حريّة ورضاً وعيْـ	_____	شاً ناعماً وهدوءاً بال

(١) الملف السري الأسود لإسرائيل: ١٠.

(٢) محمد محمود صيام: ولد في الجورة جنوب فلسطين سنة ١٩٣٧م، حصل على الليسانس في اللغة العربية من جامعة القاهرة، وعمل مدرساً لمادة اللغة العربية بمدارس غزة، وفي عام ١٩٦٠م عمل بوزارة التربية والتعليم الكويتية وكيلاً لإدارة إحدى مدارسها الثانوية، ثم عمل مديراً للجامعة الإسلامية في غزة. له عدة دواوين منشورة، انظر شعراء الدعوة الإسلامية: ٦٨/٢-٦٩.

(٣) ميلاد أمة: ٣٧٦. والقصيدة ليست على قافية واحدة في الديوان.

في هذا الإطار الجميل يرسم الشاعر صورة الماضي السعيد حيث العيش
الرغيد والحياة الآمنة العزيزة على تراب الوطن الغالي؛ ليرز في المقابل صورة
الحاضر الأليم، إذ يقول^(١):

ثم استدار لنا الزما ن وأمعنت فينا الليال
نفياً وتشريداً وطعاً ناً بالأسنة والنصال

* * *

وتكاتف من كل أنـ حاء الوجود قوى التحدي
تنوي الشرور بشعبنا الـ غالي بإصرار وجد
فمضت وهذا الشعب غير مصدق أو مستعد
تجشبه من أرضه بضراوة الخصم الألد
وانهالت الأمداد تد عمهن مداً بعد مد
خلق وأعدة وأمـ وال بلا حصر وعد

تلك هي الحال التي آلت إليها حياة الشاعر في موطنه، فالخطوب تتوالى
والمصائب تترى، والعدو يفتك بأهل فلسطين نفياً وتشريداً وقتلاً، تسانده في
ذلك ((قوى التحدي)) في الشرق والغرب.

وفي قصيدة ((وامعتصماه)) للشاعر كمال رشيد^(٢)، يستغيث الشاعر بأبناء
الأمة عليهم يستجيبون لنصرة الشعب المستضعف المظلوم، كما استجاب المعتصم

(١) ميلاد أمة: ٣٧٦.

(٢) كمال عبد الرحيم رشيد: ولد في بلدة الخيرية التابعة لمدينة يافا في فلسطين عام ١٩٤١م،
ونزح إلى نابلس عام ١٩٤٨م، وفي عام ١٩٦٧م نزح إلى عمان، أتم دراسته الجامعية في
دمشق، ثم نال دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية من جامعة محمد الخامس في الرباط،
عمل في حقل التدريس ثم عضواً في مديرية المناهج في وزارة التربية الأردنية، له عدة دواوين
وكتب للأطفال. انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ١٨٣.

لصرخة الاستغاثة من تلك المرأة العربية الأسيرة. ومن خلال هذه المقارنة المؤثرة يعرض الشاعر صورة المعاناة، إذ يقول^(١):

أنا في مدارِ الشمسِ كانت وقفتي	والفجرُ والأجنادُ ملءُ إهابي
أنا في عرين الأسد كانت جلستي	ومع السنين الغيدِ ضاع شبابي
كنا وقد ساد الجُدودُ بسالف	زان الوجودَ بفكره الوثاب
بعقيدة غراء تجمع أمةً	للظى المعاركِ أو سنا المحراب
وإذا دعئنا الحربُ كنا أهلها	والثأرُ كان لنا أصحَّ جواب
صاحت فتاةً فاستجاب خليفة	ليكِ إني للمعاركِ صابي
واليومَ كل نسايتنا نَادَيْتَنَا	أين الرجالُ وأين أسدُ الغاب؟

ثم يصور الشاعر أوضاع أهل فلسطين، وحياتهم في ظل الاحتلال، متسائلاً عن سبب الخنوع والاستكانة من أبناء الأمة وهم يروون هذا الواقع الأليم^(٢):

ماذا دهمي الصيدَ الأباهة وقد غدتُ	أوطانهم للخصم كالأسلاب؟
والأهلُ أضحوًا في الخيامِ سيوفهم	خُشِبٌ وفي الأوطانِ صوتُ عذاب
الخصمُ يمرحُ في البلادِ ويزدهي	ويعيش أهلُ الأرضِ كالأغراب
تتابعُ الأحداثُ في بلدي ولا	حدثُ يعيدُ كرامتي وشبابي
والعابثون بأرضنا كثرٌ ولـ	كنّ الأمورَ تسيرُ دون حساب

(١) شدو الغرباء: ٢٩.

(٢) شدو الغرباء: ٢٩.

وبأسلوب المقارنة بين الماضي والحاضر يعرض الشاعر المغربي محمد المنتصر الريسوني^(١) صور المأساة في قصيدته ((الغد الزاحف)) فيقول^(٢):

بكى شعراء العرب رسمَ الفواطمِ فأجّت بذكرهم مشاعرُ هائمٍ
أقلّ مناهم خفاقاً رقاً عمقه لنجوى طيوف مشرقات نواعمٍ
وأبكي وملء النفس غصبةً خالداً معاهد كانت رائدات المكارمِ
ويتنقل الشاعر بعد هذه ((التوطئة التقليدية)) إلى الحاضر الأليم في الأرض المباركة، وما يعانيه أهلها، وصدى هذه المعاناة في نفسه^(٣).

فلسطينُ مذ شعّ الضياءُ بناظري منى تجتلي فخراً بساح الغمامِ
شبيتُ وأناثُ اليتامى ترجئي ويرمضُ أغواري لهيبُ المظالمِ
ويُعول في قلبي شتيتٌ من الأسى فأطوي جناحي ساهداً جدّ ساهمِ
فلسطينُ في نفسي أريج تولّيه يعانق أحلامي بنشوة حالمِ
يظهر في القصيدة أثر المأساة في نفس الشاعر حيث تَهزه أنات اليتامى، ويحرقه لهيب المظالم، مما يسلمه إلى حالة من السهاد والحزن العميق.

ويحدثنا الشاعر شريف قاسم^(٤) عن معاناة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال

(١) محمد المنتصر الريسوني: ولد بمدينة تطوان في المغرب عام ١٩٤١م، ودرس على والده العلوم العربية والإسلامية، ثم درس في جامعة الرباط، وزاول التدريس ثم الإرشاد التربوي، ثم أصبح عضواً بلجنة التأليف بوزارة التعليم، ثم أستاذاً متفرغاً للبحث العلمي، رأس تحرير صحيفة النور الإسلامية. له بحوث ومقالات ودواوين عديدة. تُرجم له من أوراق مرسلة من الشاعر نفسه.

(٢) صحيفة النور: ١٥ - ذي القعدة - ١٤٠٤هـ - ص ٤، وهي صحيفة يومية مغربية كان يرأس تحريرها الشاعر نفسه.

(٣) صحيفة النور: ١٥ - ذي القعدة - ١٤٠٤هـ، ص ٤.

(٤) شريف الحاج قاسم: ولد في مدينة دير الزور في سورية عام ١٩٤١م، ثم انتقل إلى دار المعلمين بمدينة حلب، وتخرج منها معلماً وعمل في مهنة التدريس بدير الزور، ثم انتقل إلى السعودية ليعمل فيها ومازال. كان خطيباً إلى جانب عمله في التعليم، ونُشرت له عدة دواوين. انظر مختارات من الشعر الإسلامي: ١٦٥.

الغاشم، وأثر ذلك في نفسه. حيث شغله الخطب، واستبد به الكرب، وأقضى مضجعه المصاب^(١):

طمى الخطبُ فاستهوى إجابته السؤلُ	وللفكر محرابٌ إذا أقبل الليلُ
خليليَّ إخواني فقد جلَّ خطبُهم	وشغلي بأفكاري عليهم هو الشغلُ
وشعري على شطآن كلِّ مصيبةٍ	حينٌ جرى كالفيضٍ يدفع أو مهلُ
ووالله ما كنتُ النؤومَ وصوتهم	يئن بصدري إذ يورقني الهولُ
أخوتنا في الله أقوى وشيجةُ	بغير عُراها ما لنا في الورى حولُ
طمى السيلُ بل لجَّ الطغاةُ بغيهم	على أمة الإسلام واحتدم الثكلُ
وذابت قلوبُ المؤمنين كآبةُ	يمزقها كربٌ ويثقلها حملُ

ثم يلتفت الشاعر إلى الأمة المتخاذلة، مستنكراً تقاعسها واستكانتها أمام الأهوال التي يعانيتها أهل فلسطين، ويحذرهما من مغبة هذا الصمت الطويل^(٢):

وهدتُ فؤوسُ الكافرين بأرضنا	معاقلاً ساموها الهوان وما ملأوا
ونشكو ونبكي كلَّ يوم مذابحاً	ونشجبُ إجرامَ البغاة وقد نسلوا
فأهٍ على قومي ولهفي عليهمُ	وعيني عليهم بالمدامع تنهلُ
وهذي القوافي من سنين طويلةٍ	بآلامهم دون النوائب تحضلُ
هي المحنُّ الكبرى تموج وإنها	لنا نذرٌ حتى تقوم بها الخيلُ

(١) صدى وذكرى: ٥٥-٥٦.

(٢) المرجع السابق: ٥٦.

ويستحضر الشاعر محمود مفلح^(١) صورة مشرقة لبلاده، وقد عمّ فيها السلام، وأطلق صوت الأذان حراً طليقاً، والتقى أهل الغرباء المشتتون في نواحي الأرض، وعاد المصلّون إلى الأقصى آمين مطمئنين. والزيتون عاد ((يفوح مسكاً وطيباً)). فانتهى الظلام وأسفر الفجر، وعاد أبناء الأرض إلى أراضيهم فاستقبلهم شجر الليمون ((حبيباً يضم شعباً حبيباً)) حيث يقول^(٢):

أصحيحُ ما قيل يا بلدَ الطهـ	ر بأن السلام صار قريبا؟
أصحيحُ أن المآذن أضحت	حرّة تطلق النداء الحبيبا؟
وبأن الصديق يلقى صديقاً	وبأن القريب يلقى القريبا؟!
والمصلّون ينعمون لدى الأقـ	صى عيوناً قريرة وقلوبا؟
وبأن الزيتون صار طليقاً	في الروابي يفوح مسكاً وطيباً
والظلام الذي أناخ علينا	قد رماه ((الهام)) سهماً مصيباً؟
أصحيحُ يا قدسُ أن بنيك الـ	آن عادوا يسابقون الدروبا؟
وبأن الليمون نحوهم يسـ	عى حبيباً يضم شعباً حبيباً؟

ولكن الشاعر سرعان ما يصحو من هذا الحلم البديع؛ ليواجه الواقع المرير، فيقول^(٣):

إنني أرسل الكلام وأدري	أن فيما أقول شكاً مريباً
إنها نوبة من العشق تعرو	ني فأزجي كلامي المحبوباً
أي نصرٍ ولست أسمع قصفاً	أو هديراً ولا رأيت لهيباً؟!

(١) محمود مفلح: ولد في بلدة سمخ في فلسطين عام ١٩٤٣م، واضطر للزوح إلى سورية، فعاش في مدينة درعا، ونال شهادة الإجازة (الليسانس) في اللغة العربية من جامعة دمشق عام ١٩٦٧م، ثم عمل مدرساً في المغرب، وبعدها سافر إلى السعودية وعمل فيها موجهاً تربوياً. نشر عدة دواوين ومجموعات قصصية، انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٢٢٨.

(٢) الراية: ٢٤-٢٥.

(٣) المرجع السابق: ٢٥.

أيُّ نصرٍ ومخلبُ الذئبِ أدمى جبهة العدلِ واستباح الشعوبُ؟!
 أيُّ سلمٍ هذا الذي ترك النّاسُ س شتاتاً وجرحهم مصلوباً؟!
 أيُّ سلمٍ هذا الذي أمكن البغـ سي ونمى أظفاره والنيوباء؟!

يصور الشاعر المعاناة التي تحياها بلاده من خلال تلك التساؤلات الحزينة التي بددت معالم تلك الصورة الحاملة التي رسمها في الأبيات السابقة. فأَيّ نصرٍ يكون بلا حرب تبيد العدو وتشعل لهيب الثورة؟ وأَيّ نصرٍ والذئاب ينشرون الفساد والإرهاب في كل مكان؟ وأَيّ سلمٍ يكون مع العدو، وقد شتت أبناء الأرض عن أرضهم، وجراحهم ما تزال نازفة؟. وأَي سلم وأظفار البغي ونيوبه تنمو بمرور الوقت؟.

وفي قصيدة أشجان الإسلام يحدثنا الشاعر صالح الجيتاوي^(١) عن صور أخرى للمأساة فيقول^(٢):

لا تسألِ العينَ فيمِ الدمعُ هَتَّانُ طغتْ على القلبِ آلامٌ وأحزانُ
 انظرِ إلى دولةِ الإسلامِ قد طُمِسَتْ أركانُها وانبرتْ للكفرِ أركانُ
 أنصبتْ فكم آتةٌ للقدسِ ليس لها خلال قهقهةِ الأعداءِ تبيانُ
 الحكمِ جورٌ وحرُّ القومِ غيِّبه سجنٌ به من صنوفِ القهرِ ألوانُ
 البرِّ أقفرَ والأرحامُ ضائعةٌ يشكو إلى الله آباءٌ وإخوانُ
 والقدسُ ترسلُ أناتٍ مقطعةً تمضي هباءً. فما في القومِ من كانوا

(١) صالح عبد الله الجيتاوي: ولد عام ١٩٤٣م في قرية غرب مدينة نابلس بفلسطين ودرس في مصر بكلية الهندسة في جامعة القاهرة، ثم عمل بوزارة الأشغال العامة في الأردن، ثم أنشأ مكتباً هندسياً خاصاً في عمان. له نشاط أدبي واسع، وله ديوان مطبوع، انظر شعراء الدعوة: ٦٤-٦٣/١٠.

(٢) صدى الصحراء: ٨٨-٨٩.

يرثي الجيتاوي في هذه القصيدة دولة الإسلام وعزة المسلمين في ديار الإسلام التي تسلط عليها الأعداء. وقد تأثر فيها بقصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس والتي يقول فيها^(١):

لـكـل شـيء إذا مـا تـم نـقـصـانُ	فـلا يُغـرُّ بـطـيـبِ العـيـشِ إنـسـانُ
هـي الأـمـورُ كـما شـاهـدُتْـها دـولُ	مـن سـرّه زـمـنٌ سـاءتْـه أـزـمـانُ
تـبـكـي الحـنـيفـيـةُ البـيـضـاءُ مـن أـسـفِ	كـما بـكـى لـفـراقِ الإـلـفِ هـيـمـانُ
عـلى دـيـارٍ مـن الإـسـلامِ خـالـيـةٍ	قـد أـقـفـرت ولـها بـالـكـفـرِ عـمـرانُ

نرى في قصيدة الجيتاوي جمرات من الحرقه والألم على واقع الأمة وما أصابها من كوارث ونكبات، فيبوح بكل ما في قلبه من حسرة وقهر ولوعة على دولة الإسلام التي طمست أركانها وشيدت فيها أركان الكفر. وللقدس أنين لا يُسمع، فقد طغت عليه ضحكات البغاة. والظلم هو المسيطر، والأحرار في غياهب السجون يعذبون، أما الإخوان فالأرحام ضائعة بينهم.

وفي ذلك تعريض بالمتخاذلين عن نصرة إخوانهم في الأرض المحتلة، في حين يسوق العدو هؤلاء الإخوان إلى المجازر ظلماً وعدواناً.

ويصور الشاعر نفسه في قصيدة أخرى ما حلّ بفلسطين وشعبها من أنواع المصائب التي تزداد بتعاقب السنين، ولا من يمسح الدموع، وما لهم إلا الأحلام والأمان التي سرعان ما تتبدد أمام الواقع المرير، يقول^(٢):

(١) صدى الصحراء: ٨٩.

(٢) صدى الصحراء: ١١٢.

تمضي السنون ونحن في مُرّ المصائب نرزحُ
أحزائنا لا تنسى هي ودموعنا لا تمسحُ
نمسي وآمالُ المسيحِ ررة روضة تتفتحُ
فتعود غصة خيبة وندامة إذ نصبحُ

ويقول الشاعر عدنان النحوي^(١) من قصيدة له يصف بعض ملامح المعاناة في ظل الاحتلال الغاشم^(٢):

وتلفت الأقصى لمكة لوعة أختاه! تنهش أضلعي الغربانُ
أختاه! وانقطعت حبالُ ندائه واغرورقت من دمه الأجفانُ
وهوت معاولُ كي تدق حياضه وهوت على أجماده الجدرانُ

يربط الشاعر في الأبيات بين المسجد الأقصى القبلة الأولى، ومكة حيث القبلة الثانية، فيرسم لنا لوحة دامية تصور الأقصى يشكو ما حلّ به من كرب وبلاء إلى مكة التي تربط بينها وبينه رابطة القداسة، ويبحث الأقصى عن أبناء الإسلام فهم كثر ولكنهم كغُثاء السيل، يعيشون في هوان لا هبة لهم في عيون

(١) عدنان علي رضا النحوي: ولد في صفد في فلسطين عام ١٩٢٨م، سعودي الجنسية، نرح سنة ١٩٤٨م إلى دمشق، حيث عمل مدرساً ثم عمل في الكويت، ثم سافر إلى مصر، ودرس الهندسة الكهربائية، ثم عاد إلى سورية وعمل مديراً للإذاعة في حمص، ومنها إلى السعودية حيث يقيم الآن، له دراسات في الأدب والفكر الإسلامي وعدة دواوين شعرية، انظر مدرسة بدر وشعراؤها: ٦٣-٦٤.

(٢) الأرض المباركة: ١٤٩.

الأمم، ويواصل الأقصى نداءه، إلا أن الألم والدموع تغلبه. ويد العدو الآثمة تسلط معاولها لتدك أركانه وتدمر فيه تاريخ الإسلام المجيد.

ويلتقي الشاعر محيي الدين عطية^(١) مع الشعراء السابقين في وصف ملامح المأساة، إذ يقول في رسالة يوجهها إلى الحجيج^(٢):

يا حادي العيس هل في الركب مستمع
لزفرة في حنايا الصدر تصطرع

ويمضي الشاعر بعد هذه المقدمة -التي نسمع فيها صوت الشاعر الجاهلي حين وقف واستوقف- فيوجه دموعاً حارة من مكة إلى بيت المقدس في موسم الحج، حيث الحجاج يرفعون أكفهم بالدعاء إلى ربهم، وقد اختلطت مشاعر الفرحة والحزن، الفرحة بملايين المسلمين المجتمعين من أرجاء الأرض، والحزن لعجزهم عن إنقاذ مقدساتهم. فيقول^(٣):

هذا هو المسجد الأقصى ويا لهفي
يا مَنْ تطوف وتسعى ربّ تذكّره
كم جاء يسألني الأبناء قصتنا
تبكي به الصلوات الخمس والجمع
تذكي بجنيك مثل النار تصطرع
ويلحفون وفي أبصارهم هلّع

(١) محيي الدين عطية محمد: شاعر وكاتب إسلامي، ولد في القاهرة عام ١٩٣٤م، ودرس حتى حصل على البكالوريوس والدبلوم في التجارة وعمل ناشراً للكتب والدراسات المختلفة في دار البحوث العلمية في الكويت، له عدة دراسات ودواوين شعرية. انظر مختارات من الشعر الحديث: ١٠٦.

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية: ٢١/٦.

(٣) المرجع السابق: ٢١/٦-٢٢.

الدين يُهدَر والأعراضُ قد سُلِبَت ولا يُرى في سجلِّ الغدرِ مرتدُّ
ساقوا العجائزَ والأطفالَ مغنمةً ومن أبي الضَّيمِ فالأكفانُ تبتلعُ

إن الأقصى السليب يفتقد المصلين، ويذكر الشاعر الحجيج بمأساة إخوانهم في الأرض المقدسة. ويجب السائل عن مأساتهم فيقول: إن الدين قد أهين، والحرقات استبيحت. فالعدو الغادر لا يجد من يصدّه؛ فلم يتورع عن إلحاق الأذى حتى بالعجائز والأطفال، وإذا ما حاولوا المقاومة ((فالأكفان تبتلع)).

ويعمضي الشاعر في ذكر الجرائم التي تقترفها الأيدي الآثمة فيعلن^(١):

إن المساجدَ قد دُكَّتْ مآذُنُها وقام في أرضِها للفسقِ مجتمعُ
إن المحاريبَ أضحتْ بعد نكبتها مخادعاً لفنونِ العشقِ تتسعُ
إن الملايينَ منا ضمَّهم كفنٌ من الخيامِ فلا ريٍّ ولا شبعُ

لم تسلم المساجد ومحاريبها من عربدة المجرمين؛ فدكوا مآذنها وعاثوا فيها فساداً وإفساداً، وشرّدوا أهل البلاد واضطهدوهم، ولم يجدوا في ذلك ريّاً ولا امتلاءً لنهمهم الحاقد على الإسلام وأهله.

* * *

أما الفكرة الثانية التي دارت حولها القصائد في هذا الموضوع فهي: الدعوة إلى الجهاد لتحرير الديار، والتحريض على الصمود في وجه العدو الغاشم، والتفاؤل بغدٍ مشرق. فقرة الإيمان وعزة المؤمن تبيان له القنوط، فلا بد لليل أن ينجلي وينبثق الفجر، ويملاً الدنيا بالأنوار. فأمتنا باقية فيها الخير إلى يوم القيامة.

(١) شعراء الدعوة الإسلامية: ٢٣/٦.

ومن هنا نجد الشاعر يوسف العظم بعد الظلال القائمة التي غمرت قصيدته^(١) يستثير مواطن القوة في الأمة، ويذكرها بماضيها المجيد الزاخر بالانتصارات التي سجلها التاريخ في بيض صفحاته. فصيحة ((الله أكبر)) ((كم دانت لها أمم!)) وكم من أرض رُفع فيها لواء الإسلام يوم كان المسلم المجاهد يعتصم بجبل الله. والقدس تبحث عن صلاح الدين؛ ليفتك باليهود في حطين كما قضى على الصليبيين في تلك المعركة المجيدة. ثم يؤكد الشاعر أن المسلم سيظل على العهد؛ ولن ينسى فلسطين. بل سيقرب اليوم الذي ينتصر فيه لكرامته ومقدساته، ويقضي على الطواغيت. يقول^(٢):

يا ويح قومي قد لانت قنائهم	وقد وعى الكون والتاريخ عزهم
إلى متى نرتضي ذلاً يُورقنا	فليطلق السيف وليهتف بنا القلم
لتستجيب قلوب بالهدى خفت	((الله أكبر)) كم دانت لها أمم!
وكم رفعنا منارات وألوية	وكم زحفنا بجبل الله نعتصم
يا قدس أين صلاح الدين يبعثها	حطين تفتك بالباغين ويلهم؟
إننا على العهد لن نساك فانتظري	يوماً يخرّ له الطاغوت والصنم

وفي القصيدة الثانية^(٣) للشاعر نجد أنه بعد عرضه لصور المحنة يعلو صوت الشاعر في نداء من ((فتى ثائر يذوب جراحاً))^(٤):

(١) شعراء الدعوة الإسلامية: ٨٢.

(٢) في رحاب الأقصى: ٦٨.

(٣) المرجع السابق ص ٨٣.

(٤) في رحاب الأقصى: ٥٣.

وفى ثائرٌ يذوب جراحاً هجر النوم والنعاسُ جفونهُ
من لظى جرحه يصوغُ نداءً علّ قوماً تحاذلوا يسمعونه
يا حماة الأقصى الجريح أفيقوا أين أقصاكم الذي تحمونه؟!

وحين نمضي مع الشاعر في قصيدته نراه يعبر من الحاضر المرير إلى الماضي
الوضيئ ليربط بينهما معاً، ويراها كلاً متصلاً، خلاف ما يراه المهزومون، بأنه
ماضي غابر انقطعت بيننا وبينه الأسباب^(١).

فها هو ذا يقول^(٢):

هزني الشوق للكتائب تُعلي راية الفتح في الأكف الأمينه
تنهلُ المجدَ عزّة وفخاراً من سنا مكة ونور المدينة
والرسول العظيم في صحبه الغرّ فداءً وهيبةً وسكينة
قاد جند الرحمن عزمًا وحزمًا وسيوفاً بّارةً مسنونة
لكأني بمسجد القدس يدعو وينادي أما سمعتم أنينه؟
أين سعدٌ وخالدٌ والمثنى؟ كلهم بالدماء ينصرُ دينه
والسرايا يقودها ابنُ زياد ركب البحر لا يهاب سفينة
وصلاحٌ كفرّة الصبح يرجو أن تعيدوا وتبعثوا حطينه

فهو يستحضر في ذهنه صورة لكتائب الجهاد المؤمنة ترفع راية الفتح حريصة
عليها أمانة، ويرسم أمامنا هذه الصورة بكل دقائقها وتفصيلها، فإذا بالخطوط
العريضة لها تنبئ أن هؤلاء البررة إنما يستمدّون عزيمتهم وقوتهم من سنا النور

(١) انظر في الأدب الإسلامي المعاصر دراسة وتطبيق: ١١٧.

(٢) في رحاب الأقصى: ٥٤-٥٥.

الإلهي الذي انبثق في هذه الأرض الطاهرة فملاً القلوب يقيناً وغمرها الإيمان وغذاها بالتفاني في سبيل الله، وهم في كل ذلك ينظرون إلى غزوات الرسول يقدم فيها جنده يشحذ عزائمهم ويشد أزهرهم. وسرعان ما تتلاشى خطوط هذه الصورة الزاهية حين يصحح الشاعر على حقيقة واقع الأمة، ينبّه أنين الأقصى الواقع في قبضة الأعداء، ويتلفت من حوله فلا يجد أولئك الأبطال الصناديد الذين سطوروا بدمائهم سيرة المجد والعلا. وأسفاه لقد اختفت تلك الغزوات والسرايا وغاب أعلامها الغرّ الميامين الذين حملوا النور شرقاً وغرباً ومدّوا الديار الإسلامية من أقصى خراسان إلى قلب أوربا في الأندلس وأرسوا أركان العقيدة في معارك فاصلة كحطين وحمة طارق، فمن للأقصى ينقذه من محنته الجديدة؟!.

أما الشاعر محمد المنتصر الريسوني فبعد أن عرض صورة الحاضر الأليم وأثره في نفسه نجده برغم ذلك يرى يبارق النصر تحفّق من بعيد، حين يهبّ جند محمد للفتح بتأييد الله عزّ وجل. يقول^(١):

فلسطينُ ثارٌ أطلق السخط فارساً	يصوغُ الأمانى من شفارِ الصوارمِ
وأقسمَ أن يُرسي بيارقَ نصرِهِ	على جثثِ القتلى وتلّ الجماجمِ
سيفتحُها بالله جندُ محمدٍ	بناةُ المعالي الغرّ، هوجُ العزائمِ

وبعد أن عرض الشاعر صالح الجيتاوي ألواناً من المآسي التي يعيشها أهل فلسطين، يعلن أن الطريق الوحيد إلى النصر إنما يكون بالعودة إلى الله، والأخذ

(١) صحيفة النور: ١٥ - ذي القعدة ١٤٠٤ هـ، ص ٤.

بأسباب النصر. ويشير إشارة موجزة إلى التاريخ ويستجلي حقيقة الانتصارات الإسلامية العظيمة، إذ لا عزة إلا بالإيمان. فيقول^(١):

يا أمتي هل لهذا الليلِ آخرةً وهل لهذا الأسى والذلّ فرقانُ
عُودي إلى الله عوداً مخلصاً ودعي موارد الكفر، إن الكفرَ خسرانُ
ومَحْصِي الدرسَ من تاريخنا تجدي (العزُّ ما كانَ إلا كانَ إيمانُ)

وفي قصيدة ((رسالة إلى الحجيج)) -التي أودعها الشاعر محيي الدين عطية لوحات دامية من المعاناة التي يجيها أبناء الأرض المحتلة- يطلق الشاعر صيحةً مدويةً من أعماق قلبه المكتوي بنار الحزن والأسى. فيقول^(٢):

هيا ابدؤوا ثورة الأحرار وانطلقوا إلى المسيرة إنا كلنا تبّع
ماذا لو انتفضت أفواجكم حمماً تُجدّد العهد والنيران تندلع
يا ربّ هذي قلوب المسلمين أتت إلى حياضك ظمأى كلها طمع
فلا تخيب رجاء أنت باعثه ولا تنكس لواء فيك يرتفع
واغفر هنائي فعذري أن لي قلماً يقتات قلبي ومن عيني يرتضع
أزجي قريضي من الأعماق أنزفه حتى أرى الخنجر المسموم يقتلع

يستنهض الشاعر هم أبناء الأمة، ويشحذ عزائمهم، ويشير حفيظتهم كي لا يستكينوا إلى الراحة والدعة. بل ينتفضوا في وجه الطغاة ليدفعوا هذا البلاء الذي دامهم، ويهبوا بعددهم وعددهم لإنقاذ فلسطين من الفئة الباغية. ويتهل شاعرنا إلى الله بأن يروي قلوب المسلمين الصادية ولا يخيب رجاءهم، ويمنّ عليهم

(١) صدى الصحراء: ٩٣.

(٢) شعراء الدعوة: ٩٠/٦.

بالنصر، ويرفع لواءهم، ويدعو الله أن يغفر ذنوبه. ويعتذر إليه بأن قلمه يمتاح مداده من قلبه النازف، وعينه الدامعة. فيزجي القريض إلى أن يأذن رب العالمين باقتلاع الخنجر المسموم المغروس في صدر الأمة.

وعلى هذا النحو كان شعر المعاناة مركّزاً في معظمه على الوصف المؤثر للمأساة، ولظاهر الإرهاب الصهيوني، مستثيراً بذلك الحميّة ومستنهضاً الهمم ليوم الثأر.

وإذا أجلنا النظر في طريقة تناول الشعراء لهذا الموضوع؛ نلفي بعضهم يكتفي بوصف مظاهر المعاناة، والإشارة إلى الممارسات التعسفية للعدو. في حين يقارن آخرون بين الماضي المجيد والحاضر الأليم. ويركّز بعضهم الآخر على صدى المأساة وأثرها النفسي ومعاناته الذاتية. ولا شك أن في ذلك كله عطاءات شعورية ورصيдаً معنوياً ثائراً تحتاجه الأمة زاداً في طريقها نحو الغد الحرّ المشرق.

المبحث الثالث

مأساة النزوح ومشاعر الحنين والغربة

تمخضت هزيمة حزيران ١٩٦٧م عن نتائج خطيرة على القضية الفلسطينية منها: نزوح أعداد كبيرة من الفلسطينيين من أراضيهم. وهذا يمثل النزوح الثاني في مدى عشرين عاماً، فقد نزح من بلغ عددهم (١,٣١٧,٧٤٩) نسمة بعد نكبة ١٩٤٨م، وبعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م نزح نحو (١,٨٥٨,٠٠٠)^(١) نسمة هرباً من الإرهاب الصهيوني، ولينجوا بأهلهم من المذابح ونسف البيوت والتنكيل والتقتيل. فخرجت هذه الجموع التي ساقها الرعب والاضطهاد هائمة على وجهها، وسكنت القرى والمدن والأراضي المجاورة ليس معها ما يكفيها الكفاف. وعاشت السنين تجتر ذكرياتها العزيزة في مرابع الوطن. وعاش عدد كبير من هؤلاء النازحين يحيون ظروفاً معيشية قاسية، في خيام مهلهلة ممزقة أو أكواخ بائسة غير صحية أو في المغاور والكهوف. أما وكالة الغوث الدولية -التي أوكل إليها مهمة الإشراف على أحوال اللاجئين- فلم تقدم لأولئك اللاجئين ما يقيم أودهم.

هذه الصورة القائمة تزداد حلكة عندما نعلم أن هؤلاء اللاجئين قد خلفوا ممتلكاتهم وثرواتهم يتمتع بها الغاصبون. إنه أمر يشدُّه العقل ويذهب الصواب أن تتصور جوعاً والغاصب يتمتع بما تملك أمام ناظريك فلا تملك له دفعاً^(٢).

(١) لا تشمل هذه الأرقام النازحين الذين أعالوا أنفسهم بعملهم، ونسبتهم حسب إحصاءات

الأمم المتحدة ٢٠% من مجموع النازحين، انظر أطلس الصراع العربي الصهيوني: ٤٨.

(٢) انظر المرجع والصفحة نفسها، وانظر القضية الفلسطينية: ١١٦-١٢٣.

ونتيجة لما تقدم اهتزت النفوس الشاعرة تصور مأساة أولئك النازحين،
وتصرخ في الضمائر لتبعث روح التوثب والثورة والصمود لتحقيق الآمال في غدٍ
مشرقٍ وحياةٍ حرةٍ كريمةٍ.

وفي مقدمة الشعراء الذين وقفوا طويلاً على هذا الجرح الشاعر أحمد محمد
الصادق، فقال^(١):

من وجهك تطلعُ أقماري	وجمالك مبعثُ أشعاري
يا وطني يا عين الدنيا	يا هاجسَ ليلي ونهاري
فتشتُ كنوزَ الأرضِ فما	ألفتُ بديلاً عن داري
أشواقِي أسرابُ طيورٍ	عائدةٍ تحت الأمطارِ
وحنيني موقدُ أحزانٍ	حرّى تنوهجُ كالنارِ

يوجه الشاعر حديثه إلى وطنه الذي أمضه الحنين إليه، فيراه عين الدنيا
وهاجسه ليل نهار. فليس للوطن بديل أعلى عند الإنسان.

ثم يشرع الشاعر في ذكر مواضع من بلاده (حيفا واللد وبشر السبع
والقدس والأقصى) حيث فتحت سيوف الأجداد هذه المواضع، وحيث الآيات
كتبت بالدماء الزكية التي قاتلت الفُجَّار هناك، فسطرت أخبارها في قلب
الشمس، وعانقت أنفاس الشهداء الطاهرة؛ لتوقد نار الثورة في قلوب
الأحرار. يقول^(٢):

(١) قادمون مع الفجر: ٧١.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

حيفا واللد وبئر السب — سبع وكل سفوح الأغوار
والقدس ومسجدُها الأقصى وسيوفُ جدودي الأخيار
وروائع آياتِ كُتبتْ بدمِ قدسي الأنوار
في قلبِ الشمسِ مسطرةٌ تتحدى ليلَ الفجار
وتعانق أنفاسَ الشهدا تغذي عزمَ الأحرار

ويعضي الشاعر في قصيدة أخرى يصور معاناته في الغربة فيقول^(١):

كانوا وكان الحبُّ والأملُ وتفرقوا فالدمعُ ينهملُ
بالأمس ولّوا عن مرابعهم وتشعبتْ في الغربة السبلُ
كلُّ الأحبة هاجروا وأنا وحدي هنا تتأبني العللُ
غصصُ التناهي حرّقت كبدِي وكأنّها في مهجتي شعلُ
واحرّ قلبي بعد غيبتهم في أي أرضٍ يا ترى نزلوا؟
أطيافهم في البيتِ تصحّبي وتحفّني النظراتُ والمقلُ
وأحسُّهم في كل زاويةٍ ضمّت خيالات الألى رحلوا
وأشمّ أثواباً لهم تركت من أدمعي في طيّها بللُ

يبث الشاعر شكواه الموجهة من الوحدة والاغتراب، بعد أن تفرق الأحبة ((وتشعبت في الغربة السبل)) فهو وحيد تتأبه العلل، ويتجرع غصص التناهي التي تحرق كبده، وتشعل الحنين في مهجته. ويتساءل في حيرة وحسرة ((في أي أرض يا ترى نزلوا؟)) وهو يحيا مع أطيافهم، ويحس بوجودهم معه في كل زاوية مما حوله. ويعزّي نفسه بلشم أثوابهم فتبللها دموع الشوق إلى لقاءهم.

(١) المرجع نفسه: ٦٣.

وتُسلمه هذه المشاعر إلى شيء من اليأس، فيرى الأحلام الخضراء وقد اعتراها الذبول، وذوى الزهر على أغصانه، ويد الشاعر ترتعش في وهن، فالحزن ذهب بشبابه.

ثم يبدأ في عرض صورة أليمةٍ لذكرى ديار الأحبة التي تُركت مقفرةً، فالموقد سهَّده طول النوى والصمت والخوف، وشجيرة الزيتون ذبلت، وملاعب الأطفال موحشة وكذا السفح والجبل. فيقول^(١):

أحلامي الخضراء قد ذبلت	والروضُ يلوي زهره الأجل
ويداي ترتعشان من وهن	وشبابي المحزون يكتهل
الموقدُ الوسنانُ سهَّده	طول النوى والصمتُ والوجل
وشجيرة الزيتون مطرقة	والمقعدُ المهجورُ يتهل
وملاعبُ الأطفال موحشة	من بعدهم والسفحُ والجبل

ويأتي العيد فيعزف فيه الشاعر هذا اللحن الحزين قائلاً^(٢):

للهِ كم عادي همٌ وتسهيّد	فأعول الجرحُ إذ أقبلتَ يا عيدُ
وكيف يسعدُ إنسانٌ بغربته	يشنيه عن أهله ظلمٌ وتشريدٌ؟!

لا يرى الشاعر للفرحة بالعيد مكاناً في قلبه، وأتى له الفرحة وهو بعيد عن أهله ووطنه؟.

ثم يبدأ الشاعر في عرض لوحات من مأساة وطنه الذي دنس اليهود طهره:

(١) قادمون مع الفجر: ٦٣-٦٤.

(٢) نداء الحق: ٢٣٣.

وبثوا الفزع والخوف في قلوب الآمنين، وحولوا عيشتهم إلى بؤس وتنكيد.
فهجروا بلادهم وذبلت زروعهم. ويتساءل في حسرة أي عيد يحسُّ به المشردون
في الخيام؟ يقول^(١):

أين الربوع التي شَعَّتْ منائرُها	طهراً فدَنَسَها رجسٌ وتهويدٌ؟!
والآمنون صغارُ الحيِّ -والهَفي-	أنحى على عَشَّتْهم بؤسٌ وتنكيدٌ
فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنُهم	مهجورةٌ صَوَّحتْ فيها الأماليدُ
تُرى بأيِّ خيامٍ سوف يشملُهم	يا عيدُ منك ومن آلائك الجودُ؟
وهل تراهم كما كانوا ذوي مرحٍ	لهم مع العيدِ والحلوى مواعيدُ؟

وبعد أن عرض هذه الصورة الأليمة للواقع البائس، نجده يعرض -في
المقابل- صورة الماضي السعيد في مرابع الوطن ومجالي الطفولة والصبا حيث المرح
والحلوى والأفراح والزغاريد في العيد، وحيث الأناشيد تحدو الأراجيح، وتلبس
الغيد الحلل الجميلة. ويعود للتساؤل بتحسر: ((هل تُرى بدلت أثوابها الغيد؟)).
يقول^(٢):

وأين موكبُ أفراحٍ تظللُه	حدائقٌ لعلتْ فيها الزغاريدُ؟
ترنح الزهرُ تيهاً مثلما رقصتْ	فيها الأراجيحُ تحدوها الأناشيدُ
وترفل الغيد كالريحان في حلل	فهل ترى بدلت أثوابها الغيدُ؟

وفيما يأتي من أبيات يثّ الشاعر آلامه من خلال مشاعر الأم، إذ يقول^(٣):

(١) نداء الحق: ٢٣٣.

(٢) المرجع السابق: ٢٣٣-٢٣٤.

(٣) نداء الحق: ٢٣٤.

والأمُّ كيف تراها وهي ساهرةٌ من لوعةِ الروحِ تنساب المواجيدُ
ترنو إلى حيثُ كان الشملُ ملتئماً بالأمسِ يجمعه حبٌّ وتوحيدُ
القلبُ يذهبُ أشتاتاً موزعةً والفكرُ من وطأةِ الأرزاءِ مكدودُ

إن مشاعر الأسى والحنين إلى الديار والأحباب تحرق هذه الأم الملتاعة؛
فتهيج ذكرى الشمل الملتئم، يجمعه الحب والتلاقي، أما اليوم فالشمل مشتت،
وكذا القلب، والفكر مكدود تحت وطأة الأرزاء.

وفي قصيدة ((قالوا هو العيد)) عزف الشاعر لحناً حزيناً آخر. فقال^(١):

قالوا هو العيدُ قد هلّت بشائرهُ وأشرقتْ كالسنا الهادي شعائرهُ
وبعد هذا المطلع المتفائل يمضي الشاعر في تصوير المأساة^(٢):

حللتَ يا عيدُ والعشُّ الحبيبُ كما عهدته طلاً تبكي هواجره
والشملُ كالريشةِ الحيرى يبعثره
تشعبتُ في بلادِ الله غربته
من كان بالشاةِ قد ضحى ففديتنا
يا عيدُ والقدسُ آلامُ محلجلة
والأرضُ تجترُّ في أحشائها حمماً
بالصدرِ يستقبل النيرانَ مقتحماً
عهدته طلاً تبكي هواجره
صرفُ النوى والعوادي لا تغادره
والليلُ كم غورت نجماً دياجره
دماءُ شعبٍ بها سالت مجازره
والنارُ تنفث بركاناً زوافره
ما عاد للحرِّ فيها ما يحاذره
لا يرهبُ الموتَ إن دارتْ دوائره

نلمس في الأبيات ارتباط الشاعر العاطفي بتلك البلاد التي قضى فيها طفولتنا

(١) جراح وكلمات: ٣١.

(٢) المرجع نفسه: ٣٢.

وصباه. فقد أتى العيد وبلده الحبيب ما زال طلالاً تبعث معالمه على البكاء والأسى. وتبدّد الشمل كريشة حيرى في مهب رياح التوى. وتشتت أهل البلاد مغترين في نواحي الأرض، ولا نجم يضيء ليلهم الطويل. وتحرق مشاعر الألم والحنين إلى القدس شاعرنا، فيهتف هذا الهتاف الشجي: أيها العيد أتيت والقدس مترعة بالآلام، ويدعو أبناءه للثأر كالبركان. فالأرض تمور بالحمم جراء ما يحدث على ظهرها من مأس دامية، والأحرار يتصدون للنيران في إصرار وصمود، ولا يعرف الخوف طريقه إلى قلوبهم.

وفي قصيدة رابعة للشاعر أحمد محمد الصديق وفي أول كلمة ينقل إلينا الشاعر حزنه العميق على وطنه الغالي فيقول^(١):

يا ثرانا الحبيب هجت شجوني	ودعاني أريجك الفواح
موئل الطهر والقداسة ماذا؟!	كيف تكسو سماءك الأتراح؟
كيف تشكو فيك المساجد هجراً	وهواناً تشقى به الأرواح؟
المحارب تستغيث وقد غبا	مت رؤاها وأطفئ المصباح

هذه هي الأوضاع في وطنه موئل الطهر والقداسة. فالسماء ملبدة بالأحزان، والمساجد مهجورة تشكو الهوان، والمحارب تترقب من ينقذها من دنس العدو.

ثم يصور الشاعر مأساة اللجوء والشتات في نواحي الأرض قائلاً^(٢):

تلك أوطاننا يعيث بها الطغـ	بيان ظلماً وحقناً مستباح
أهلها ويسح أهلها كالسبايا	في فلاة يُغدى بهم ويُراح

(١) نداء الحق: ٢٤٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٤٨.

مَزَقٌ فِي الْخِيَامِ تَعْدُو عَلَيْهَا كُل رِيحٍ يَهِيْجُ فِيهَا النَّبَاحُ
وَالْيَتَامَى وَرَاءَ كُلِّ شَهِيدٍ صَرَخَاتٌ فِي الضَّمِيمِ لَا تَرْتَاحُ
فَهِيَ بَيْنَ الْخِيَامِ تَغْلِي وَلِلْبُرِّ كَانَ عَصْفٌ وَلِلْهَيْبِ اكْتِسَاحُ

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يرسم لنا لوحة دامية للمعاناة والاضطهاد الذي يعانيه أهل بلاده. حيث يعيش الطغاة فيها فساداً وإفساداً، وتستباح الحقوق، وأهل البلاد أسرى لا حول لهم ولا قوة. يسكنون الخيام ويعانون اليتيم والضميم والأسى، ويقاسون من هيب الأحران القاسية.

وفي مقابل هذه اللوحات الأليمة التي رسمها الشاعر للواقع البائس، نجدده يث روح التفاؤل والأمل في النفوس في القصيدة الأولى^(١):

إِنِّي أَتَحَسَّسُ فِي صَدْرِي طَعْنَاتِ الْخَصَمِ الْغَدَارِ
فَأَرْشُ عَلَى سَفْحِ الْوَادِي قَطَرَاتِ اللَّهَبِ الْمَوَارِ
كَيْ تَنْبِتَ فِي الْفَجْرِ الْآتِي بِالْحَقِّ أَكَالِيلُ الْغَارِ
وَتَقْوِدَ الشَّعْبَ لَغَايَتِهِ وَتَفْجَّرَ بَرَكَاثُ الثَّارِ
لَنْ تَذْهَبَ أَيَّامِي بَدَدًا هَبِّي يَا نَقْمَةَ إِعْصَارِي
لَنْ تَذْبَلَ أَحْلَامِي أَبَدًا بِالنَّصْرِ سَتَعْقِدُ أُنْمَارِي

لا يستسلم الشاعر لليأس ولا يتردى في مهاويه، وإنما يجعل من معاناته دافعاً للثورة ذات اللهب الموار. فينظر إلى الفجر القادم في أمل وتفاؤل، ولن تذبل الأحلام بل ستثمر عناقيد النصر المؤزر.

(١) قادمون مع الفجر: ٧١-٧٢.

وفي القصيدة الثانية ينظر النظرة المتفائلة ذاتها، قائلاً^(١):

الحُرُّ لا ينسى وشائجَه أبداً إذا ما الناسُ قد غفلوا
وطنُ الفتى أغلى وإن عذبتُ في غيره الأمواه والظللُ
وإذا دعا الداعي لنصرته أفتته كالبرقِ يمشلُ

فلا يدع الشاعر الحزن واليأس يتغلب عليه، بل تبدأ صورة الحزن بالتلاشي لتأخذ طابعاً إيجابياً، وتشير إلى التحرك الإيجابي وتظهر بوادر الدعوة لمسيرة التحرير. فيرفض الشاعر من أعماقه أن تسرق أرضه أو أن يبقى مشرداً، ويؤكد تصميمه على الرجوع إلى أرضه. ويردد عبارات ثائرة تعصف به لتدفعه إلى المضي نحو أرضه في عزم وثورة وتصميم.

والعزم والتصميم نفسه نجده لدى الشاعر في قصيدته الثالثة. إذ يقول^(٢):

وإنما يقهر الطغيانَ معتصمٌ بالله منتقمٌ لله صنديدٌ
وليس يعمرُ بِنانٌ لنا أبداً ما لم يكن فيه للأخلاقِ تشييدٌ
نستقبلُ الأمر في عزمٍ وفي ثقةٍ والجندُ في ساحةِ الرحمنِ محشودٌ
هناك تعلقو بدينِ الله رايتنا حقاً ويصحبنا عزٌّ وتمجيدٌ

فالعودة إلى الإسلام والاعتصام بعروة الإيمان الوثيقة هو السبيل إلى قهر الطغيان، والعزم والثقة بالله والجهاد في سبيله هي عنوان الفلاح. فتعلقو راية الحق ويعود لهذه الأمة سابق عزها ومجدها.

(١) قادمون مع الفجر: ٦٥.

(٢) نداء الحق: ٢٣٦.

وفي القصيدة الأخيرة للشاعر ينظر النظرة المتفائلة نفسها، ويعزف اللحن الواعد ذاته. فيقول^(١):

ليت شعري هل نحن كالقدر المحـ	توم بئنا وكالردى نحتاج
في انتفاضٍ تصميمه أذهل الأغـ	عداء طراً وحار فيه الكفاح
لا نبالي وإن تلاطم بحر	من دمانا وهيض منا الجناح
فاعزفي يا بنادق النصر حثـ	يتجلى في أرضنا الإصباح

بقوة وعنف يندفع الشاعر لإعطائنا صورة المسلم الثائر، الأمل المنشود للتخلص من الأعداء في انتفاض وإباء وتصميم. فتعزف البنادق ألحان النصر ((ويتجلى في أرضنا الإصباح)).

والشاعر أحمد فرح عقيلان يعبر عن مأساة اللجوء ومشاعر الحنين، في قصيدته ((صورة من المخيم)) فيقول^(٢):

ثكلتُ المني ودفنتُ الحبيبا	وأصبحتُ ما بين قومي غريبا
وصوح روضُ الشبابِ النضيرِ	وحقلُ الأمانِ أمسى جديبا
وعاد النشيدُ نشيجا حزينا	ولحنُ العنادلِ أمسى نعيبا
فكم عادةٍ كابتسام الجمالِ	تكفكفُ دمعاً أيّاً مهيبا
وكم من يتيم ينادي أباه	وهيهات يا ويحه أن يجيبا
وكم مقلّةٍ كسواد الدّجى	تغطي سواد الليالي نحيبا
وكم جائع بات يطوي الحشا	وقد عاش بالأمس عيشاً رحيبا

(١) نداء الحق: ٢٤٩.

(٢) رسالة إلى ليلي: ٨١.

وتلك الخيامُ بها المسلماتُ طوين على الهمِّ جسماً سليماً
فكم خيمةٍ لو تأملتَها رأيتَ المخبَّأ قبراً رهيباً

ليس هناك شيء يحزّ في النفس أشد من مشاعر الغربة؛ فيشكو الشاعر من ضياع أمانيه وتولي شبابه النضير، فتحول صوت النشيد إلى بكاء حزين، وصار غناء العندليب كنعيب البوم. ويشرع الشاعر في رسم لوحات من المعاناة الدامية، فها هنّ أولاء الفتيات يذرفن الدموع الأبيّة، وها هم أولاء اليتامى ينادون آباءهم ولا من مجيب، والعيون السوداء لا تفارقها الدموع، والجياع يطويهم الجوع بعد العيش الرغيد في الوطن السليب. ويصور الشاعر حال المسلمات داخل الخيام وقد سيطرت عليهن الهموم داخل الخيمة بل القبر الرهيب.

ولكن الشاعر مع ذلك يتمسك بأهداب الأمل، ويستنهض همم الإخوة ليهبوا معه للفداء. فبغير الجهاد والفداء لا تحين العودة، يقول^(١):

أخي لا تم بعد هذا الضياع وأقبل كليث يروم الوثوبا
أخي لن نعود بغير الفداء فكن عاملاً صامتاً لا خطيباً

ويركّز الشاعر فيما يأتي من أبيات على مشاعر الإباء والصمود والعزم التي تغلي في نفوس اللاجئين. إذ يقول^(٢):

زعموا بأننا في الخيام بلينا وتغيرت أحوالنا ونسينا
وتوهموا أن المخيم خطّة ستُشيع إحساس الهزيمة فينا

(١) رسالة إلى ليلي: ٨٤.

(٢) جرح الإباء: ٥٢.

ومضوا يثون الدعاية أنا في حماة الفقر الشديد فنيما
خابوا ورب البيت إنا هاهنا مات العدو بغيظه وحينما
ما زادنا التشريد إلا عزيمة وعقيدة وبطولة ويقينا
إنا على رغم الشدائد جوهر لم يُرخص التشريد من غالينا

يعمق الشاعر في أذهاننا صورة المغترب الصامد رغم ما يحوطه من الأسى وشظف العيش، فمع كل المعاناة التي يحياها في المخيم إلا أنه ما زال عازماً على العودة. والعقيدة تقوي مشاعر البطولة واليقين بالنصر، فهذا هو جوهره الغالي الذي لا يضعفه التشنت والاغتراب.

ثم يستلهم الشاعر أمجاد الماضي يوم أن كان المسلمون متمسكين بدينهم، فدانت لهم الأمم. ويذكر الشاعر أبناء الأمة بانتصارات القادة الأفذاذ، أمثال: عماد الدين زنكي فاتح الرها وصلاح الدين بطل حطين. علّهم يحذون حذوهم متضامنين حول رباط الأخوة في الله، وحينها يتحقق النصر. قال^(١):

إسلامنا لا يقبل استسلامنا اسأل به كسرى وقسطنطينا
واسأل عماد الدين عن حصن الرها واسأل صلاح الدين عن حطينا
في مكة الغراء رمز إخواننا أبداً ينادينا لما يُحيينا
لا نصر إلا بالتضامن مبدأ صدقاً وإلا بالحنيفة ديننا

ومن قصيدة ((عيد اللاجئ)) للشاعر نفسه، نلمس أحوال النازحين ومـ يقاسونه من واقع مؤلم. حيث يقول^(٢):

(١) جرح الإباء: ٥٤.

(٢) المرجع السابق: ٥٥.

أيّ عيدٍ وقد ثكلتُ بلادي
أيّ عيدٍ وألفُ ألفٍ شريدٍ
أيّ عيدٍ وبين أحشاءٍ قومي
أيّ عيدٍ وللدماءِ لهيبٌ
والربوعُ المقدساتُ الغوالي
والعدوُ الوضعُ يسخر منّي
وفلسطينُ في ثيابِ الحدادِ؟
في خيامٍ مصبوغةٍ بالسوادِ؟
سرطانٌ يفورُ بالأحقادِ؟
يوقدُ الثأرَ أيّما إيقادِ؟
دنسُها شراذمُ الأوغادِ
ويدوسُ الرفيعَ من أجدادي

هذه الصورة المؤلمة التي يرسم خطوطها الشاعر تنبئ بالأسى العميق والألم الممض. وهذه التساؤلات الحيرة تعمق الشعور باللوعة والحسرة: بأي عيد نفرح به وفلسطين ما تزال تلبس ثوب الحداد؟ وأي عيد والآلاف مشردة في الخيام السوداء؟ وأي عيد والعدو الحاقد يجثم على الصدور، ودم القتلى يلهب نار الثأر في النفوس، والمقدسات يدنس العدو طهرها، ويهين الأجداد على الأرض المقدسة؟.

ويعلن الشاعر محمد صيام صمود ساكني الخيام من النازحين مع كل ما يواجهونه من مشاق. فيقول^(١):

من خيمتي تلك التي
كالمـاردِ الجبار في
وبنيّ فيها كلّ يو
سنعود يا وطني ولو
منها ساكتبُ قصّتي
صمدتُ على مرّ السنين
وجه الحوادث أجمعين
مـ يزأرون مُردّدين
-إن شاء ربك- بعد حين
بصراحة للعالمين

(١) ميلاد أمة: ٨٢.

فأنا ابنُ شعبٍ لن يكلَّ من الجهادِ ولن يَلينَ
ولسوف يشعلها لظى حتى يعودَ إلى العرين

يقرر الشاعر في ثورة وعزيمة أنه صامد رغم المحن، كالمارد الجبار يتحدى كل الصعاب. وقد علّم أبناءه الصمود والأمل في العودة إلى الوطن الحبيب. وسيكتب من هذه الخيمة قصة صموده للعالم. فهو ابن هذا الشعب المجاهد الصامد. وستظل الثورة تلهب في صدره حتى يعود كالأسد إلى عرينه.

والمشاعر الصامدة ذاتها يسجلها الشاعر على لسان الفدائيين في قصيدته ((الفدائيون)) إذ يقول^(١):

وجلسْتُ أسمعُ والفدا ثيرونَ يروون الحكاية
قالوا بأن الموتَ أصـ —بح في سبيلِ الله غاية
وقراعُ ذُوبانِ الفلا ةِ الطامعين لهم هواية

* * *

وسيصيرون على المكا ره رغم بطشِ المعتدين
حتى نعود إلى فلسـ —طين الحبيبة ظافرين

ثم يمضي الشاعر وقد غلبته رقة الحنين إلى وطنه. فيقول^(٢):

(١) دعائم الحق: ١٤٤. والقصيدة متعددة القوافي.

(٢) المرجع السابق: ١٤٤-١٤٥.

سألُهم عن أهلنا بعد التشتت والفراق
ورفاقنا في الوطن الغا لي تُرى كيف الرفاق؟
فعلمتُ أن نفوسهم ملئت حنيناً واشتياق

* * *

لكنهم آلوا بأن يبقوا هناك مرابطين
رغم التبجح من عدو الله والحقد الدفين
إنه يسأل الفدائيين عن أهله ورفاقه في الوطن الحبيب، ماذا حل بهم بعد
الفراق؟ لا شك أنهم يعانون مرارة الحنين والاشتياق، ولكنهم مع ذلك كله
أقسموا ((بأن يبقوا هناك مرابطين)) صابرين على إرهاب العدو الغاشم.

ثم يستطرد الشاعر سائلاً عن مدن بلاده السلية، التي لا يرى مثيلاً لها على
وجه الأرض. ويسأل الفدائيين الأبطال عن بطولاتهم ومعاركهم، وعن المسجد
الأقصى فيأتيه الجواب: ((برّحه الحنين)) والشوق إلى المصلين. فيقول^(١):

وسألت عن يافا وعن حيفا وغزة والخليل
وبلادنا تلك التي في الأرض ليس لها مثل
وعن البطولة في جبا لـ القدس أو أعلى الجليل

* * *

والمسجد الأقصى الحبيـ بـ فقيل: برّحه الحنين
وبه اشتياق عارم للراكعين الساجدين

(١) دعائم الحق: ١٤٤-١٤٥.

أما الشاعر كمال رشيد فيعرض محنة الاغتراب في أسلوب تعريض ساخر، فيقول^(١):

اطرب يا شعبُ ولا تغضبُ	واهتف للمذنبِ إذ أذنبُ
لا تغضبُ إن بلدي ضاعتُ	فخيّامُ الذلِّ بنا أرحبُ
سلبوك الأرضَ وما فيها	والخصمُ أتاك ولم يرهبُ
يا شعبُ عدوك في عملٍ	ليلاً ونهاراً لا يتعبُ
وبنوك اليوم يطيب لهم	ميسورُ المأكلي والمشربُ
صاروا أشتاتاً أغراباً	يحنون الهامَ لمن يركبُ
اللعبةُ حقاً ممتعةُ	والكل لمنظرها يطربُ

يلجأ الشاعر إلى أسلوب السخرية المترعة بالمرارة. حيث ينحي باللائمة على الشعب المنشغل بالملذات عن إخوانه الذين يسومهم العدو سوء العذاب، بعد أن ضاعت بلادهم وأصبحوا يعانون حياة التشرد والمذلة والاغتراب.

كما ييث الشاعر شكواه الموجهة في قصيدة ((وطني)) قائلاً^(٢):

أما أنا فلقد سئمُ	سُتُ من المعاني الضائعة
وتركت أهاتِ الهوى	لذوي النفوسِ الوادعة
أهفو إلى الوطن الذي	أتممتُ فيه السابعة
وتركته طفلاً صغيراً	سراً للذئابِ الجائعة
وكبرتُ كالأيامِ حَتَّى	ذقتُ طعمَ الفاجعة

(١) شدو الغرباء: ٢٦-٢٧.

(٢) شدو الغرباء: ١٥. والقصيدة متعددة القوافي.

(١) شدو الغرباء: ٣٧.

ويصف الشاعر نفسه واقع التشرد والتشتت. فيقول^(١):

غدت موزعاً في كل أرض	وأوطاني غدت للخصم مرعى
وفوق الذلّ حربٌ واقتالٌ	وأشلاءً بلا هدفٍ وصرعى
أيام كداحس قد أطلت	تدعّ القوم للبغيضاء دعاء؟
وخصمي كان أشتاتاً وأمسى	بفضل النجمة السوداء جمعاً
أودع إخوتي في كل يوم	وأسبلُ عيرتي وأزيد دمعاً

يتحسر الشاعر على وطنه وأرضه التي اغتصبها العدو، وتركه مغترباً في نواحي الأرض. ويصف ملامح المأساة المترتبة على ذلك، من تشريد الأهل في المخيمات، وتفرّقهم، وتطاحن الأحزاب واختلافها. وكأنهم يعيدون حروب داحس والغبراء التي كانت بين العرب في الجاهلية.

وفي المقابل يرى الخصم الذي كان شراذم في الآفاق، يجتمع اليوم تحت شعار النجمة المسدّسة شعار إسرائيل. ويعود الشاعر ليكي القتل نتيجة هذه الصراعات، ويسيل العبرات تلو العبرات.

وحول الفكرة نفسها يدور حوار بين الشاعر كمال رشيد وعاذل يلومه قائلاً^(٢):

(١) شلو الغرباء: ٣٨.

(٢) شلو الغرباء: ٢٤.

الدمعُ يغمر شعرك الحاني وكأن قلبك فيضُ أحزانٍ
 إن الطبيعة سفر معجزة أو ما أخذت بسحرها الداني؟
 لِمَ لم تصف ورداً وزنبقةً ومجالساً في ظلّ بستانٍ؟
 لِمَ لم تصف قلباً يورقه حباً إلى معشوقه الحاني؟
 لِمَ لم تصف بتاً مدلهةً لِمَ لم تقل ((يا ظبية البان))؟

ينكر ذلك العاذل على الشاعر الحزن الدائم الذي يغلف قلبه وينعكس على شعره. ويتساءل في تعجب لِمَ لم يكتب عن سحر الطبيعة ووصف الورد والجلوس بين الرياض الياقة؟ لِمَ لم يصف هموم العشق والعشاق، ولم يصف المحبوبة ((ظبية البان))؟.

ويأتي العرض لصور المأساة، ومظاهر الإرهاب الصهيوني من خلال الرد على هذا اللوم، فيكشف الشاعر سر ذلك الشجن الذي يغلف شعره، ويأخذ بمجامع قلبه^(١):

يا عاذلي في الشعرِ معذرةً طولُ الجوى والبعْدُ أشجاني
 ماذا وقد زادت مصارعنا والخصمُ يمرحُ فوق أوطاني؟!
 أئذا بكيتُ على ربا وطني أئذا رثيتُ لقتلِ إخواني؟
 أئذا جزعتُ لسجنِ سيّدةٍ مأسورة من خلف قضبان؟!
 أئذا بكيتُ العيشَ في زمن أترى سأكبي كلَّ أزماني؟!
 لكنني بالحق ملتزمٌ والحقُ يأمرني وينهاني

(١) شدو الغراء: ٢٤-٢٥.

وأصون شعري أن أضيّعه في وصف أجسادٍ وسيقانٍ
مرّت على أوطاننا محنٌ أخنت على حي ووجداني
حتى أتيتَ تقول في أسفٍ: ((الدمع يغمرُ شعرك الحاني))

يعتذر الشاعر إلى العاذل، بأن طول البعد عن موطنه هو الذي جعل الشجن يخيم على شعره. فالعدو يُعمل القتل ويشيع الدمار على أرض الوطن، ثم يتساءل: إلى متى سيظل يرثي القتلى من إخوانه، ويكي السجناء والسجينات ظلماً وعدواناً؟ ثم يعلن في إصرار وتحذُّ أنه ملتزم بالحق وإن ادلهمت الخطوب. وأنه يربأ بنفسه عن أن يضيّع شعره في مشاعر رخيصة وأفكار تافهة. فالحن تطفئ على مشاعر الحب والوجدان.

ويقدم الشاعر كمال الوحيددي^(١) لقصيدته بقوله^(٢): ((شمس بيروت تغيب صوب بحر فلسطين التي حرمتُ منها منذ سنين، فتذكرتُ الأهل والأصدقاء والوطن)). ثم يقول^(٣):

يا شمسُ حيّ موطني وصحابي إن غبتِ أنتِ فقد يطول غيابي

(١) كمال عبد الكريم الوحيددي: ولد في غزة هاشم عام ١٩٣٢م، وعاش في قرية المخيزن بقضاء الرملة. شارك في الجهاد في فلسطين، التحق بكلية الحقوق في القاهرة ولكنه لم يتم دراسته فيها، فعاد إلى غزة، ثم انتقل إلى قطر. وعمل فيها في التدريس ثم حصل على الشهادة الجامعية في اللغة العربية من بيروت. له مجموعات قصصية ومسرحية ودواوين شعرية، انظر: شعراء الدعوة الإسلامية: ١٣٧/٧-١٤٥.

(٢) طريد الدار: ٩٣.

(٣) المرجع والصفحة نفسها.

طال الفراقُ وقَرَحَت أجفاننا واليأسُ حلَّ بساحتي ورحابي
عشرين عاماً قد قضيتُ ونَيْفاً وأنا أؤمل نصرةً الأحبابِ
والشيبُ بان بعارضي ومفرقي والخطب أفقدني عظيم صوابي

يحدثنا الشاعر عن غربته وحنينه إلى موطنه، حيث الأهل. فيرسل لهم التحية مع الشمس، ويسألها ألا تغيب؛ ليظل آملاً في العودة إلى موطنه، كما تشرق الشمس بعد الغروب، وقد طال الفراق ويكاد يفقد الأمل، ويأخذ منه اليأس كل مأخذ بعد هذه السنين الطوال، وهو ينتظر نصرة الإخوة الأحباب، فقد علا الشيب الرؤوس جراء هول الخطوب.

ثم يلتفت الشاعر إلى جزئيات المأساة من تشرد واضطهاد وتنكيل، ويتذكر وعد بلفور المشؤوم، حين أعطاهم هذا الحاقد فلسطين وطناً قومياً، فيندد الشاعر بهذا الوعد، ويقرر أن الإنجليز هم أعداؤنا منذ أن وقفوا خلف اليهود ظلماً وعدواناً، قال^(١):

فلقد تجرّع بالتشردِ شعبنا كأس المرارة من وحوش الغابِ
سلب اليهود بلادنا ورياضنا بالقدر والتنكيل والإرهابِ
وحكومة الطغيان شدت أزرها ((بلفور)) واعدتهم بشر كتابِ
أعطاهم القدس الشريف لحقه ودم المسيح كزعيمهم بترابي^(٢)

وللشاعر نفسه قصيدة ثانية في الحنين والغربة يسير فيها على سنن الشاعر

(١) طريد الدار: ٩٤-٩٥.

(٢) يدعي النصارى أن المسيح قُتل وصلب، ومع هذا يقدم بلفور لقاتلي معبوده ((اليهود)) الوطن الذي قتلوه فيه!!.

القلم حين يوجه شكواه إلى اليمامة التي هيّج هديلها كوامن الأسى في نفسه^(١)، فقال^(٢):

هديلك يا يمامة هزّ حسي	وبثّ الشوق في أعماق نفسي
أثار الذكريات بها لهيأ	فحنّت للتي ألفت أنسي
إليها جاد قلبي بالتحايا	فمنها النور يسطع ضوء شمس
وفي ربواتها أنشدت شعري	نقياً ليس ذا زورٍ وليس ^(٣)
على هضباتها حلّقت أشدو	بكل فضيلة وخيار غرس

يعبر الشاعر عن حنينه لوطنه وشوقه إلى الديار التي وجد فيها الأنس والنور، وأنشد فيها الشعر الصادق وعلى هضباتها حلّق سعيداً متغنياً بكل فضيلة.

ثم يحكي الشاعر كيف تقطعت الأسباب بينه وبين وطنه ليعمق بذلك صورة الألم فيهتف^(٤):

يمامة ردّدي سجعاً فإني	بعيدُ الدارِ عن أهلي وقديسي
طريدٌ عن ديارٍ منذ حين	وقد سُلبت روايها بخلسٍ
وكان الأهل صرعى في عراءٍ	وفي الفلوات قتلى دون رمسٍ

(١) من ذلك قول الخنساء:

تذكرتُ صخراً إذ تغتت حمامةٌ
فظلتُ لها أبكي بدمع حزينه

هتوفٌ على غصنٍ من الأيك تسجعُ
وقلبي مما ذكرّني موجعُ

ديوان الخنساء: ٦٨.

(٢) طريد الدار: ١٥٥-١٥٦.

(٣) لس: دس.

(٤) طريد الدار: ١٥٦-١٥٧.

بربك يا يمامة شاطريني بأسجاع أجد فيها التأسّي
وبشي الشوق إن يمت أرضي كنفح الزهر في طيات طرسي

تتجلى في الأبيات نعمة الحزن الحزينة الممتزجة بالأنين الموجد. فقد مرّ الشاعر بأقصى الظروف أمام عسف العدو وجبروته. فأبعد عن بلاده بعد أن استولى عليها البغاة، خلال أيام حسوم عابسات، فأعملوا في أهله القتل والتنكيل. ويعود إلى اليمامة فيسألها أن تواسيه بسجعها، وأن تحمل أشواقه العطرة إلى أرض بلاده الحبيبة.

ويتوجه الشاعر صالح الجيتاوي إلى ربه في ابتهاج ضارع شاك، ويقول^(١):

يا ربّ يا معبود طالت غربتي ودجت لحالك ما بها أيامي
وتتابعث تترى الخطوب وأطبقت ويكاد يفلت من يدي زمامي
أشكو إليك مصائباً توري الحشا بوحاً إليك يفيض عن آلامي
أشكو إليك تنابذاً وتصارماً أشكو إليك تقطع الأرحام
ومصارع الشهداء ما جفت ولا فقدت أنوف فوحة الإجرام

يشكو الشاعر إلى ربه طول غربته الحالكة السواد، محروماً من متعة العيش في موطنه، وتكاد الأحداث تفقده صوابه، والمصائب تترى ملهبة نار الألم والحنين. وشيء آخر يقاسيه الشاعر هو تنابذ الإخوة وتخاذلهم عن نصرة إخوانهم. وهم يرون ما يحلّ بهم من هوان وإرهاب وتنكيل.

(١) صدى الصحراء: ٧٠.

هذا وجملة القول أن بلابل الشعر صدحت متأثرة بأجواء الغربة ومشاعر الحنين والشوق إلى الوطن، في إسهاب واستفاضة.

وقد سيطر الضياع وجو الحزن والأسى والشفقة على قصائدهم، ولكن خفف من سوداوية هذه الصورة وقتامتها مسحة من التفاؤل عند معظم الشعراء الذين مجّدوا الصامدين الثائرين، وأطلقوا صيحاتهم المدوية من أعماق قلوبهم؛ لشحذ العزائم واستنهاض الهمم، محرّضين على الصمود والثبات في وجه الأعداء لاسترجاع الوطن المحتلّ فضلّ الأمل يداعب نفوسهم مع ما يقاسونه بعيدين عن وطنهم؛ مما ترك على شعرهم هذه البصمات القوية البارزة.

المبحث الرابع

إحراق اليهود المسجد الأقصى

عام ١٩٦٩م وردود الفعل العربية

إن إسرائيل التي تدّعي كفالتها الكاملة لحرية الأديان تضرب كل يوم عرض الحائط بهذه الكفالة، وإنّ في هذه المحاولات الاستفزازية التي تقوم بها الجماعات العنصرية والمتطرّفة ضد المقدسات الإسلامية في القدس، واكتشاف مخططات هدم المسجد الأقصى؛ لإقامة الهيكل اليهودي المزعوم مكانه، لعل في هذه المحاولات شهادة على معاداة الصهيونية للأديان السماوية^(١).

((و لم تسلم أماكن العبادة للمسلمين والمسيحيين على السواء من المخططات الاستيطانية. وتتفاوت الممارسات في شدتها ما بين انتهاك حرمة الأماكن المقدسة أو هدمها أو إحراقها أو الاعتداء عليها وعلى موجوداتها بالسرقة والسلب))^(٢).

وبعد أن ذهب البحث عن هيكل سليمان المزعوم أدراج الرياح، فلم تجد إسرائيل شيئاً مما افترضته، أوحى إليهم شيطانهم أن تدمير المسجد الأقصى وإزالته من الوجود سيعطيهم الحق في بناء الهيكل على أنقاضه، كما يُزال معلم إسلامي مهم؛ وبذلك تزول الصبغة الإسلامية عن القدس. وصمموا على تنفيذ خطتهم النكراء في الثامن من جمادى الآخرة عام ١٣٨٩هـ الموافق للحادي والعشرين

(١) انظر الملف السري الأسود لإسرائيل: ١١٢.

(٢) المرجع السابق: ١١٣.

من آب عام ١٩٦٩م حين تعرض المسجد الأقصى لحادث حريق متعمد نفّذه يهودي إسرائيلي، زعمت السلطات الصهيونية أنه مختل عقلياً. وما إن شوهدت النيران بالمسجد، حتى هرع إليه المسلمون من كل حذب وصب؛ لإطفاء الحريق. فدبت فيهم روح الحمية الإسلامية، وهاجموا الاحتلال بعنف وضراوة، واستطاعوا إنقاذ ثالث الحرمين الشريفين، بعد أن أتت النيران على منبر صلاح الدين وعلى أجزاء كبيرة منه^(١).

وبعد الحريق بيوم دعا الملك فيصل بن عبد العزيز -رحمه الله- إلى مؤتمر قمة إسلامي، حضره رؤساء خمس وعشرين دولة إسلامية في مدينة الرباط بالمغرب. ونادى فيه بالجهاد المقدس، ورفض أي حل للقضية الفلسطينية لا يكفل حرية القدس وضعها السابق لأحداث حزيران عام ١٩٦٧م كما طالب المؤتمرون جميع الحكومات -وبصورة خاصة حكومات فرنسا والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية- أن تأخذ بعين الاعتبار تمسك المسلمين القوي بمدينة القدس وعزم حكوماتهم الأكيد على العمل من أجل تحريرها.

وساهم الشعراء الإسلاميون في توعية الجماهير المسلمة لما يُحاك ويدبّر للمسجد الأقصى. فانساب الشعر الإسلامي دفاقاً يحمل مشاعر الغضب والثورة جراء هذا الحادث المؤلم. قال عمر بهاء الدين الأميري مقدماً لقصيدته^(٢): ((في الذكرى الأولى للإسراء والمعراج بعد حريق المسجد الأقصى وانهقاد مؤتمر القمة الإسلامي)).

(١) انظر الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامي المعاصر في قضية فلسطين: ٥٥٩-٥٦٠.

(٢) من وحي فلسطين: ١٣٢.

يفتح الشاعر قصيدته بتوجيه نداء حار إلى ذكرى الإسراء والمعراج ويصرح
ببكاؤه ((والأبيّ على البكاء يلام)) إذ قال^(١):

يا يوم معراج الرسول وأنت في كَرّ الدهور، هداية وسلامُ
عذراً إذا خنق البكاء تحيّي لك، والأبيّ على البكاء يلامُ

لكنه لا يلبث أن يبيّن سبب البكاء وعدم القدرة على حبس الدموع^(٢):

لكنه الأقصى وفي نكباته وحريقه، حبسُ الدموع حرامُ
دمع الأبيّ الحرّ بعضُ جهاده وزفيره عند الوغى إقدامُ

ثم يقول^(٣):

فالقدسُ نارُ محاجري ومشاعري هولٌ يغولُ هناءتي وحمّامُ
هل تطمئنُ بي الصلاةُ وقبلتي الـ أولى يدنّسها خنى وأثامُ
في عين إيماني قذى وأذى وفي قلب السكينة للهموم عرامُ

وبعد أن عبّر الشاعر عن مكنون يفيض بالأسى والألم الممض، بدأ بعرض
ملامح المحنة المتمثلة في استباحة العدو لمقدسات المسلمين وكرامتهم نتيجة بدهية
للفرقه والخصام الذي يحبونه. والبعد عن الدين سبب آخر وراء هذا الحادث
الآليم، فقال^(٤):

أممٌ يشنت شملهم زعماءُهم وعدوهم متكاتفٌ غشامُ

(١) من وحي فلسطين: ١٣٢.

(٢) من وحي فلسطين: ١٣٣.

(٣) المرجع نفسه: ١٣٤.

(٤) المرجع نفسه: ١٣٩.

والحكمُ لا ما أنزل الله الهدى لكنّه الأهواءُ والحكامُ
ورسالةُ الإسلامِ ناموسُ الهدى للعالمين رُعاها أقزامُ

ويعود الشاعر ليوجه نداءً مؤثراً إلى الأمة، فيه لوعة الأسى وحرقة الأحران،
قائلاً^(١):

يا أمةَ المجدِ العريقِ إجابةً هل يستقيمُ لمسلمٍ إسلامُ؟
والمسجدُ الأقصى يُحرقُ عنوةً وذوو البلاءِ، عن البلاءِ نيامُ؟
متجبرون، وإنه استشارهم وهوائهم والبغي والإحجامُ
أغرى ((اليهود)) بنا، وأمكن كيدهم منا، فعدنا والبلاد حطامُ

إنها دعوة إلى اليقظة، وتقريع يخاطب ما في نفوس المتخاذلين من بقايا
كرامة الإنسان المدافع عن كيانه وعن وجوده. ثم يقول محيياً مؤتمر القمة في
الرباط^(٢):

يا ((قمة)) الحكام بورك سعيهم ما أخلصوا، ومضى به الحكامُ
جهدُ الدعاة بكم سيثمرُ غرسُه فلقاؤكم درعٌ له وحزامُ
هذي طليعةُ مسلكٍ منشودة غايائُه، تخذيله إجرامُ
عملتُ له شَمُ النفوسِ وماونت واستشهدت ولها إليه أوامُ
جمعٌ على قربي العقيدة والنهي دفعَ لخطب ردى، أذاه ركامُ

يحيي الشاعر حكام المسلمين المجتمعين في المؤتمر، ويبارك سعيهم، ويرى فيهم
أملاً قوياً في النجاة، وسبيلاً مؤدياً إلى الغايات المنشودة. فالوحدة والتضامن هي

(١) من وحي فلسطين: ١٣٩.

(٢) من وحي فلسطين: ١٤٥.

الطريق لتجاوز الهزائم التي صنعتها الفرقة. فيدعو الشاعر ضمناً إلى التلاقي والتوحد الإسلامي؛ لأن وحدتنا هي طريق سيادتنا على الأعداء، وفرقتنا طريق السيادة للأعداء علينا.

ويهدي الشاعر أحمد فرح عقيلان قصيدته ((واحترق الأقصى)) ((إلى مؤتمر القمة الذي انعقد في الرباط إثر حريق المسجد الأقصى الشريف)). فيقول^(١):

تَكشَّف الأمرُ عن حَقْدٍ وعن لَهَبٍ	وشبَّت النارُ في ميراثٍ خيرٍ نبي
وطأطأت هامةُ التاريخِ من حَجَلٍ	وديسَ في الثُّربِ عزُّ الشرقِ والعربِ
وقهقه الكفرُ في لؤمٍ وسخريةٍ	لما رأى القدسَ يذري دمَعً متحِبٍ

يفتح الشاعر قصيدته مبيناً الأسباب الكامنة وراء هذا الحدث الفظيع، فالحريق المتلهب في الأقصى يحكي اللهب المتضرم داخل نفوس اليهود الحاقدة. ويرسم الشاعر صورة للتاريخ وقد أطارق إغضاءً وحياءً من جراء هذا الحدث المهين لكرامة المسلم.

ويؤكد الشاعر فظاعة هذا الحدث بقوله^(٢):

يا من رأى القبلة الأولى وقد حُرقت	نفسى الفداء لذاك المسجد الخرب
بكت له الكعبةُ العظمى شقيقته	ومادت الروضةُ الغراءُ من غضبٍ
لو كان في العربِ إسلامٌ لما شقيت	منازلُ الوحي بالأوثانِ والصلبِ
ولا تركنا على رُغمٍ ومجبنةٍ	مسرى النبي لأفّاقٍ ومغتصبِ
يا مسلمون لقد عدنا بلا وطنٍ	ولا تراثٍ ولا مجدٍ ولا حسبِ
إن لم تثرْ لحريق القدس غضبُنا	فنحن من معدنِ الأحجارِ والخشبِ

(١) جرح الإباء: ٢٦-٢٧.

(٢) جرح الإباء: ٢٦.

يتحدث الشاعر عن حريق الأقصى حديثاً نرى فيه الألم الذي يعصر قلبه، والتبكيك الذي يهز مشاعر المتقاعسين من الأعماق. فالكعبة المشرفة والروضة الشريفة تبكيان أسىً لما حصل للأقصى. ويبلغ الألم من الشاعر مبلغاً أشد فعلاً وتأثيراً؛ فيهتف متسائلاً: أين الرجولة والحمية الإسلامية؟ هل نجبن عن حماية مسرى النبي ونتركه نهياً ((لأفاق ومغتصب))؟ إن ضياعه يعني ضياع مجدنا وتراثنا وعزنا.

ثم يصور الشاعر شراسة الأعداء، وطباع اليهود من بغض وحقد على الإسلام والمسلمين، مما دفعهم إلى أعمال القتل والتكيل فيهم، كما صنعوا ذلك بأنبيائهم من قبل. حيث يقول^(١):

إن اليهودَ أشدُّ الناسِ مبغضةً	للمؤمنين رواها أشرفُ الكتبِ
حرقُ المصلّى وذبحُ الطفلِ شرعتهم	أفُّ لهم شرعة السكين والذهبِ
كم من نبيٍّ تَرَى من خناجرِهِم	فخرَّ يدعو على الكفار بالغضبِ

ويشني الشاعر على مؤتمر القمة والقادة المجتمعين فيه فيقول^(٢):

يا خيرَ مؤتمرٍ لله منعقدٍ	للحقِّ منتصرٍ للدينِ منتسبٍ
يا قادةَ الأمةِ الغرّاءِ أمتنا	إذا رمت بسوى الإسلام لم تُصبِ
لما رأى خصمنا في الدين قوتنا	مضى يضلّلنا بالهدم والكذبِ
ويوهم النشء أن الدين ليس سوى	رجعية تُركس الإنسان في التعبِ

(١) جرح الإباء: ٢٧.

(٢) جرح الإباء: ٢٨.

لو اجتمعنا على الإسلام من زمن لبات جدُّ بني صهيون في صَبَبٍ
لكن حملنا شعاراتٍ موزعةً فكان ما كان من خزي ومن عَطَبٍ
إذا ابتغينا سوى إسلامنا بدلاً فإننا من بني حمالةِ الخطبِ

يشير الشاعر إلى المؤتمر ويأمل أن يكون فيه انتصار للحق. ويوجه نداءه إلى
القادة المجتمعين مذكراً بأن لا نصر ولا عزة إلا بالإسلام.

ثم ينتقل الشاعر إلى أسباب الهزيمة أمام العدو، فيرجعها إلى أن العدو قد
أعمل الهدم والتضليل بمبادئ أبناء الأمة؛ لإدراكه بأن قوة الأمة تكمن في التمسك
بعروة الدين القويم. فعمل على إضعاف العقيدة في نفوس النشء، بدعوى أن
الدين سبب في الرجعية والتخلف عن ركب الحضارة.

ثم شرع يندد بالشعارات التي مزقت المسلمين إلى أحزاب؛ فأوهنت قواهم،
وأمكن العدو منهم وأركستهم في جاهلية حديثة.

ثم يستنهض الشاعر العزائم بقوله^(١):

اليوم للعروة الوثقى بجمعنا لا رأي فينا لمشاء ومغترب
فأعلنوها على الكفار مسلمةً تلقي بمن حرقوا الأقداس في اللهب
سيروا على اسم الذي يحمي مسيرتكم فمن سعى في سبيل الله لم يخب
ومن تكن في سبيل الله هجرته فتحت إمرته جيش من الرعب
ولتجعلوا من حطام القدس أشوطةً تنصب فوق عدو الله كالشهب

(١) جرح الإباء: ٢٨-٢٩.

يهيب الشاعر برجال الأمة أن يعضوا في ثورة وعزيمة إلى الجهاد في سبيل الله انتقاماً ممن حرقوا المسجد المبارك. ومن كانت مسيرته على اسم الله فالنصر حليفه ولا شك. وسيوقع الله الرعب في نفوس الأعداء؛ مصداقاً للحديث الشريف ((أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي (وذكر منها:) ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر..))^(١) الحديث.

أما الشاعر كمال رشيد فيقول من قصيدة حافلة بالنداء الوجداني الذي يهز المشاعر ويوقظ القلوب، ويثير العواطف^(٢):

جلّ المصائب وزادت الآلام	وعدت على أرض الهدى الأقوام
يا ثالث الحرمين حرقك نكبة	فيها يزيد الجرح والإيلام
يا موطن الإسراء خصمك غادر	وسبيله التقتيل والإجرام
إن يحرقوك فليس ذلك بدعة	في دينهم بل إنها الأحلام
حرباً على الدين الحنيف وإفها	لطويلة ما طالت الأيام

كشف الشاعر عن أثر مأساة الحريق على نفسه. فنراه يعبر عن نار الحزن والأسى التي تحرق قلبه، وتزيد جراحه. ويلتقي مع الشاعر عقيلان في كشف طباع اليهود من غدر وإجرام؛ فليس ما فعلوه بدعة في دينهم بل هو أمانيتهم وأحلامهم في هدم المقدسات والقضاء على الدين الحنيف. ثم يعود الشاعر لتصوير أثر المأساة في نفسه، حيث يقول^(٣):

(١) صحيح مسلم: ٣٧٠/١ (٥٢١).

(٢) شدو الغرباء: ٣٢.

(٣) شدو الغرباء: ٣٣.

أسفي على الأقصى وقد عبثت به نارُ العدو وقد علاه قتامُ
 أسفي على الإسلام يتزف جرحه والمسلمون عن الجهاد نيامُ
 لم يغضبوا لله غضبةً مؤمنٍ رأوا العدو بأرضهم وتعاموا
 ما قيمة الدمعِ الهتونِ أصوغه شعراً وشعبي للهوان يسامُ؟
 في كل أرضٍ من ديار محمدٍ ذلٌّ يرادُ وفرقةٌ وخصامُ

أودع الشاعر الأبيات آهاته وحسراته على ما حلَّ بالأقصى. كما أودعها تقريراً للمتقاعسين عن الجهاد، المتعامين عن جرائم العدو الآثم على الأرض المقدسة. ويتساءل في حسرة: ما جدوى الدموع والشعب يسومه العدو سوء العذاب، وفي كل أرض مسلمة يوجد الذلُّ والفرقة والاختلاف؟

ثم يلتفت الشاعر إلى إثارة حفيظة الإنسان المسلم؛ علّه يستيقظ من غفلته، وينفض عنه غبار التواني والتخاذل، إذ يقول^(١):

يا من ركنتَ إلى الحياةِ وطبيها الذل في الدين الحنيفِ حرامُ
 والحق أبلجُ والحياة قصيرةٌ فعلامُ خوفٍ إن أتاكَ حمَامُ
 (من لم يمت بالسيف مات بغيره) ولكل نفس في الحياة مرامُ
 أين الملايين الذين نعدّهم أوليس فيهم فارسٌ مقدامُ؟
 بمخلت علينا الوالدةُ بمثلهم وأتى على آثارهم أقزامُ

فالمسلم الحرّ لا يستمرئ عيش الهوان ولا يقبل الذل، وإنما يقدم على الموت في سبيل العقيدة، دون وجل أو تهيب، فالموت مصير كل حيٍّ، والعاقل من يختار

(١) شدو الغرباء: ٣٤.

الموت في إباء وعزّة. ويتساءل الشاعر عن الملايين من المسلمين ((أوليس فيهم فارس مقدام؟!)) وهل عجزت الوالدات أن يلدن إلا الأقزام؟! ثم طفق الشاعر يستلهم التاريخ المشرق لهذه الأمة، يوم أن ((سعدت بنا الأيام)). ويشير إلى الزمن الظافر الذي تحققت فيه للمسلمين أمجاد وانتصارات عظيمة ويصرّ على زرع الأمل في النفوس؛ فلعل سفر المجد يسجل صفحة جديدة مشرقة. يقول^(١):

شقيتُ بنا الأيامُ إن لم تُحيها	ولطالما سعدت بنا الأيامُ
نحن الألى خبروا المعارك قادةً	أيرادُ منا الذلُّ والإرغامُ
قم يا صلاح وشاهد القدس التي	حررتها يزهر بها الخاحامُ
فلعل سفرَ المجدِ يفتح صفحةً	فيُطِلُّ يومٌ مشرقٌ بسّامُ

وفي قصيدة ((شهيد)) للشاعر نفسه يبرز حادث الحريق في ثنانيا تمجيده للشهيد فيقول^(٢):

ثائرٌ من ذرا اليمنِ	جاءنا يحملُ الكفنَ
راعاه أن يرى العدا	تغصّب القدسَ والوطنَ
تحرق المسجدَ الذي	عزّ من سالفِ الزمنِ
هاله حالُ أمةٍ	تعشقُ النومَ والوسنَ
وعودو يريدها	يزرع الحقّ والفتنَ

(١) شدو الغرباء: ٣٤.

(٢) القصيدة في رثاء الشهيد المجاهد محمد سعيد باعباد من اليمن، وقد استشهد على أرض

فلسطين؛ شدو الغرباء: ٦٩.

لست أبكيك يا أخي رغم دمعي الذي هتن
 إنما العمرُ ساعة تتلاشى مع الزمن
 بعدها جنّةُ العلا بعدها الخلدُ والسكن
 إنما غايةُ الذي حمل السيفَ والكفن

يقدم لنا الشاعر صورة لنفس هذا الشهيد الثائر الذي لم يتخاذل أمام العدو الباغي، ولم يؤثر السلامة ويستمرئ المهانة؛ وإنما هبّ ثائراً مجاهداً حين رأى العدو يحرق المقدسات، ويهين الأجداد حقداً وظلماً. ولا يذرف الشاعر الدموع على الشهيد، لأنه إنما أراد الجنة فناها بإذن الله، فهي الغاية التي من أجلها جاهد وقاتل واستشهد.

وللشاعر المصري صابر عبد الدائم^(١) قصيدة في هذا المجال بعنوان: ((نقوش على جدران المسجد الأقصى)) يفتحها بمطلع ينقل إحساس الشاعر الصادق بالحزن العميق. إذ يقول^(٢):

يا قدسُ طيرُ الحقِّ فيك يخلقُ والمسجدُ الأقصى يُدكُّ ويحرقُ

ثم شرع في تفصيل الحادث المفجع:

الغاصبون زمان أمنك ما دروا أن الحجارة في اشتعالك فيلقُ

(١) صابر عبد الدائم يونس: ولد في مدينة الزقازيق في مصر عام ١٩٤٨م ودرس في معهد الزقازيق الديني ثم التحق بجامعة الأزهر وحصل على الشهادات الجامعية الثلاث العليا، له ثلاثة دواوين مطبوعة وبحوث أدبية عديدة. انظر: مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٣١٩.

(٢) مدائن الفجر: ٥٧-٦٢.

قد أضرموا النيران فيك وفي قلوبهم
والمسجد الأقصى يقاوم كيدهم
والسلم مبتور اليدين بساحة
قد أشعلوا النيران في أضلاعه
قد أحرقوه فزاد عطر جلاله
وأتوا بحقدهم ليطفئ نوره
بهم الفساد مع الجحود معلق
وبه إلى فجر الأمان تشوق
فيها الأمان مع السلام مورق
وضلوعه هدي، وذكر مغدق
كالعود يكثر عطره إذ يحرق
لكنه كالشمس فينا يبرق

يلتقي الشاعر مع سابقه في فكرة الكشف عن طباع اليهود التي كانت وراء حريق المسجد الأقصى. فقد أشربت قلوبهم الفساد والجحود والكيد. ويرسم لوحة مؤثرة للمسجد الأقصى الصامد، رغم ما يعانیه، ورغم تشوقه إلى فجر الأمن والسلام. بعد أن سيطر عليه البغي وأثقله قيد الأسر، إلا أنهم لن يستطيعوا المساس بطهره وقديسيته. وإنما زاده الإحراق جلالاً وعظمة في النفوس ((كالعود يكثر عطره إذ يحرق)) فلن يطفئ حقدهم نوره؛ لأنه كتور الشمس لا يُحجب أبداً.

ثم انبرى الشاعر يكشف نوايا العدو الخبيثة في هدم الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم. فيقول:

مسرى رسول الله تلك صحائف
إن أشعلوا النيران فيك فإنما
ظلموا سليمان الحكيم بهيكل
خطت بسفر المجد فيك تنسق
هي جذوة وبغيرها لن يحرقوا
وبغوا وقالوا: نحن شعب أعرق

إن مسرى النبي الكريم يمثل أمجاد الإسلام التي خطت في الصفحات المشرقة من التاريخ، وإن هذه النار التي ألهبت جدرانها هي ذاتها النار التي ستحرق اليهود

الآثمين. ويشير الشاعر إلى هيكُل سليمان، وأن في زعمهم هذا ظلماً وبهتاناً على نبي الله عليه السلام، كما زعموا -زوراً وبهتاناً- أنهم شعب عريق مختار. وينتقل الشاعر -في نهاية المطاف- للتوعد بالثأر للمقدسات ومقاومة العدوان الباغي بعزيمة وثورة، فيقول:

إن أحرقوه وهدموا محرابه	فبكي، وهم سمعوا الأنين فصفقوا
فالثأر يزحف في انتفاضة أمي	وبعزيمة الأحرار قلبي يشهق
((الله أكبر)) في الشدائد مدفعي	بالنصر برق ضيائها يتدفق
المسلمون على الأكف الروح قد	وضعوا، وكل للفدا متشوق
سيهب كالإعصار كل موحد	يفني الطغاة وللجنة يمزق
وشهادة التوحيد مدفعهم ودي	من الله رأيته عليهم تخفق
وتسير جند الله بين صفوفهم	فالله ينصر جنده ويوفق

إن كان الحريق يمثل فرحة للأعداء بتحقيق أهدافهم والتنفيس عن قنطهم الأسود، فلا بد أن نثار له، في انتفاضة ثائرة وبعزيمة صادقة، شعارها ((الله أكبر)) وسلاحها الإيمان بالله. فالمسلم الحر تآقت نفسه إلى الفداء واضعاً روحه على كفه، والشهادة غاية أمله. فيهب إعصاراً يمزق الطغاة ويقضي على الباغيين. لتعود راية الإسلام عزيزة خفاقة، ويبارك الله هذا الزحف المبارك بإرسال جنده تقاتل بين الصفوف نصراً مؤزراً لمن نصر الله.

وفي العيد تعاود هذه الذكرى الأليمة الشاعر أحمد الصديق فيث شكواه في لوحة وأسى، قائلاً^(١):

(١) نداء الحق: ٢٣٦.

يا عيدُ والمسجدُ الأقصى محرقةُ أحشاؤه وهو في الأغلالِ مصفودُ
كأنه ضيغمٌ في الأسرِ مرتهنٌ وبابه خشيةُ الإفلاتِ موصودُ
يا عيدُ أين صلاحُ الدين يُعتقه حرّاً ففيه لواءُ النصرِ معقودُ؟

يرسم لنا الشاعر صورة الأقصى مغللاً بالأصفاد كالأسد الأسير في سجنه.
ويستنجد الشاعر بصلاح الدين الأيوبي، ذلك القائد المظفر الذي أنقذ القدس من
برائن الصليبيين.

وفي غمرة الأسى والحزن يتطلع الشاعر إلى القائد المسلم الحرّ، الذي ينتقم
للمقدسات، ويعمرُ بنيان العقيدة، ويتخلق بخلق العظماء الفاتحين، بعزيمة لا تفل
وثقة بالله لا تهتزّ، وعندها يُكتب النصر على يديه وتعود للأمة عزّها وأمجادهها.
فيقول^(١):

وإنما يقهرُ الطغيانَ معتصمٌ بالله منتقمٌ لله صنديدُ
وليس يعمرُ بنيانٌ لنا أبداً ما لم يكن فيه للأخلاقِ تشييدُ
نستقبلُ الأمرَ في عزمٍ وفي ثقةٍ والجنْدُ في ساحةِ الرحمنِ محشودُ
هناك تعلقو بدين الله رايشاً حقاً ويصحبنا عزٌّ وتمجيدُ

ويوجه الشاعر صالح الجيتاوي حديثه إلى صلاح الدين. فيقول^(٢):

إيه صلاح الدين هل من منبرٍ للعزِّ ثانٍ؟
القومُ صاروا مثل أمّ — لـ الكهفِ في تيه الزمانِ
تقلبُ الأجسادُ لـ — كن أين يقظانُ الجنانِ؟!

(١) نداء الحق: ٢٣٧.

(٢) صدى الصحراء: ٢٦.

أمة الإسلام هل يوقظها مشهد الأقصى ونار تلتهب؟
 أمة الإسلام هل يؤلها مسجد الصخرة وهو المكتب؟
 أمة القرآن هل يجمعها مجدها الموعود مذ أقصى الحقب؟

وبعد هذا التساؤل المتحسر الحائر، طفق الشاعر يقدم نصحه للأمة. علها تتوحد أمام العدو، وتربأ الصدع، ويتمنى أن يخرج من هذه الأمة قائد بطل كابن تاشفين وقطر وصلاح الدين، الذين حققوا الانتصارات العظيمة. يقول موجهاً حديثه لأمة الإسلام^(١):

ليتها تسمع من ينصحها ترأب الصدع وتأتي بالعجب
 ليها يخرج منها قائد يبعث الدين فتراح الحجب
 (كابن تاشفين) و(قطر) بعده و(صلاح الدين) لما أن وثب

وعلى هذا الدرب سار الشعراء الإسلاميون في إبراز حريق المسجد الأقصى مستغلين هذا الحادث المؤلم للإنذار بخطر محقق بالبلاد وبمقدساتها. فكان هذا الحدث مجالاً ثراً لتعبئة المشاعر الإسلامية الغيورة، وموحياً بعظم التبعات الملقاة على عاتق رجال الإسلام. فكان معيناً ثراً اغترف منه الشعراء لدفع الشعوب الإسلامية للجهاد والتضامن والوحدة صفاً مرصوفاً في وجه الأخطار التي تهددهم.

ومما يدل على عمق تأثير هذا الحدث في النفوس الشاعرة أن بعض الشعراء حرصوا على نظم القصائد في ذكرى هذا الخطب العظيم؛ للإبقاء على هذه

(١) شعراء الدعوة الإسلامية: ١٤٩/٩.

الذكرى حيّة في النفوس تنذر المسلمين بالشرور التي ستطبق عليهم إذا ظلّوا
متقاعسين عن الجهاد.

كما رأينا الشعراء استلهموا روائع تاريخنا الإسلامي، فرسموا صوراً لأعلامنا
الأبطال نماذج خالدة للأجيال؛ ليكون جهادهم امتداداً لما قامت به أصولهم من
نصرة الإسلام أول مرة.

المبحث الخامس

اجتياح اليهود للبنان ومذبحة صبرا وشاتيلا

((احتلت منطقة جنوب لبنان أهمية خاصة في نظر الصهيونية العالمية، التي سعت بعد حصولها على وعد بلفور إلى ضم جنوب لبنان إلى القسم الخاضع للانتداب البريطاني من فلسطين. وذلك يعود لعوامل دينية تدّعي أن جنوب لبنان جزء من أرض الميعاد. ولعوامل اقتصادية للسيطرة على مصادر المياه في لبنان، وخاصةً نهر الليطاني))^(١).

ولقد نشطت الغارات الإسرائيلية على الجنوب اللبناني مع تزايد الوجود الفلسطيني متذرّعة بالتفتيش عن رجال المقاومة، وتدمير قواعدهم، ولكن قوات الفدائيين تصدت لمحاولات الدخول إلى الجنوب عام ١٩٧٢م وأجبرت العدو على الانسحاب.

واستطاع الطرفان (المقاومة الفلسطينية والشعب اللبناني) تفويت الفرصة على العدو الصهيوني الذي كان يستهدف زرع بذور الخلاف والعداوة، وخلق شق بين الطرفين؛ تمهيداً لضرب الثورة الفلسطينية واستنزاف الطاقات الفلسطينية وتحويلها عن عدوها الأساسي الكيان الصهيوني.

(١) تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ١٣٤.

وقد قامت إسرائيل عام ١٩٧٣م بعدوان غادر لاغتيال عدد من قادة المقاومة، بالإضافة إلى الاعتداء على مراكز المقاومة داخل مدينة بيروت وضواحيها^(١).

وبعد معارك ضارية تمكن العدو من احتلال جنوب لبنان بأكمله. وتقدم فيما بعد نحو مدينة بيروت لاحتلالها وفرض الحصار عليها ثمانين يوماً عانى فيها سكاتها من الإجراءات التعسفية. حيث قُطع الماء والكهرباء عن المدينة المحاصرة، ومنع دخول التموين والأدوية إليها.

ورغم كثافة أسلحة العدو لم يتمكن من القضاء على قوات المقاومة الفلسطينية؛ وخرجت بكامل أسلحتها بعد تعهدات دولية بعدم المساس بحقوق الفلسطينيين في المخيمات^(٢).

((ولكن هذه التعهدات ذهبت أدراج الرياح عندما قام الجيش الإسرائيلي في مخيّمي ((صبرا وشاتيلا)) بمجزرة وحشية رهيبة، ذهب ضحيتها حوالي سبعة آلاف شهيد. وكان ذلك في أيلول ١٩٨٢م وتسببت هذه المجازر في سقوط الآلاف من القتلى بعد اجتياح الجيش الإسرائيلي هذين المخيّمين، ومعه مليشيات الكتائب التي توفرت لها الحماية والتغطية الكافية لهذه العملية الرهيبة.

وقد أثارت هذه الأنباء المروعة موجات عارمة من السخط والتنديد العالميين، بما فيها الكيان الإسرائيلي نفسه. وتدل هذه المجزرة على حقد الصهاينة ضد الفلسطينيين))^(٣).

(١) تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ١٣٥.

(٢) انظر تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٨٩.

(٣) تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٨٩.

وقد صور الشعراء الأحداث التي شكلت المحنة بكل صدق ومرارة. ومن الشعراء الذين وصفوا الحصار والمذبحة أحمد محمد الصديق في قصيدته ((الليل والحصار)) يقول^(١):

ليلٌ وذئابٌ وحصارٌ	وقلوبٌ تأكلها النارُ
وعيونٌ زائغةٌ الأحدا	قِ وملءُ الساحةِ أخطارُ
أشباحُ الرهبةِ في الطرقا	تِ يعربدُ فيها الإعصارُ
أشلاءٌ في كل مكانٍ	والحقْدُ جنونٌ وسُعارُ
الوالدُ عائقٌ طفليهِ	فطواه السقفُ المنهارُ
ورضيعٌ يُذبحُ في أحضا	نِ الأمُّ وتمسوي الأسوارُ
وفتاةٌ يسحبها علجٌ	فتصيح: الموتُ ولا العارُ
وعجوزٌ هائمةٌ حيرى	لا دارٌ ثم ولا جـارُ
تعثّر خلف مدامعها	بجثاً فتضيعُ الآثارُ
وتعود تعود ووجهه الأر	ض دمٌ وعذابٌ ودمارُ
رحلوا عن دنياهم رحلوا	غابت في الليلِ الأقمارُ
وتذوب حشاشةُ هذا الكو	ن أسى وتضجُّ الأقدارُ
تحت الأنقاضِ ضحايانا	والقبرُ هنا والحفارُ

ويكشف الشاعر الستار عن صورة دامية للمأساة، فالليل الحالك يجيم على الأرجاء، والذئاب تستعدّ للفتك، والحصار مضروب على الناس، والخطر يحقد

(١) نداء الحق: ١١٤-١١٦.

بالجميع، كما أن الموت يرصد كل من يمشي في الطرقات. وأشلاء القتلى تتناثر في كل مكان.

ويتابع الشاعر قصيدته ضارباً أمثلة جزئية للمعاناة التي عاشها سكان المخيمات الفلسطينية، فيرسم لنا لوحات حزينة تمثل الوالد الذي انفار عليه بيته -نتيجة القصف المتواصل- فمات هو وطفلاه. والأم التي ذبح رضيعها في حضنها، والفتيات اللاتي هتكت أعراضهن، والعجائز اللاتي شردن من يموهن، والدمار والدم والموت ينتشر في نواحي البلاد.

وعاد الشاعر إلى عرض الصور الدامية للمأساة فقال^(١):

صبرا وشاتيلا يا عطشاً	للثأر تُراه متى يُسقى؟
شهداء المذبحة الكبرى	والخطبُ يزيد بهم عمقا
بيروت بهم صارت معنى	تتلظى أحرفه برقاً

يركز الشاعر حديثه على مأساة صبرا وشاتيلا ويعرب عن ظمئه للثأر لشهداء هذه المذبحة الكبرى التي جعلت اسم بيروت أحرفاً تتلظى بالنار.

ويختم الشاعر قصيدته بنبرة عالية تحكي الثورة التي تغلي في أعماقه، غضباً وحنقاً على السكوت عن هذه المآسي الدامية. فالغاصب لم يكن ليفعل ما فعله لولا استمراؤنا للمهانة والذلة. فكان حالنا كالشاء التي تستسلم للذبح. فإسرائيل

ترتب بقاءها على فناء أهل الأرض الحقيقيين. وهل هناك محنة أخرى من هذه؟ ثم يدعو الشاعر إلى العمل للتحرير واستعادة أمجاد الماضي. إذ يقول^(٢):

(١) نداء الحق: ١١٦.

(٢) المرجع السابق والصفحة نفسها.

يا لحنَ المأساة الدامي والصدع تجاوزنا فتقنا
النقمة تغلي في الأعما ق وتشحن بالغضب الأفقا
ما كان الغاصب لو كنا وأردنا العزة والسبقا
أنساق جميعاً مثل الشا ء لنسلم للذبح العنقا؟
أيراد لشعي أن يفنى ولاسرائيل بأن تبقى؟
هل تشهد دنيانا أخزى من تلك المحنة أو أشقى؟
عربٌ وعروبتهم دعوى لا تحمل مثقالاً صدقا
هل حقاً نعمل لتحرير — ر ونبي مجداً هل حقاً؟

وهناك قصيدة أخرى للشاعر تدور حول الموضوع نفسه. يقول في مطلعها^(١):

أين الموائق والذمام؟ لا عهد يرعاه اللثام
هذي حصائدُ أمي بعد التفريق والخصام
بعد التخاذل والسكو ت وبعد مأساة الختام
هو ذا القعود عن الرغى هي ذي مراتعه الوحام
هو ما ترى الدنيا وتش — هذه من الموت الزوام

الشاعر في المقطع السابق يعلن النكير على العملاء الذين لم يراعوا إلا ولا ذمة؛ فذبحوا أهلهم وأعانوا أعداءهم. ويرجع الشاعر سبب ما حدث إلى الفرقة والخلافات بين الأشقاء الذين شغلتهم خلافاتهم عن نصرة إخوانهم المنكوبين. ويعلن أن ما حدث كان نتيجة القعود عن الجهاد.

(١) نداء الحق: ١٢٤-١٢٥.

ثم يمضي الشاعر في قصيدته مبيناً صور المذبحة. فيقول^(١):

يا أمّي كم هان قد	رك ذلّة بين الأنعام
أو يدفن الآلاف من	أبناء شعبي في الركام؟
يستصرخون ولا مغيـ	ث ويُذبحون ولا انتقام
أويلغ الإذلال هــ	هذا المتهى؟ يا للمام!
بيروت تشهد كيف لا؟!	ويضيق بالجلث الرغام
ويُباد شعباً كاملٌ	بالغدر في جنح الظلام
حتى الرضيع وأُمّه	والشيخ يُذبح والغلام
وتسيل أنهار الدم الـ	موار تُلهب كالضرام

يرز الشاعر تفاصيل المأساة التي حدثت في لبنان بعد أن يكت المتخاذلين ويدعوهم إلى الثورة. ثم يصف المذابح، حيث دُفن الآلاف، ولم يهب أحد للثأر من القتل، وأبىد شعب كامل غدرًا وحقداً في ظلام الليل، ولم يتورع المعتدي عن قتل الأطفال والأمهات والشيوخ.

وفي نهاية المطاف يوجّه الشاعر دعوة لإيقاظ النيام ثأراً للأبرياء الذين استشهدوا في تلك المجازر الرهيبة. ويستبعد الشاعر الاستجابة فلا حياة لمن تنادي، ثم يتساءل في ثورة: متى تنهض الأمة بالمهام الجسام المنوطة بها؟؛ لتشفي القلوب الحزينة، وتقضي على البغاة، وترفع راية الإسلام عزيزة خفاقة ((في أعلى مقام)).

(١) نداء الحق: ١٢٦.

وهذا الشاعر عبد الرحمن العشماوي^(١) يعبر عن صورة الحدث الأليم. فيقول^(٢):

لبنان جرحك في الأحشاء يلتهب
جاؤوا إليك قرارات مزججرة
جاؤوا إليك نداءات سيسمعها الـ
جاؤوا إليك وما للموت أغنية
أتنكرين؟ وما زفَّ العدو إلى
أتنكرين؟ وما نالتك قبلة
السامعون، وفي آذانهم ثقل
ولم يزل يتساقى دمك العرب
أوراقها في مهبّ الريح تضطرب
أعداء، ينضح منها المجد والحسب
إلا وكان لهم من لحنها طرب
عينيك من أرقٍ إلا له شجبوا
إلا، وثارت لها الأشعار والخطب
والصامتون وفي أفواههم شغب
يرفع الشاعر صوته عالياً مبكّناً المتخاذلين عن عون إخوانهم المنكوبين. فلبنان الجريح يئن من وطأة الألم. والأمة تغطّ في سباتها العميق، ولا يكاد يُسمع لها سوى نداءات وشعارات ترفع، ولا رصيد لها في الواقع. فاستهانوا بجراح إخوانهم واكتفوا بالشجب والاستنكار لممارسات العدو الوحشية.

ثم يعرض لمحات من الماضي الزاهر بالعزة والرفعة، يوم أن كان المسلمون معتصمين بجبل الله، فكان لهم وساماً للمجد، ويتساءل الشاعر في حيرة وألم وتحسّر: ((ماذا قدم العرب؟)) لم يقدموا سوى الشعارات والتهافتات التي لا تنفع لها.

(١) عبد الرحمن بن صالح العشماوي: ولد في قرية عراء بمنطقة الباحة جنوب المملكة العربية السعودية، نال الشهادات الجامعية الثلاث العليا. له مجموعة كبيرة من الإصدارات الشعرية والبشرية، وله برامج ثقافية في الإذاعة والتلفاز، انظر: مدرسة بدر وشعراؤها: ١٥٠-١٥٤.

(٢) قصائدي إلى لبنان: ١٤.

ويؤكد الشاعر في ختام قصيدته أن لا عزّة إلا بالإسلام، مضمناً حديثه ما ورد عن عمر -رضي الله عنه- حين قال: ((نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزّة بغيره أذلّنا الله)) وهذا هو واقع الأمة اليوم، فلهه درك يا عمر! يقول^(١):

لبنان هذا زمانُ الدمعِ فانتحي	فأرضنا منذ طاش السهمُ تتحبُّ
لا تعجبي من ضياعِ المجدِ واحتسي	بعضُ الموازين -لو تدرين- تنقلبُ
بالأمسِ كنا نوازي الشهبَ منزلةً	واليومَ تسخر من إغضائنا الشهبُ
بالأمسِ كنا بدين الله أوسمةً	للمجد، واليومَ، ماذا قدّم العربُ؟
غنّوا بألحانِ قومياتهم زمناً	وجهّزوا ألفَ مركوب، وما ركبوا
تالله ما نزلت بالعربِ نازلةً	إلا وتفریطهم في دينهم سببُ
أعزّهم ربّهم بالدين لو طلبوا	في غيره العزّ ما فازوا وما غلبوا

وليس موقف الشاعر نفسه في قصيدته ((يا خجلة التاريخ)) بأبعد من موقفه في القصيدة السابقة، حيث يفتح القصيدة بقوله^(٢):

((صبرا وشاتيلا)) تصيحانِ	أواه من جرحي وأحزاني!
ما هذه الأشلاء تملؤني	رعباً وما هذا الدمُ القاني!

ويعضي الشاعر ليغمس ريشته في نرف روحه وفؤاده قائلاً على لسان ((صبرا وشاتيلا))^(٣).

(١) قصائدي إلى لبنان: ١٧.

(٢) المرجع نفسه: ٢٤.

(٣) قصائدي إلى لبنان: ٢٤-٢٥.

من دنس الأعراض في كنفني ومن بهذا الخطب أعماني؟
من أنبت المأساة في طرفي من يا ترى بالرعب وارانني؟
من باعني للموت ممتشقاً سيف الهوى في شرّ ميدان؟

وبعد هذه التساؤلات المرة يأتي الجواب:

لن يجهل التاريخُ صورته (وحشٌ) بدا في ثوب (إنسان)

إنها الوحوش الآدمية فتكت بالناس في صبرا وشاتيلا بلا رحمة.

ثم ينتقل الشاعر إلى مقارنة مترعة بالأسى بين ماضي لبنان وحاضره. ففي الماضي كان الفجر مشرقاً فيها على اللوام، واليوم صار فجرها يحمل الموت والقتلى، وكذلك الليل صار وقت الذبح وهو الوقت الذي حدثت فيه المجزرة الرهيبة. يقول^(١):

بالأمس كان الفجرُ يعشقني واليوم يخشى الفجرُ جثمانني
بالأمس كان الليلُ متكئني واليوم صار الليلُ أكفاني
بالأمس أصواتٌ تؤانسني واليوم هذا الصمتُ يغشاني

ثم يتوجه الشاعر باللوم إلى المتقاعسين، إذ يقول^(٢):

يا أمة ما كنت أحسبها إلا ستحميني وترعاني
كم غادة صاحت وما وجدت من يحتويها عن يد الجاني
يا ويلنا من ذلة سكنت فينا فصرنا قومَ خذلان

(١) قصائدي إلى لبنان: ٢٥.

(٢) قصائدي إلى لبنان: ٢٦.

آمالنا جفّت منابُها وارتدّ عنها كلُّ ظمآنٍ
والخطبُ يزحفُ صوبَ أمتنا -يدنو إليها- زحفَ ثعبانٍ

يطلق الشاعر صيحته المدوية من أعماق قلبه المكتوي بنار الحزن والأسى.
فيستثير المشاعر الإسلامية ويشحذ العزائم للثأر، مبصراً الأمة بالخطر الذي
يتهددها إن هي استكانت إلى الدعة والراحة.

ولا يقف الشاعر عند حد تقريع الأمة المتقاعسة، وإنما يتعدى ذلك معللاً
سبب البلاء والهوان بأنه الإعراض عن دين الله، وفقدان الإيمان الصادق، والفرقة
والخلافات التي ابتليت بها الأمة. يقول^(١):

يا ربّ ما حلّ البلاء بنا إلا بإعراضٍ وعصيانٍ
نرنو إليك وفي ضمائرنا آثارُ أحقادٍ وأضغانٍ
إنّا لنعلم أن عزّتنا وقفً على صدقٍ وإيمانٍ
لكنّ صفّ القومِ منصدغٌ كلُّ يسفّه حكمةً ثاني

وفي نهاية القصيدة يدعو الشاعر إلى تدارك الحال التي وصلت إليها الأمة؛
بالاتفاف حول كتاب الله حكماً وعملاً، لتقال عشرة الأمة. يقول^(٢):

لن يترغّ المأساة من وطني إلا اجتماعٌ حول قرآنٍ
ويلتقي الشاعر العشماوي مع شاعر آخر هو كمال الوجيه في الأفكار
نفسها، فيقدم الأخير لقصيدته ((المجازر)) بقوله^(٣):

(١) قصائدي إلى لبنان: ٢٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٩.

(٣) المرجع السابق: ١٧٨.

((تعرض الشعب الفلسطيني منذ الانتداب البريطاني إلى أبشع أنواع القمع والتعذيب والطرْد والتشريد من وطنه، والمجازر الوحشية في قرية، دير ياسين، سلمة، أسدود، وأخيراً صبرا وشاتيلا في لبنان)).

ويعزف الشاعر في مطلع قصيدته لحناً حزيناً ضمنه معاناته النفسية جراء ما يرى ويسمع من مجازر وحشية. فيقول^(١):

جراحات بأعمـاقي	ونارٌ كيف أطفـيها؟!
وآلامٌ وويلاتٌ	بقلبي لست أخفيها
وأنـاتٌ وأوجاعٌ	تعالـت من مخاييها
وأبياتٌ حزيناـتٌ	تـناجيني قوافيها
وأطيار كـثيـرات	نضروا عنها خوافيها
إلى أعشاشها حنـت	إلى الأفراح تبكيها

ويبدأ الشاعر - بعد هذا المطلع الحافل بالوجدان الشعري الذي ينبئ عن الحسرة والألم الممض - في تصوير المذابح والحرب حيث جرت فيها دماء الأهل أمواجاً، والمدافع دكّت الموانئ، والغابات الكثيفة صارت رماداً، والمزارع تجنيها يد العدوان الآثمة، والبيوت غدت ركاماً، وأشلاء القتلى مبعثرة هنا وهناك. فيقول^(٢):

(١) طريد الدار: ١٧٨-١٧٩.

(٢) المرجع نفسه: ١٧٩.

وأَمْـوَاجٌ قَدْ اَحْمَرَّتْ	دَمَاءُ الْأَهْلِ تَرْوِيهَا
وَشَطَّانٌ غَضُوبَاتٌ	وَقَدْ ذُكَّتْ مَوَانِيهَا
وَصَحْرَاءُ مَزْجَجَةٌ	عَبُوسَاتٌ سَوَافِيهَا
وَغَابَاتٌ مَحْرَقَةٌ	رَمَاداً قَدْ أَحَالُوهَا
وَيَّـارَاتٌ خَسِيرَاتٌ	يَدُ الْإِجْرَامِ تَجْنِيهَا
وَأَيَّـاتٌ مَدْمَرَةٌ	رَكَاماً بَاتَ عَلَيْهَا
وَأَشْلَاءٌ مَبْعَثَةٌ	هَنَّا وَهَنَّاكَ تَشْوِيهَا
وَأَجْسَادٌ مَقْطَعَةٌ	وَنَارُ الْحَقِّ تَشْوِيهَا

ثم يوجه خطاباً لائماً الأمة الصامته. فيقول^(١):

وأَرْوَاحٌ إِلَى الْبَارِي	شَكَتْ صَمْتاً وَتَمْوِيهَا
شَكَتْ أَغْمَادَ أَسْيَافٍ	نَبَتْ ذِلاًّ مَوَاضِيهَا
شَكَتْ مَنْ ضَيَعُوا الْأَقْصَى	وَمَا لَبَّـوا مَنَادِيهَا
وَفِي لَبْنَانٍ أَحْقَادٌ	تَجْرَعْنَـا مَآسِيهَا
((فَصِيرَا)) نَكْبَةٌ كَبِيرَى	وَحُوشُ الْغَابِ تَنْفِيهَا
((شَتِيلَا)) مِثْلَهَا يِيدَت	مَجَازِرَ بَاتَ مِنْ فِيهَا

إن الأرواح التي أزهقت على ثرى لبنان وفلسطين تشكو إلى الباري -جل شأنه- سكوت الأهل والإخوان وعجزهم عن نصره إخوانهم ومد يد العون لهم. كما تشكو تقاعسهم عن القتال وإغماد السيوف ذلاً ومهانة. كما تشكو هذه الأرواح من ضيعوا مسجدهم المبارك ولم يلبّوا نداءه المستغيث. وفي لبنان تفرق

(١) طريد النار: ١٧٩.

الإخوة جراء الأحقاد والخلافات، مما جرّ عليهم المآسي ومنها نكبة ((صبرا وشاتيلا)) التي أيد أهلوهما بأيدي اليهود وعملائهم الخونة.

ويستنهض الشاعر الأمة لتهبّ لنجدة المسلمين في لبنان وفلسطين مستلهماً معطيات معركة حطين المجيدة، ومستنجداً بصلاح الدين القائد البطل. فيقول^(١):

ومن حطين صبيحات	عسى ((الكردي)) يأتيها
فصيراً يا بني أرضي	وكونوا اللحن من فيها
وصـونوا القبلة الأولى	وسـودوا في مرافيهـا
فأنتم أهل غارات	بها دوت فيافيهـا

أما الشاعر داود معلّا^(٢) فقد صور المأساة من خلال قصيدة بعنوان ((صبرا وشاتيلا وبيروت)) يرثي في مطلعها مدينة بيروت، كيف كانت وكيف أصبحت؟. فيقول^(٣):

بالأمس كانت ترينا ثوبها القصباً ^(٤)	تحتال فيه على أقرانها عجا
بالأمس أي عروس أنت لاهية	تمارس الحب كأساً مدهقاً وصباً؟

(١) طريد الدار: ١٨٠.

(٢) داود موسى داود معلّا: من مواليد قرية المالحه التابعة لمدينة القدس في فلسطين عام ١٩٣٣م. خرج من بلده بعد حرب ١٩٤٨م، عمل مع والده في الأعمال الحرة، ولم يمنعه السن أو العمل من إكمال دراسته الجامعية، له ديوان مطبوع، انظر مختارات من الشعر الحديث: ١٠٠.

(٣) الطريق إلى القدس: ١٣.

(٤) قصب الثوب: حلاه بالقصب، وهي شرائط مذهبة أو مفضضة تحلى بها الثياب.

واليوم أي حريق بات يأكلها يحرق اللحم والأعراق والعصبا؟
كل الخواتم ذابت في أصابعها وذوّبت بعدها الأقراط والذهبا

يتحدث الشاعر عن بيروت حديثاً يبين عن مشاعر الألم والحسرة على المدينة التي صورها عروساً جميلة تختال على أقرانها عجباً وتيهاً بحسنها. وهي اليوم رهينة الدمار والحريق.

ثم يذكر الشاعر بأهداف الغرب الحاقد على الإسلام وأهله وتأمّره مع إسرائيل؛ لزرعها خنجراً مسموماً في أحشاء الأمة.

كما يندد الشاعر في المقطع التالي بالعملاء والأحزاب الغادرين بإخوانهم مع أواصر القربى بينهم. ويذكر بصورة المذابح وما حوت من قتل وأشلاء مبعثرة، ثم يقرر بأن لا عزة ولا قيمة للعرب بلا إسلام. فقال^(١):

أهكذا أنت إسرائيل ثانية يريدك الغربُ فينا مرتعاً خصبا
وكران للكفر مقرون سلاحهما وخنجران على أحشائنا ضربا
باسم العروبة أم باسم اليهود أتى حزب الكتائب هذا العار وارتكبا
حقداً وقتل وأشلاء مبعثرة ألا يبين هذا أنهم غربا
ليست عروبتنا شيئاً نقده إلا إذا كان للإسلام منتسبا

أما الشاعر يوسف العظم فله مشاركة متميزة في هذا المجال حيث جاء عرضه للمأساة على لسان فلسطينية في بيروت تروي قصتها^(٢):

(١) الطريق إلى القدس: ١٤.

(٢) عرائس الضياء: ٢٧.

ذبحوني من وريدٍ لوريدٍ وسقوني المرّ في كل صعيدٍ
مزّقوا زوجي فلم أعبأ بهم ومضّوا نحو صغيري ووحيدي
غرسوا الحربة في أحشائه فغدا ((التكبير)) أصداء نشيدي
دمروا بيتي وهل بيتي هنا؟ إن بيتي خلف هاتيك الحدودِ
وتلفّتُ فلم أعثرُ على غيرِ أبناء الأفاعي والقروِدِ
ذبحوني من وريدٍ لوريدٍ غيرَ أني لم أطأ طيءَ ليهودي

يمثل المقطع الأول من القصيدة مشهداً مؤثراً من معاناة أم فلسطينية يهاجم العدو بيتها فيقتل زوجها وابنها الوحيد بوحشية وشراسة، وما يكون من هذه الأم الأبيّة سوى التكبير والاصطبار. ولم يكتف العدو بذلك، بل دمّر بيتها فصاحت:

((إن بيتي خلف هاتيك الحدود!)) وتلفت حولها علّها تجد من ينجدها، فلا تجد سوى الأعداء حفدة القردة. وتعلن عن صمودها وعزّها وإبائها مع كل ما يجري لها.

وتتابع الأم قصتها^(١):

ودمي سال على تلك الربا ينثر العطرَ على حمير الورود
ولوائي فوق هاماتِ الوري يتحدى في العلا كلّ البنودِ
قل لمن يلهث في غفلته ينشدُ السلمَ تمتع بالصّديدِ
إن في يافا مواعيدَ لنا وربا القدس لنا بيتُ القصيدِ

(١) عرائس الضياء: ٢٨.

وعلى شطآن حيفا موعدٌ كيف نسي في الحمى خضر الوعود؟
ذبحوني من وريدٍ لوريدٍ ودمي يحتاجُ أحقادَ اليهودِ

فقطرات الدم من جرح هذه الأم تنبه الأمة إلى تبعاتها التي ينبغي لها النهوض بها. لتحمل راية الجهاد ((فوق هامات الوري)) متحدية كل قوى الكفر والضلال. وتؤكد في ثورة ضارية أن من يؤثر السلم مع العدو الغادر، فلا جدوى لدعواه الدنيئة. فليس سوى الجهاد يعيد إلينا يافا والقدس وحيفا والأرض المباركة كلها.

ثم تنظر بتفاؤل إلى الأجداد الإسلامية مستمدة منها العزيمة والتوثب لإحياء هذه الأجداد في المستقبل الزاهر. تقول^(١):

قل لمن يحسبُ أنا أمةٌ أنكرت أجدادَ سعدٍ والوليدِ
نحن شعبٌ لم يعدْ يخشى الردى أو ييالي برصاصٍ وحديدِ
قطع العهدَ وفي أعماقه دعوةُ التوحيدِ والدينِ الرشيدِ
كلما أطفئَ منّا قَبسٌ أشرقَ القرآنُ بالفجرِ الحديدِ
قد رجعنا رايةً زاحفةً بعد أيامِ ضياعٍ وشُرودِ
ومضينا نحو آفاقِ العلا يُسلمُ الرايةَ جدُّ لحفيدِ
إنها الجنةُ تبغي ثمناً عزّاً إلا من شرايين الشهيدِ

تعلن الأم الفلسطينية صمود الشعب وعزمه على الثأر، ماضياً على طريق الجهاد، والقرآن دستوره الخالد. فقد عرف طريقه بعد ((ضياع وشُرود))

(١) عرائس الضياء: ٢٠.

مستشرفاً آفاق العلا والسودد، طالباً الشهادة في سبيل الله ثمناً لجنّة الله ورضوانه.

وهكذا كانت هذه الهجمة على الفلسطينيين في لبنان مأساة استلهم الشعراء منها قصائدهم، التي أودعوها آهاتهم وحسراتهم من جهة، ونقمتهم وغضبهم من جهة أخرى.

فأكد الشعراء فظاعة تلك الأحداث والمجازر في حديث تضمّن الألم الذي عصر قلوبهم، والتبكيّت الذي يهزّ أحاسيس المتخاذلين. فترى الشعراء ما أبرزوا الحدث ونددوا به إلا شحذوا العزائم واستنهضوا الهمم، مطالبين بالجهاد والثورة، تعااضدهم العزيمة والثبات، ويساندتهم الإيمان بالحق المغتصب، وتوازرهم الكرامة والعزّة؛ للنهوض من جديد وبناء مستقبل مشرق، يستند إلى الحضارة الإسلامية العريقة التي كنّا بفضلها ربان الكون الذي يقوده إلى شاطئ السعادة والسلام..

وعلى هذا النحو رصد الشعر الإسلامي في هذه المرحلة جميع أحداثها. فسجل سلسلة النكبات والمآسي تسجيلاً كان يتابع من خلاله جزئيات الواقع الحي للمأساة، كما يتابع أثر هذا الواقع في نفوس المسلمين، كما يمكن أن تقفنا على ذلك جملة النصوص المختارة.

الشعر الإسلامي ومحاورة الإبداع الشعري

- ✽ المبحث الأول: مكانة فلسطين وقداسة المسجد الأقصى.
- ✽ المبحث الثاني: كشف طباع اليهود وعدائهم للإسلام.
- ✽ المبحث الثالث: استنهاض هم أبناء الإسلام للجهاد لتحرير الأرض المقدسة.

المبحث الأول

مكانة فلسطين وقداسة المسجد الأقصى

لقد سبق تفصيل الحديث في مكانة فلسطين وقداسة أرضها، والأحداث الجسام التي مرت بها هذه البقعة المقدسة^(١).

وأجمل هذه المترلة فيما يأتي:

- بعث الله - جلّ وعلا- في هذه الأرض كثيراً من الأنبياء عليهم السلام.
- تضم هذه الأرض مدينة القدس ذات المكانة المتميزة في عقيدة المسلم.
- وأول قبلة توجه إليها المسلمون.
- فيها المسجد الأقصى منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، وثاني مساجد الدنيا وجوداً بعد المسجد الحرام، وهو ثالث المسجدين الشريفين التي لا تشد الرحال إلا إليها.
- وصف الله هذه الأرض بصفات الطهر والقداسة والبركة في مواضع عديدة من القرآن الكريم.
- وقد أطلقت أهمية هذه البقعة المقدسة مواجد الشعراء الإسلاميين، مغتسرين من هذا المعين الثرى. فتحدثوا في ثنايا قصائدهم عما تكنه نفوسهم من إجلال لهذه الديار المقدسة.

(١) انظر المبحث الأول من الفصل الأول.

فهذا الشاعر خالد البيطار^(١) يجليّ حادثة الإسراء والمعراج فيقول^(٢):

فهل النجومُ الزهرُ تذكرُ ليلةً	فيها تجلّى موكبُ المختارِ؟
لما سرى من بيتِه في مكةٍ	للقدسِ أرضِ النخبةِ الأطهارِ
ورأى هناك الأنبياءَ وأمّهم	وتلاقى الأنوارُ بالأنوارِ
سبحان من أسرى به في ليلةٍ	غراءَ رمزِ النورِ والإسفارِ
هي للذين نسوا وتاهوا عبرةٌ	ولجاهلين الدربَ خيرُ منارِ
فيها عروجُ المصطفى عبرَ السّما	ولقائه بالنخبةِ الأبرارِ
أنعم بها من ليلةٍ كانت على	مرّ الزمانِ منارةَ التذكّارِ

تبين في الأبيات الصورة الجليّة لهذه الليلة المباركة التي تمّ فيها الإسراء والمعراج. حين أمّ المصطفى ﷺ أنبياء الله، ثم عُرج به إلى السماء. فكانت هذه المعجزة الغيبية منارة على مرّ الزمان.

أما الشاعر عمر الأميري فيبرز مكانة فلسطين في قوله^(٣):

((فلسطين)) يا آيةَ الله في الـ	وجودِ ويا روضةً من سناء
مقامٍ ((الخليل)) وعزّ المقام	وجلّ ((الخليل)) أبو الأنبياء

(١) خالد البيطار: ولد في حمص عام ١٩٤٢م، نشأ ودرس في موطن ولادته ثم انتقل إلى دمشق وحصل على شهادة أهلية التعليم الابتدائي ثم عمل في حقل التعليم في حمص، وحصل على الشهادة الجامعية من دمشق وعمل في التدريس في حلب وحمص، ثم انتقل للعمل في الأردن، وله ديوانان مطبوعان، انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٢١٦.

(٢) أشواق وأحلام: ٣٨-٣٩.

(٣) من وحي فلسطين: ١٤.

وحضنُ ((البتول)) ومحراؤها
ومسرى رسولٍ هدى العالمين
ليحظى بأسمى وأغلى ذرا
فلسطينُ يا عروةً بين ((مكة—
وعهداً من الله في عنقٍ كل
وديناً على كل حرٍّ وفي
ومهدُ ((المسيح)) صفى السماء
ومعراجهُ الفذُّ يعلو العلاء
وأسنى وأدنى وأرقى لقاء
ة)) و((القدس)) خالدةً من مضاء
أبي، وأعظم بعهد الإباء
يروى ثراكٍ بحر الدماء

إنها فلسطين مهد الخليل أبي الأنبياء، ومهد مريم البتول وابنها المسيح عليهما السلام، وأرض الإسراء والمعراج. ويبرز الشاعر رباط القدسية الذي ربط بين مكة والقدس فكلاهما مهد المقدسات وسفر التاريخ الإسلامي، كما يعلن الشاعر عن مسؤولية كل مسلم أبي في الحفاظ على هذه المقدسات والذب عن حيائها.

وفي قصيدة ثانية يبرز الشاعر نفسه مترلة فلسطين في إطار من الحسرة والألم مما تعانيه تلك الديار بعد وقوع النكبة. فيقول^(١):

أرنو إلى الله والضراء تُحدق بي
على ((الخليل)) وكم ضاءت منائرُها
على مرافع ((عيسى)) جلّ رافعُه
على مرابع قدسٍ المجدِ باركها
مسرى الرسولِ وأولى القبلتين بها
مالي أرى الصخرةَ السماءَ في كمدٍ
ومنبرُ المسجدِ الأقصى يئن أسى
ونكبةُ المسجدِ الأقصى على حَدَقِي
في المسجدِ الحرامِ الأسنى من اليَقَقِ^(٢)
على المراتع أضحت غصةُ الخلقِ
وحولها الله، وهي اليوم في الربِّقِ
واحرّ قلباه ماذا للفخارِ بقي؟
تذوي، وعهدي بها مرفوعةُ العُنُقِ؟
قد كان يحبو الدُّنَى من طُهرِهِ العَدَقِ

(١) من وحي فلسطين: ٦٥-٦٦.

(٢) اليقق: البياض الناصع.

ويركز الشاعر في قصيدة ثالثة على حادثة الإسرائء والمعراج مستوحياً من هذه المعجزة الغيبية الجليلة في ذكرها الأولى بعد حريق الأقصى، ومبرزاً حادث الحريق المؤلم. فيقول^(١):

ملء الملائك لهفة وهيام	ترنو القلوب هوى، وتُحنى الهام
أسرى وسبحان الذي أسرى به	فدرا السماء ينيرها الإلهام
حدث تفرد في الوجود جلأله	وجمأله وجأده والإنعام
يا يوم ((معراج الرسول)) وأنت في	كر الدهور هداية وسلام
عذراً إذا خنق البكاء تحيتي	لك، والأبي على البكاء يلام
لكنه ((الأقصى)) وفي نكبأته	وحريقه، حبس الدموع حرام

كما كان حادث الحريق إطاراً لإبراز قدسية فلسطين ومكانتها لدى الشاعر كمال رشيد، إذ يجلو الشاعر منزلة فلسطين ثالث الحرمين الشريفين، وموطن إسرائء والمعراج. يقول^(٢):

يا ثالث الحرمين حرقك نكبة	فيها يزيد الجرح والإيلام
يا موطن الإسرائء خصمك غادر	وسبيله التقتيل والإجرام
أسفي على الأقصى وقد عبث به	نار العدو وقد علاه قتام

وتمن تناول هذا الموضوع في الإطار نفسه، الشاعر كمال الوحيدي في نوله^(٣):

(١) من وحي فلسطين: ١٣٢.

(٢) شدو الغرباء: ٣٢.

(٣) هذا الطريق: ٨٠-٨١.

والله لو نطق الأقصى لأتينا
 إن اليهود عليه اليوم قد جثموا
 قد دنسوه وعاثوا في قداسته
 سبحان من بعظيم الآي باركه
 الحق أبلغ لكن أين عصبته؟
 حيث التخاذل بين الشعب والدول
 حتى يكاد يبين الآن كالطلل
 والمنبر الفذ قد ألقوه في الشعل
 في سورة بصريح القول لم تزل
 أين النفي إلى الأقصى إلى النفل؟

ونرى الشاعر نفسه في قصيدته ((مولد الهادي)) يث مشاعر الحب الممتزجة
 بالأسى من أرض المسرى، من الأقصى الأسير. فيقول موجهاً حديثه إلى النبي
 الهادي^(١):

إليك الحب من قلب
 ومن مسراك أشواق
 من الأقصى تحياتي
 ولوع هائم صادي
 وقد أمسى بأصفاد
 وتحناني وإنشادي

ويرى الشاعر عدنان النحوي فلسطين وقد غلف الأسى والحزن أجواءها
 وهي التي كانت لؤلؤة الإيمان ودار الجهاد بأروع أمثله، وأرض الأنبياء.
 فيقول:

يا فلسطين يا ربا المسجد الأقصى
 أنت حق الإسلام لؤلؤة الإي—
 أنت عهد مضى لأحمد بالأق—
 والنبوات ومضة من غيوب
 صى حنانك من أسى قتال
 حمان دار الجهاد والأمثال
 صى ندياً على جديد الليالي
 شهدته، ووثقت من حبال

(١) هذا الطريق: ١٩٥.

وها هو ذا الشاعر عصام الغزالي^(١) ينظم قصيدة في أول يوم من العام لميلادي. فيقول موجهاً حديثه إلى نبي الله عيسى^(٢):

وكان المهدي في وطني	نبي الله يا عيسى
وداري لم تعد سكاني	وكانت حوله داري
ظلاماً غير مؤمن	وعاد الليل يا عيسى
ضيقاً تاهت لتؤلني	وأسراب الطيور البيـ
سرى في راكد الشجن	ورأس العام يا عيسى

بيث الشاعر شكواه الملتاعة بعد أن غادر موطنه، حيث مهد المسيح - عليه السلام - يخيم عليه ظلام الخوف ورهبة الموت. والطيور البيض رمز لسلام لم يعد لها وجود، فرأس العام يأتي والأشجان ما تزال جائمة على لأرض المباركة.

أما الشاعر محمد التهامي^(٣) فيناجي القدس مؤكداً مزاياها ومكانتها بين بقاع الأرض فيقول^(٤):

(١) عصام الدين الغزالي: ولد في المنصورة عام ١٩٤٥م، ودرس في مدارسها ثم التحق بجامعة القاهرة ودرس الهندسة الميكانيكية، ودرس في السعودية أصول الدين. أصدر ديوانين شعريين، انظر مختارات من الشعر الإسلامي: ٢٩٧.

(٢) من أوراق مخطوطة من الشاعر نفسه.

(٣) محمد التهامي سيد أحمد: ولد في المنوفية في مصر عام ١٩٢٠م، حصل على الشهادة العالية في الحقوق، يرأس تحرير مجلة رسالة الإسلام، عمل في المحاماة والصحافة، ومديراً للإعلام بجامعة الدول العربية له عدة بحوث ودواوين منشورة.

(٤) أنا مسلم: ٤٥.

وذكرِكِ أعيانَ لسانِ الزمان
أيا قدسُ يا ملتقى الأنبياء
ويا راحةً منذ فجرِ الوجود
تربي النيّون في حجرِها
ولما بمكة هلّ الضياء
تدلى على القدس خيطُ الرجاء
وفُتِحَ في القدس بابُ السماء
فيا قدس يا راحةً للقلوب
بها خفقة من جناح البراق
وأول داعٍ أقام الصلاة
أيا قدسُ ديس المكانَ الجليل
لعمق الحكايا وطول السير
ومن ذاق أمرَ السماء فائتمر
تجمّع فيها الهدى وانتشر
وأرضعت الحق حتى كبر
فأعشى قريشاً وزاغ البصر
وكان الهدى والمنى المنتظر
وجاء لنا المصطفى بالخبر
ويا سورةً من طوال السور
تبقي توهجُها واستمر
أدار إليها التفاتَ النظر
وغطّى على الطهر رجسٌ أشر

إن لمدينة القدس سيرة عاطرة عبر التاريخ، ومكانة سامية في قلوب المسلمين. إنها ملتقى الأنبياء الذين بلغوا رسالات ربهم، وحملوا دعوة التوحيد. ومنها انتشرت هذه الدعوة في نواحي الأرض. وحين كُذِّب رسول الله من قبل قومه قريش، شرفه الله برحلة الإسراء والمعراج لتمسح عن نفسه الحزن والعناء. وحملت لنا هذه المنحة الإلهية كثيراً من الأخبار والتشريعات. فكانت هذه الأرض المباركة موطن خفقة جناح البراق، وأول قبلة توجه إليها المسلمون.

ويذكر الشاعر نبيل محمد الأصباشي^(١) حادثة الإسرائ والمعراج في قصيدته التي أشار فيها إلى تكذيب المشركين لهذه الحادثة رغم كونها دليل صدق رسالة الرسول الكريم. ولكنه الضلال الذي أعمى بصيرتهم. يقول^(٢):

وسريتَ نحو القدسِ تلتهمُ الخطا	وعرجتَ نحو ((النتهى)) عداً
فتعجب الجهلاءُ من هذا الذي	أسميته المعراجَ والإسرائ
هل يرعوي قومُ الجهالة بعدما	أنطقتَ فيهم حجةً بكماء؟
ها قد سريتَ وقد عرجتَ وإن في	هذا دليلَ محجةٍ يضاء

هذا، وقد أفرد شعراء آخرون قصائدهم للحديث عن مترلة فلسطين وحادثة الإسرائ والمعراج. ومن أولئك الشعراء: يوسف العظم، محمد المنتصر الريسوني، أحمد محمد الصديق، عبد الرحمن العبادي.

فالشاعر يوسف العظم يقول في قصيدته ((يا قدس))^(٣):

يا قدسُ يا محرابُ يا منبرُ	يا نورُ يا إيمانُ يا عنبرُ
أقدامُ من داست رحابَ الهدى	ووجهُ من في ساحها أغبرُ؟
من لوث ((الصخرة)) تلك التي	كانت بمسرى أحمد تفخرُ؟
ودنس ((المهد)) على طهره	إلا عدوً جاحداً أكفرُ
والبغيُّ مهما طال عدوانه	فاللهُ من عدوانه أكبرُ

(١) نبيل محمد الأصباشي: من مواليد حماة ١٩٥٣م. تخرج من جامعة دمشق، وحصل على دبلوم الدراسات العليا، ويعمل حالياً مدرساً في الإمارات، له ديوان مطبوع. انظر ديوانه لحن الجراح: ١٢١.

(٢) لحن الجراح: ١١١.

(٣) في رحاب الأقصى: ١١.

ويواصل الشاعر -بعد أن وصف القدس بهذه الصفات المتعددة- حديثه عنها في معرض دعوته المحرّضة على الثورة والصمود في وجه الباغي الأثيم. فيقول^(١):

يا قدسُ يا محرابُ يا مسجداً	يا درة الأكوانِ يا فرقداً
سفوحك الخضرُ ربوعُ المني	وكم دعانا للهدى مرشداً
أقدامُ عيسى باركتْ أرضها	وفي سماها قد سرى أحمدُ
أبعد وجهِ مشرقٍ بالتقى	يطلُّ وجهٌ كالخُ أربداً

ويمضي الشاعر مستعرضاً بعض صفحات التاريخ المشرق في رحاب القدس، فهي موطن البطولات والانتصارات الإسلامية، كما أنها موطن الوحي ومهد الأنبياء، وهي الأرض المباركة بنص القرآن. يقول^(٢):

القدسُ في أفقِ العلا كوكبُ	تشعّ بالنورِ فلا تعجبوا
أيامُها بالحقِّ وضاءةٌ	كانت بأطرافِ القنا تُكتبُ
يا روضةً كانت لنا مرتعا	وكوثرأ من فيضه نشربُ
وجنةً فيها ربيعُ المني	في ظلّها أكبادُنا تلعبُ

* * *

الوحيُّ والتريُّلُ والأحرفُ	والآيُ والإنجيلُ والمصحفُ
وسورةُ الإسراءِ ما رُتلتُ	إلا وأسماعُ الدنا تُرهفُ
تباركُ القدسُ وما حولها	وصخرةُ القدسِ بنا تهتفُ

(١) في رحاب الأقصى: ١٣. والقصيدة متعددة القوافي.

(٢) في رحاب الأقصى: ١٤.

وفي قصيدة ((هوية الأقصى)) يقصر الشاعر حديثه على منزلة الأقصى
مكانته في عقيدة المسلم. فيقول^(١):

إنما الأقصى عقيـدة	ووسـامٌ وقصـيدـه
وهو صرخٌ أبـتِ العـلـمـ	سـيـاءٌ إلا أن تُشـيـده
بـارك الله حـوائـيـ	بـه بـآيـاتٍ مجـيـده
وهو أرضُ النـورِ فيـه الـ	مـصـطـفـى أرسـى سـجـوده
وهو رمـز للمـعـالي	زَيَّن التـارـيـخُ جـيـده

وبعد هذه اللوحات المشرقة التي عرضها الشاعر يتابع قصيدته مستعرضاً
نوحات أخرى من تاريخ الأقصى المبارك. يقول^(٢):

عمـرٌ يـطـرق أبـوا	ب العـلا يرعى جنـوده
وحسـامٌ مـن صـلاح الدـ	يـن يـجتـاح قـيـوده
فـارس الحـلبـة يـعلـي	في حمـى الله بنـوده
إنما الأقصى عقيـدة	في ذرا العـزِّ وطـيـده

وفي قصيدة ((الإسراء والمعراج والفجر الوليد)) للشاعر محمد الريسوني،
وصف الشاعر رحلة الإسراء بأنها آية الله. وذكر إمامة الرسول الكريم للأنبياء
فقال^(٣):

(١) فتاديل في عتمة الضحى: ١٣.

(٢) المرجع السابق: ١٤.

(٣) صحيفة النور - صحيفة مغربية يرأسها الشاعر نفسه: ١٥ - رجب ١٤٠٩ هـ، ص ٦.

والقصيدة متعددة القوافي.

آية الله على الخلق زهت تسكب الشوق بشرى الوجود
راحت الدنيا تغني حلمها وينبغي شوقها فجر الخلود
أحمد أسرى به رب السما فاجتباها للهدى يحدو العهد
وطىء الأقصى يؤم الأنبياء يضوي قلبه نور السجود

ثم وصف رحلة المعراج إلى السماء آية أخرى من آيات صدق نبوته عليه الصلاة والسلام. إذ يقول^(١):

يوم معراج الرسول المصطفى ألق ينداح في ليل الشرور
شهد الآيات ترى فأنجلت حجب الدنيا وأستار الدهور
فمضى في مهرجان من سنا يعبر الآلاء صباحاً من عبير
غشي الأنوار تزهو فدنا فتدلى، إنه عرس بشير
ثبت القلب على الحق فما زاغت العين، وفي النفس عطور
نعمت روحه بالرضوان وانـ سداح في جسمه فيض من حبور

وأخيراً يذكر الشاعر حدثاً مهماً حصل أثناء هذه الرحلة، وهو فرض الصلاة، ويصفها بأنها الضياء والصلة الوثقى بين العبد وربّه، والروض الذي ينعش القلب السقيم. يقول^(٢):

فرض الله على الخلق الصلاة ضياء يزرع الخير العميم
صلة وثقى سناء من ودا دِ وروض ينعش القلب السقيم
ربوة رقت كأنفاس الصبا زانها صبح كرفات النسيم

(١) صحيفة النور: ٦.

(٢) صحيفة النور: ١٠ - رجب ١٤٠٩ هـ، ص ٦.

عالم يزهو بأضواء الهدى يصل العبد بإنعام نضير
 ويصور أحمد محمد الصديق هذا الحدث الغيبي في قصيدته: ((الإسراء
 والمعارض)) ممهداً بالحديث عن حال الرسول الكريم بعد رجوعه من الطائف
 حزيناً مهموماً. فيأتي الإسراء والمعارض منحة من الله لنبيه؛ لتمسح عن نفسه ما
 آب به من كرب وعناء في رحلته إلى ثقيف. يقول^(١):

لحظة والبراق يهبط في البا	ب جبريل ممسك بعنانه
قم حبيب الرحمن حيث لا تـ	أس وهب النبي من أحزانه
واعتلى صهوة البراق وقد أو	دع سرّاً في قلبه وكيانه
ورنا فالوجود لوحه إبدأ	ع عظيم في عينه وجنانه
يلحظ الكون لمحّة تتبع الأخـ	رى وذكر الرحمن فوق لسانه

ثم يمضي الشاعر في استلهام هذه المعجزة الغيبية ميرزاً صفات
 القدسية والبركة التي أسبغتها هذه الرحلة على القدس والمسجد
 الأقصى فيقول^(٢):

وتجلت في ناظره روابي الـ	قدس عقداً يزهو بريق جمانه
حيث حطّ الرحال في المسجد الأقـ	صى فيزداد فيه طهر مكانه

ويتابع الشاعر جزئيات هذه الرحلة من إمامة الرسول للأنبياء واطلاعه على
 الغيبات، وما فيها من دروس ومواعظ ووعيد وتشريع. ويختتم القصيدة بعرض

(١) نداء الحق: ١٧١.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

صورة الواقع الأليم لأرض المسرى، وما آل إليه حال الأمة من نكوص عن الهدى وفرقة وخلاف.

والقصيدة الأخيرة في هذا المجال للشاعر عبد الرحمن العبادي^(١)، ويسير فيها على نسق قصائد الشعراء السابقين الذين استلهموا حادثة الإسراء والمعراج. يقول^(٢):

شقَّ الفضاءَ له نورٌ ولألاءُ وفي السماءِ له ذكرٌ وإنباءُ
قد أزهرَ الكونُ مزهواً بأحمدِه وفيه للمرسلِ المبعوثِ إطرأُ
وكيف لا تحتفي الأكوان قاطبةً بالمرسلِ الفذِّ وهو الغيثُ معطاءُ؟

ثم يوجه حديثه للرسول الكريم مبرزاً جلال الحدث^(٣):

يا سيدي ورحابُ الكونِ كان لها من نورِكَ الفذُّ أضواءُ وأضواءُ
لما سريتَ بليلٍ في الدجى سطعتُ من شمسِ طلعتِكَ الغراءِ أنحاءُ
لقد سريتَ إلى الأقصى فكان له من دارةِ العزِّ آياتٌ وآلاءُ
ومنه جزتَ إلى السبعِ الطباقِ فما وني البراقُ وما في الأمرِ إبطاءُ
بلغتَ في العزِّ شأنًا لا يطاوله حتى ملائكةُ الرحمنِ لو شاؤوا

(١) عبد الرحمن علي العبادي: ولد في إمارة دبي عام ١٩٥٢م. درس في المعهد الديني بقطر، ثم حصل على الشهادة الجامعية في التربية، وعمل مدرساً في مدارس دبي، ثم مديراً لمنطقة دبي التعليمية، ثم حصل على الدكتوراة. وله ديوانان شعريان، انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٣٧٥.

(٢) بشائر الفجر: ١٥.

(٣) المرجع نفسه: ١٦.

ويتابع الشاعر قصيدته مستوحياً هذه الحادثة، ومثلياً على الرسول الكريم. ثم يستعرض صورة الماضي المجيد؛ ليبرز بعدها صورة الحاضر المرير، ويستنهض في الختام عزائم رجال الأمة لاسترجاع الأجداد والمقدسات.

وبهذا نلمح من خلال هذه النظرة لبعض النماذج التي عالجت موضوع مكانة فلسطين وقداسة المسجد الأقصى أن معظم الشعراء الذين تحدثوا في هذا المجال قد اجتمعوا على عدة معان، تكررت في قصائدهم، ذلك أن الموضوع يمثل باعثاً قوياً لدفع الشعوب الإسلامية للجهاد والتضامن لإنقاذ الأرض المباركة من براثن العدو الغاشم.

المبحث الثاني

كشف طباع اليهود وعدائهم للإسلام

منذ اللحظة الأولى التي أشرق فيها نور الإسلام في الجزيرة العربية ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومنذ أن وصل الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ليقم فيها نواة دولة الإسلام، واليهود يكيدون للإسلام وللرسول، ويتربصون بهما الدوائر بغياً وحسداً. مع ما يجدونه في التوراة عن صدق نبوته عليه الصلاة والسلام. ومع اللين والتسامح الذي عامل به النبي الكريم اليهود عندما هاجر إلى يثرب، والمعاهدات التي عقدها بين المسلمين واليهود، فقد ظل اليهود يقاومون دعوة الإسلام، وينشرون الأكاذيب والتشكيك حولها، ويتآمرون ضدها بغية الإطاحة بها والقضاء على قائدها. غير مكترئين بالمواثيق والعهود التي عقدوها مع المسلمين. إلى أن أمر الله رسوله بإجلالهم بالقوة من المدينة المنورة. ومنذ ذلك التاريخ البعيد وحتى اليوم عُرف اليهود بكل لؤم وخسة في الأخلاق وبارتكاب الجرائم الوحشية والهمجية^(١).

وقد استغرق الحديث عن بني إسرائيل في كتاب الله السور الطوال في مختلف مراحل التزول؛ يتحدث عن صفاتهم وطباعهم وأخلاقهم وبعدهم عن الحق

(١) انظر ملف الانتفاضة: ٤٢-٤٣.

وتحريفهم له، وشدة عداوتهم للمؤمنين^(١). قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢/٥].

وهذه السيرة الوضيعة لليهود مع الإسلام إبان ظهوره وحتى انتشاره وانتصاره ما هي إلا امتداد للسيرة الشنيعة لهم مع الأنبياء والمرسلين قبل الإسلام. والمتأمل في التاريخ لا بد أن يتكشف له بوضوح أن أمة اليهود هي بحق أمة المكر والإثم والشر والعداء. وأن أمة من الأمم لم تشهد ما شهده تاريخ بني إسرائيل من قسوة وعناد وكنود وتنكر للهداية ومقت للمهتدين؛ مما جعلها محطاً لغضب الله وسخطه^(٢).

((وفي هذا العصر صادفت أطماع اليهود وآمالهم مواقع مملوكة للمسلمين، وأماكن مأهولة بالمسلمين. ففي بيت المقدس قبلتهم وهيكلهم، وفي فلسطين اختاروا دولتهم، وفي أراضي النيل والفرات محط أطماعهم. فتطلب ذلك منهم - قبل تنفيذ أغراضهم - أن يشحنوا قلوبهم ببيغضنا، ويشحنوا سلاحهم لقتلنا، ويعدوا العدة للقضاء علينا، وإلا فلا دولة ولا حدود ولا هيكل ولا تلمود))^(٣).

وقد تناول الشعراء هذا الموضوع في لمحات يسيرة جاءت في طيات قصائدهم ومن ذلك ما جاء في قصيدة ((شكوى)) للشاعر محمود مفلح، حين يثّ شكواه المريرة. فيقول^(٤):

(١) انظر على طريق الانتفاضة المباركة: ١٤.

(٢) انظر: قبل أن يهدم الأقصى: ١٥.

(٣) قبل أن يهدم الأقصى: ٢٠.

(٤) الراية: ٣٨.

يا سيدي وأنا المقتولُ من ظمإٍ والماء يجري كما الياقوت قرب يدي
يا سيدي أمةُ الإسلامِ مثخنةٌ تعاورتها سهامُ الغدرِ والنكدِ
أتى تلفتٌ لا تلقى سوى بلدٍ يشكو مرارةَ أيامٍ إلى بلدٍ
خناجرٌ طعنتها وهي مدبرةٌ ومثلها طعنتُ في الصدرِ لم تحددِ
وإن لي مسجداً عاث اللثامُ به ومنيراً لم يزل يهتزُّ في خلدي

يصف الشاعر العدو بالغدر ويشكو كثرة الجراح التي تعانيها أمة الإسلام. ثم يصفهم باللؤم والإفساد، فلم تسلم من شرهم المساجد ولا المناير.

ويبرز الشاعر عمر الأميري ضلال اليهود وما تنطوي عليه نفوسهم من مكر وبغي وضلال وخداع. فيقول^(١):

مكرُ اليهود وبغيهم وضلالهم بُعثتُ به الأنصابُ والأزلامُ
السُّمُّ في الدسمِ الشهيّ، وعالمٌ في الجاهليةِ كالسوامِ يسامُ

ومن قصيدة ((وجه قلب في السماء)) ذكر الشاعر صفات العدو في قوله^(٢):

نبكي على ((الأقصى)) الأسى — رٍ وفي ((الخليل)) لنا منادِبُ
في ((القدس)) في ((الجولان)) في ((سينا)) تمزّعنا مغالبُ
أعداؤنا لِدُّ وقا حُ البغي في ختلِ الثعالِبُ
يستقطبون لحربنا الـ — أشتاتٍ في كيدٍ مواظِبُ

(١) من وحي فلسطين: ١٣٨.

(٢) من وحي فلسطين: ١٦١.

يصف الشاعر الأعداء بصفات الوحشية والبغي والمكر والخديعة. ويذكر بتجمّعهم لحرب المسلمين وهم شراذم الآفاق. وفي ذلك تعريض بواقع الفرقة والخصومة الذي تعيشه بلاد المسلمين.

أما الشاعر كمال الوحيد فيدعو إلى الثورة والخروج من الصمت الرهيب الذي يخيم على الأمة أمام بغي يهود الغدر والإحن. فقد حان الوقت لتطهير المقدسات من دنسهم. يقول^(١):

يا أمة العرب ^(٢) إن اليوم موعدنا	مع اليهودِ أصحابِ الغدرِ والإحنِ
إن لم نطهر أراضينا ومقدسنا	من رجسهم ليتنا في الكون لم نكن
أبناءؤنا في غد لن يغفروا أبداً	هذا التخاذل أو يرضوا بهذا الوسن

ووقف الشاعر أحمد فرح عقيلان على أساس البلاء الذي حل بالمسلمين، وجعل العدو يجوس في أقداسهم متبجحاً متمرداً وهو الذي ضربت عليه الذلة والمسكنة، إن أساس البلاء هو استبدالهم بشريعة الإسلام شرائع الضلال التي مزقتهم شرّ ممزق. فقال^(٣):

لما تبدّلنا شرائع غيرنا	بشريعة الإسلام أصبحنا سُدى
تلك المبادئ مزقت أعلامنا	وغدا بها الشمل الجميع مبددا
وإذا اليهودي الدليلُ يجوس في	أقداسنا متبجحاً متمرداً

(١) حنين وأنين عبر السنين: ٢٣٦.

(٢) يخص الشاعر العرب بهذه الدعوة، وإن كان المسلمون كافة مطالبين بالدفاع عن مقدساتهم، ولكن لا أحد يستطيع أن ينكر فضل العرب الأوائل في حمل رسالة الإسلام إلى الآفاق.

(٣) رسالة إلى ليلي: ٧٩.

إن الذي كتب اليهود أدلةً كتب العلاء لحزبه والسوددا
جيشُ العروبة حين أعلن أنها دينٌ أقام العالمين وأقعدا
واليوم أعلن أنها دنيا فما صمدت لفئران البرية شرّدا
وفي قصيدة ((عيد اللاجئ)) يصف الشاعر نفسه اليهود بالذلة والبغي
والطغيان وحب الفساد، معلناً أطماعهم الدنيئة. فيقول^(١):

أيُّ عيدٍ وطغمةُ الذلِّ تاهوا واستباحوا جماجمَ الأجداد؟
والربوعُ المقدساتُ الغوالي دتّستها شراذمُ الأوغادِ
والعدوُّ الوضعُ يسخرُ مني ويدوس الرفيعَ من أمجادِ
وعريني تختال فيه كلابٌ تتحدى مخالبَ الآسادِ
معلناتُ بأن ملكَ يهوذا من حمى يثرب إلى بغدادِ
أما الشاعر كمال رشيد فيجيب شاعراً آخر يحنّ إلى اللقاء على أرض القدس
ليجتمع شمل الأحبة، فيأدره الشاعر بقوله^(٢):

بُدّل الحال واعترتنا سنون وطردنا من أرضنا والمربع
أيها الشاعر الكبيرُ اعتذارٌ فالأفاعي في أرضنا تتبرقع
والأعادي تعدّ كيداً وحقداً أي حقدٍ من حقدِ صهيون أجشع
إن هُزمنّا فللزمانِ اختلافٌ وفعالُ الرجالِ تبني وترفع

إنه يصف المحنة التي يعانيتها أبناء الأرض المقدسة؛ فقد أجبروا على الرحيل

(١) جرح الإباء: ٥٥-٥٦.

(٢) شلو الغرباء: ٤٦.

ظلماً وعدواناً وحقداً من العدو الغادر الدخيل، وليس أبشع من حقد بني صهيون. ولكن الأيام دول وما زال الأمل معقوداً على رجال الأمة الأحرار.

ويعلن الشاعر نفسه في قصيدة ((نداء إلى الأحياء)) أن سياسة الغدر والإجرام هي من طبائع اليهود وصفاتهم. فليس من المستغرب أن يتجرؤوا على حرق الأقصى؛ فتلك أمانيتهم وأحلامهم في تدميره وبناء هيكل سليمان المزعوم على أنقاضه. كما يعلن أن حربهم مع الإسلام قائمة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠/٢]. يقول^(١):

يا موطنَ الإسراءِ خصمُكَ غادرٌ	وسبيلُهُ التقتيلُ والإجرامُ
إن يحرقوك فليس ذلك بدعة	في دينهم بل إنها الأحلامُ
حربٌ على الدينِ الحنيفِ وإنها	لطويلةٌ ما طالَتِ الأيامُ
أسفي على الأقصى وقد عبثت به	نارُ العدوِّ وقد علاه قتامُ

ويطوف الشاعر الحبيب المستاوي بآفاق العالم ليرى اليهود وقد تحكموا بثروات كثير من البلاد. ويجلي أطماعهم وما تنطوي عليه جوانحهم من مكر وخديعة. وهم مع تفرقهم في البلاد إلا أن وحدة الهدف قد جمعتهم في فلسطين المسلمة. فكان لهم النصر والسيادة في العالم، وليت المسلمين يتعلمون من ذلك درساً في ثمار التضامن والوحدة. قال^(٢):

سادةُ الدنيا يهودٌ مَنْ ترى	يملكُ الماسَ ويُغري بالذهب؟
قد بلوناهم فما كانوا سوى	أهل مكرٍ ومراءٍ وكذبٍ

(١) شدو الغرباء: ٣٢-٣٣.

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية: ١٤٧/٩.

قُطِّعُوا فِي كُلِّ أَرْضٍ أُمَّا لَمْ يُصِبْ أَوْصَالَهُمْ أَيُّ عَطَبٍ
وَحَدَّةُ الْأَهْدَافِ وَالِدِينِ اقْتَضَتْ مِنْهُمْ التَّوْحِيدَ إِنْ خُطِبَ حَزَبُ
سَبَقُوا فِي الْعِلْمِ وَالْمَالِ فَمَا أَهْمِلُ الشَّرْطُ وَلَا ضَاعَ السَّبَبُ

وفي ضوء ما تقدم من نماذج رأينا أن الشعراء قد أبرزوا فهمهم الإسلامي لأبعاد المعركة العقديّة بينا وبين اليهود، كما فهمها الرسول الكريم وأتباعه والقادة المسلمون الظافرون الذين حرروا المقدسات من نير الكفر والطغيان عبر التاريخ، فلا بد لهذا الفهم أن يأخذ طريقه إلى عقل الأمة المسلمة -بعد طول غياب- وإلى عقول الأجيال لتحرير الأرض المباركة وإعادة تها إلى المسلمين طاهرة عزيزة، بعد معركة فاصلة، دينية الصميم عقديّة الأساس.

المبحث الثالث

استنهاض همم أبناء الإسلام للجهاد

لتحرير الأرض المقدسة

لما كان الشعر تعبيراً عن وجدان الأمة ومواجهتها لذا صار هذا الموضوع باباً واسعاً لإبداع الشعراء. فعبّر عن ميل النفوس إلى الأنفة والكرامة والسعي نحو الآمال الكبيرة والذرا الشائخة والدفاع عن الحرمات. فلم يقتصر الشعر في هذه الفترة على التفاعل مع الأحداث ووصف الدوافع والأبعاد وإنما صور حلم الثورة وأمنيات التحرير أملاً في تحول الحلم إلى حقيقة والأمنية إلى واقع معيش.

ومع أغلال الإحباط التي صنعتها نكبة (١٩٦٧م) والتي مثلت عاملاً مثبطاً إلا أن خيال الشعراء استطاع أن يتجاوز هذه العثرة ناظراً إلى الآفاق المستقبلية نظرة أمل وتفاؤل وترقب، ففاض الشعر هذّاراً في هذا المجال مستنهضاً ومحرّضاً. ومن ذلك قول الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدة ((الفجر الآتي))^(١).

قادمٌ فجري وإن طال الظلام	ليس يشيه ضبابٌ أو قمامٌ
قادمٌ فجري ومن أشواقنا	يتلظى في حواشيه الضرامُ
آن يومُ البعثِ وانشق السدجى	عن جبين الحق هبوا لا تناموا

(١) قادمون مع الفجر: ٢٨.

وبعد هذا المطلع المتفائل بمقدم فجر التحرير، يدعو الشاعر أبناء الأمة إلى الوحدة والعمل الإيجابي والوقوف في وجه العدوان فيقول^(١):

وانهضوا في الله صفاً واحداً تنطق الأفعال منكم لا الكلام
كشّر الباطل عن أنيابه وحمى الإسلام في البلوى يضام
فادفعوا عنكم أعاصير العدا واتركوا أوكارهم وهي حطام

ويرى الشاعر فيما يأتي من أبيات أن تاريخ الإسلام عبر العصور تاريخ مجيد زاخر بالانتصارات والعزة والفخار؛ فيدعونا إلى استرجاع تلك الأجداد. فيقول^(٢):

راية اليرموك فينا ما انطوت فارفعوها ترتفع للمجد هام
وصدى التكبير في أرجائها أين من لبي إذا حان الصدام؟
في سبيل الله لا نصر سوى نصره، والحرب بذل واقتحام
هكذا ترقى ذراها أمة هكذا يرسخ للحق دعاء
هكذا يبرز فينا خالد وصلاخ الدين والجيش اللهم
هكذا تفتح آفاق الدن هكذا والحق يحميه الحسام
عزة تحتاح في الله المدى وحدة ما عابها قط انثلام

ثم يختم الشاعر قصيدته الطويلة بابتهاال ضارع إلى الله أن يكون عوناً لجند الحق. ويقرر بأن النصر هو النتيجة البديهية لبذل أسباب النصر. يقول^(٣):

(١) قادمون مع الفجر: ٢٨.

(٢) قادمون مع الفجر: ٢٨-٢٩.

(٣) المرجع نفسه: ٥٣.

تأقت الروحُ إلى أجمادِها شبَّ فيها الوعيُ وانزاح اللثامُ
ونداءُ الحقِّ يدعو جنده ويقودُ الصحوةَ الجيلُ الهمامُ
يا إلهي كن لهم عوناً فمن طاب مبداه فما خاب الختامُ

وقد وقف الشاعر نفسه طويلاً عند هذا الموضوع فنراه في قصيدته ((رسالة من الأعماق)) يبعث بهذه الرسالة ((إلى المسلمين في العالم بشرى التخلص من نير الطغيان)). فيقول^(١):

بدمي أخطَ رسالتي وأسطر وأزفُ مبعثَ أمي وأبشرُ
إني أرى عجباً وملءُ مسامعي كالرعدِ صيحاتُ الرجالِ تكبرُ
وكان بركاناً تفجر صاخباً في كل ناحيةٍ يصولُ ويزأرُ
الشعبُ بالإسلام يزحف نافضاً عنه الركامَ وبالمطامح يظفرُ

يرسم الشاعر صورة مستقبلية مشرقة ليوم الثورة والتمرد على واقع الهزيمة. يوم أن ينطلق الزحف المبارك بركاناً صاخباً يسحق الطغيان ويظفر بالنصر. وبعد أن بثَّ الشاعر روح الأمل والتفاؤل في النفوس، التفت إلى جيل الصحوة مستنهضاً. فقال^(٢):

الصحوة الكبرى ومنشأ نورها في القلب تغذوها الدماء فتكبرُ
هيا انفضوا ولتنقشع من بيننا حُجب تفرقُ شملنا وتنفرُ
تمفؤوا إلى راياتكم راياتنا وغداً أزهرونا النضيرة ثمرُ
ومعاً نسيرُ على الطريق تحوطنا عينُ الإله بهديه نستبصرُ

(١) قادمون مع الفجر: ٥١.

(٢) قادمون مع الفجر: ٥٢-٥٤.

ونعود للقدس الحبيبة دربنا بدمائنا عبر الجهاد يقرر
هذا منار السالكين شعاعه يهدي وآيته العظيمة تُبهر
هيا انهجوا نحو الأمان نهجه إن الصباح على يديكم يسفر
وفي ديوانه ((جراح وكلمات)) يستثير العزائم في ثورة وتصميم. إذ
يقول^(١):

حطّموا أسطورة البغي الأثيمة واحقوا عن أرضنا تلك الجريمة
ليس للغاصب في أوطاننا موطن إن نحن وطننا العزيمة
اصعقوا الدنيا بزحف كاسح واجعلوا من جنة العادي جحيمه
واشهدى يا قدس في يوم اللقا جولة للحق غراء كريمة
يستصرخ الشاعر الأحرار لتحطيم أسطورة العدو الذي لا يقهر، ولا يكون
ذلك إلا بالزحف الإيماني في تضامن واتحاد وعزيمة لا تُفل. وحينها تكون للحق
جولة ((غراء كريمة)).

ثم يلتفت الشاعر مناجياً بلاده المحتلة بأنها حمى النور والحرمات، ومنها يستضيء
الجندي المجاهد. فهي التي توري في نفسه زند الثورة والعزم الصادق. يقول^(٢):

يا بلادي يا حمى النور الذي لو مشى في ميّت أحياء ريمه
شعلة الإسلام لن تطفئها نفخة العدوان أو عصف السخيمه
نبّثوا ((خير)) أنا أمة لم تزل فيها على الظلم شكيمه
قمة رغم الأعاصير التي زعزعتها والسياسات العقيمه

(١) جراح وكلمات: ٢٨.

(٢) جراح وكلمات: ٢٩.

وفي قصيدة ((الفجر المؤمن)) ينظر الشاعر النظرة التفاؤلية ذاتها، فيترقب في أمل - الفجر المؤمن ويرى فيه إشعاع الأمان والآمال وقد ملأ نورها الآفاق. يرى خيول الجهاد وقد تاقت إلى الذرا الشامخة. يقول^(١):

ماذا تعدّ لنا الغيوب؟ كأنني	أرنو فأبصر ثمّ فجراً مؤمناً
وتشع ملء عيونِه آمالنا	مجداً تسطرّه السماء ممكناً
وإليك يا قمم الرجاء على المدى	تبقى الصوارمُ مشرعات والقنا
وخيولنا أبداً تتوق إلى الذرا	وكتابتنا شمسٌ تضيء على الدنى

ومن ديوان ((نداء الحق)) ينشد الشاعر نشيد ((يا أمتي)) مستثيراً العزائم إلى النهوض والأخذ بأسباب النصر. حيث يقول^(٢):

النصرُ من عند الإله	هـ فأين إخلاصُ السجود؟
بيديه أسبابُ الحياة	ة وكلُّ أسرارِ الخلودِ
عودي إليه وأحسني الر	جعمي وأوفي بالعهودِ
وحذارٍ أن تتنكبي	هـج الغطارفة الجودِ
وترسمي درب المني	بالصدق والعزم الأكيدِ
بالعلم والإيمان بالـ	إقدامٍ بالوعي الرشيدِ

يرسم الشاعر في الأبيات طريق الخلاص، فلا عز إلا بالإسلام. الإسلام الصحيح إيماناً وعملاً، والسير على نهج الأسلاف في عصور الإسلام الظاهرة، حين نصر المسلمون الله فنصرهم. ثم يتابع الشاعر شحذه للهمم فيقرر أن هذا

(١) جراح وكلمات: ٤٨.

(٢) نداء الحق: ١٢٤.

الطريق وحده السبيل إلى استعادة مكانة الأمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠/٣] وهو السبيل إلى الحياة الحقيقية التي تأبى الدل وتؤمن بالحرية. إذ يقول^(١):

هَذَا سَبِيلُكَ فَاسْلُكِيْهِ	هَذَا سَبِيلُكَ فَاسْلُكِيْهِ
يَا أُمِّي أَنْتِ الْعَرِيدُ	يَا أُمِّي أَنْتِ الْعَرِيدُ
وَدَعِي الْمَأْتَمَ وَانْهَضِيْ	وَدَعِي الْمَأْتَمَ وَانْهَضِيْ
تَتَوَثَّبُ الْأَمَالُ وَالْـ	تَتَوَثَّبُ الْأَمَالُ وَالْـ
بَيْنَ الْحَنِينِ وَدَفْنِهِ	بَيْنَ الْحَنِينِ وَدَفْنِهِ
وَيُظَلُّ بَعَثُ الرُّوحِ جَسَدُ	وَيُظَلُّ بَعَثُ الرُّوحِ جَسَدُ
مَنْ قَمَّةِ التَّارِيخِ مَنْ	مَنْ قَمَّةِ التَّارِيخِ مَنْ

وفي ديوان الشاعر ((الإيمان والتحدي)) دعوات قوية إلى الجهاد والثورة في وجه العدوان، كما يبنى بذلك عنوان الديوان. ومنه قوله^(٢):

فَتَمَرَّدْ يَا شَعْبَ إِنْ كُنْتَ حَيَا	وَأَيَّاءُ وَلِتَسْقُطِ الْأَصْنَامُ
الضُّحَايَا مِنَ الْقُبُورِ اشْرَابَتْ	فِي ذَهْوٍ يَنْشَقُّ عَنْهَا الرِّغَامُ
وَعَيُونَ السَّمَاءِ تَشْفِقُ فِي حَدِّ	بِ عَلَيْنَا وَتَأْسَفُ الْأَيَّامُ
يَبْعَثُ الْأَرْضُ وَالْكَرَامَةُ دِيَسَتْ	وَالِلَّهِ يَشْتَكِي الْإِسْلَامُ
وَهَتَافُ الشَّهِيدِ: لَا تَنْكُثُوا الْعَهْدَ	سَدِّ وَرَائِي وَلِتَثْبِتِ الْأَقْدَامُ
تِلْكَ أَرْضُ الْأَجْدَادِ لَا تَسْلُمُوهَا	لَهْفَ نَفْسِي أَيْنَ الْأَبَاءُ الْكَرَامُ؟

(١) نداء الحق: ١٢٥.

(٢) الإيمان والتحدي: ٨٨.

يوجه الشاعر دعوة قوية إلى التمرد على الذل والمهانة والنهوض في عزة وإباء لتسقط أصنام الباطل. ويستدعي صوراً من المعاناة التي يجيهاها الشعب تحت نير الظلم والطغيان. ويقوّي استثارته للعزائم بإجراء الحديث على لسان الشهيد؛ الذي يهتف بأمتة موصياً بالحفاظ على العهد والصمود في وجه البغي.

ولا شك أن هذه الوصية حافلة بالوجدان وحافز إلى الثورة في قوة وتصميم. ويشفع الشاعر هذه الوصية بنظرة متفائلة إلى المستقبل قائلاً^(١):

يا قيودَ الإرهابِ والعسفِ زولي	وانقشعْ عن سمائنا يا ظلامُ
إن فجرَ الإسلامِ لا بدَّ آتٍ	ليس فيه إلا الكميّ الهمامُ
ذاك وعدُ السماءِ سجله القُر	آنُ وحيّاً تشدو به الأعوامُ
وغداً تشرق الحياةُ بفتحٍ	عبقريٍّ وتخفقُ الأعلامُ
وتخرّ الجباهُ في ساحة الأقم	صى ويعلو بعد العبوسِ ابتسامُ

فالفجر آتٍ بإذن الله تحقيقاً لوعد الله بالتمكين لهذا الدين، فيكون الفتح العظيم وتعلو رايات النصر عزيزة خفاقة، وتقام صلاة آمنة مطمئنة في رحاب الأقصى الشريف.

أما الشاعر كمال الوحيدي فيطالب رجال الأمة الأحرار بالتأثر؛ ويصور العدو الطاغوي وقد دنس الحرمات واستباح المقدسات. وفي ذلك دافع قوي للثورة والرغبة في التأثر، ولكن ويا للأسف من الأمة من يتودد للعدو ويخضع!! ثم يجري

(١) الإيمان والتحدى: ٩٣.

الشاعر حواراً على لسان طفل يستنهض النخوة والإحساس بالكرامة داعياً للثأر
ممن قتل والده، ومعلنأ استعدادده لخوض المعركة إذا أحجم الكبار. فيقول^(١):

أليس المسجد الأقصى إلينا	وحيفا والخليل وأرض سيناً؟!
أما للثأر في دمكم بقايا	فيدفعكم لدحر المجرمين؟!
أيرضى مؤمنٌ تقلبم ورد	لأعداء الإله الخادعين؟!
أخي طفلي يقول إليك هيا	إلى صهيون لا تترك كميناً
فهذا والدي عنا تولى	فخذ بالثأر واحذر أن تلينا
وإلا فاعطني الرشاش إني	أبيتُ بأن يقيم الذلُّ فينا

وتابع الشاعر نداءه المستصرخ للأمة مذكراً بالأجداد الماضية، وما كان للمسلمين
فيها من قوة وعزة. جاهدوا في سبيل الله فأيدهم الله بجنود من عنده، فقال^(٢):

ألسنا أمة الأجداد قدماً	وأهل الساح دوماً ما حيناً
فإن وطئ العدو لنا ثغوراً	حرصنا أن يظل بها دفيناً
ولا قهنا إذا ما الخصم لاقى	فجند الله تحمي المتقيناً
وإن غدت المعارك عابسات	فشمر ساعدك وكن أميناً
لتمضي الطائرات مطوفات	يساقطن القذائف والمنونا
وأصوات الأراميل والثكالي	ستحرق كل من يحيي الجيناً
ثمرد أيها العملاق حتى	تكون لشعبك الدرغ الحصينا
وما ترمي فإن الله رام	وعند البأس يمنحك اليقينا

(١) أنين وحنين عبر السنين: ٢٢٢.

(٢) أنين وحنين عبر السنين: ٢٢٢-٢٢٣.

ويوجه الشاعر أحمد فرح عقيلان نداءه إلى فتية الفتح عشاق الحرية لبذل
أرواحهم في إخلاص و يقين؛ ليلقنوا المعتدي درساً أخيراً. وقدم الشاعر صورة
بديعة لمن قدم روحه في سبيل الله، وجعل همه العلياء في حين شغل غيره بمفاتن
الحياة ومباهجها. فقال^(١):

يا فتية الفتح يا أنوار موكبنا	يا من بطولاتهم فعل بلا خطب
حيّ الفدائي يعطي من قنابله	درساً يطيح بهم رأساً على عقب
شتان من همّه كأس وزانية	ومن على الذروة السماء في الذهب
ليس الذي يمهر العلياء من دمه	مثل الذي يمهر الصهباء بالذهب

وفي قصيدة ((صرخة من الأقصى)) يرفع الشاعر نداء مستغيثاً مستشيراً
للعواطف على لسان المسجد الأقصى. فيقول^(٢):

صوت من المسجد الأقصى يناديني	إلى فدائية الإيمان يدعوني
يصيح والصخرة الغراء حاوية	أين البطولات في الغر الميامين؟
أبعد أن زفني عمرو إلى عمر	في هالة المجد والقرآن والدين
يعربد الكفر مخموراً بمثذنتي	ويستهين بقدسي كل ملعون

وبعد هذا النداء الصارخ من الأقصى، التفت الشاعر إلى صفحات التاريخ
الإسلامي المشرق، في تعبير قوي لاستثارة العواطف وحفز المشاعر، ليرسم الجيل
المسلم خطاً الأجداد. فيقول^(٣):

(١) رسالة إلى ليلي: ٨٦ - ٨٧.

(٢) المرجع نفسه: ٨٩.

(٣) المرجع نفسه: ٩١.

في القادسية واليرموك خالِدُنا
(الله أكبر) كم عزّت وكم شهدت
كم جلجلت حول حصنٍ شامخٍ أشب
ودولة الظلم مهما تبين زائلةٌ
وسعدُّنا أعلنوها في الميادين
في ساحةِ المجدِ من نصرٍ وتمكينٍ
كم رفرفت فوق أوربا إلى الصين (١)
وإن بدت في انتصاراتٍ إلى حينٍ

والشاعر كمال رشيد يبعث برسالة يبصّر فيها الجيل الإيمانى بسبب الذلة والخضوع الذي تعيشه الأمة، إنه الركون إلى الدنيا والتقاعس عن الجهاد، فيقول (٢):

يا من ركنتَ إلى الحياةِ وطبيها
والحقُّ أبلجُ والحياةُ قصيرةٌ
(من لم يمت بالسيفِ مات بغيره)
أين الملايينُ الذين نعدّهم
بخلتُ علينا الوالداتُ بمثلهم
شقيتُ بنا الأيامُ إذ لم نحِها
الذلُّ في الدينِ الحنيفِ حرامٌ
فعلامٌ خوفٌ إن أتاكِ حمامٌ؟
ولكلُّ نفسٍ في الحياةِ مرامٌ
أو ليس فيهم فارسٌ مقدامٌ؟
وأتى على آثارهم أقزامٌ
ولطالما سعدتُ بنا الأيامُ

وبعد هذا اللوم الموجه إلى المتقاعسين يؤكد الشاعر كمال رشيد ما ذهب إليه الشاعر عقيلان من أن في التاريخ الإسلامي خير نموذج يحتذى. فالحقوق التي

(١) أشب: التف حوله الشجر بكثرة.

(٢) شدر الغرباء: ٣٣.

سلبت بالقوة لا ترد إلا بالقوة. ثم استدعي شخصية البطل صلاح الدين عليه يعود ليرى ما حلّ بالبلاد التي فتحها. يقول^(١):

نحن الألى خبروا المعارك قادة أيرأذ منّا الذلّ والإرغام؟
كيف الحقوق تضيع من أصحابها إن كان فيهم مبدأ وحسام؟
قم يا صلاح وشاهد القدس التي حررتها يزهو بها الخانحام
فلعل سفر المجد يفتح صفحة فيطل يوم مشرق بسام

وبعد أن أسهب الشاعر عمر بهاء الدين الأميري في الحديث عن نكبة حزيران وآثارها الوخيمة، عاد ليوقد شمعة أمل تضيء آفاق المستقبل. فقال^(٢):

لا يأس فالحرب أقدار ودائرة وإنه طبق يأتي على طبق
مكبلون، ولكن في غد نبأ يا نجم مزق ظلام الليل وائتلق
غداً سيشرق بالإسلام طالعنا بدرأ وشمساً وتجلو غرة الفلق
والنصر بالصبر والإيمان معقده والمجد بالعزم والإعداد والسبق

إن المسلم لا يعرف اليأس: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِشُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ

﴿٨٧﴾ [يوسف: ٨٧/١٢] فأفاق الغد ستشرق عن نجم أمل متألق يمزق ظلام

الهزيمة. وبإشراق القرآن يجتاز الجيل المسلم المحنة إلى شاطئ الأمل المشرق بعزة النصر.

(١) شدو الغرباء: ٣٤.

(٢) من وحي فلسطين: ٧٣.

والنظرة التفاضلية ذاتها نجدها لدى الشاعر في قصيدته ((سيطول الطريق والنصر آت)) إذ وجه الشاعر دعوة قوية إلى المسلمين للتمرد على واقع الهزيمة لتحقيق النصر، بعد جهاد إسلامي يبدأ من القدس وينتهي بإحدى الحسينين النصر أو الجنة. فقال^(١):

سرى الكون من تمردنا الجبـ	ار ما يسحق الطواغيت سحقا
إن للفتح موعداً راسخ العز	م وسعياً إلى الفداء وسبقا
بيعة في الجهاد شقت من القد	س إلى الخلد دربها الوعر شقا
سيطول الطريق لكن نصر الله	ه آت وعروة الله وثقى

والشاعر شريف قاسم ييث الحمية في نفوس المؤمنين بقوله^(٢):

أواه ما مات الرجاء وفي الربا	من بايعوا -دون الهدى- القهारा
العنفوان وعزة الإيمان في	أعماقهم بالنور تُضرم نارا
سيقاتلون الشرك كيف تبدلت	أثوابه ويمزقون العارا
أواه ما متنا فيما راياتنا	رفي ويا هذا الفدا كن جارا
سنبيع غالية الحياة بجنة	ويعود جحفلنا بنا كرا

إن الأمل في الغد لن يموت في قلوب المؤمنين الأحرار ذوي العزة والإباء. فهم الأمل وهم الثائرون لقتال الشرك بشتى صورته وأثوابه، وهم الذين باعوا الحياة الدنيا واشتروا جنة الخلد.

(١) من وحي فلسطين: ١٦٧.

(٢) متى تعودون؟: ٦٧.

ثم يتابع الشاعر استنهاضه للحمية وإذكاءه للغيرة. فيقول^(١):

الله أكبر لن نعيش أذلة	جئنا لكل فضيلة نبارى
بالدين تأتشب القلوب أخوة	وبغيره ذقنا الحياة مَرارا
بالدين تهتز النفوس أصالة	ويعود ودق سحابها مدرارا
بالله بالقرآن كنا أمة	وهدى الرسول يقودنا أحبارا
أبدأ ولن تحيا بعز أمي	إن لم تحكّم بينها الأنوارا

يقرر الشاعر في الأبيات أن النصر لا يتحقق إلا بعودة صحيحة إلى الدين القويم وإلى الكتاب الكريم والثقة بالله جل شأنه، وحينها تهتز النفوس لتنفض عنها غبار الذلة والخنوع، لتعود أصيلة عزيزة ترفض الهوان وتتطلع إلى العزة والنصر.

وفي قصيدة ثانية يؤكد الشاعر ما جاء في أبياته السابقة من رسم لطريق النصر والعزة. إذ يقول^(٢):

ما حرّر الأقصى السجين مهرج	أو عاش للجلى أخو خسران
والقدس غافية على أحزانها	تشكو المصاب المر للركبان
للمؤمنين بربرهم وبدينهم	وجهاد هذا الجيل كالفرسان
فإذا بها اختضب التراب بدافق	من كل قلب طاهر حران
وتجاوبت أصدااء كل كتيبة	تأبى القعود على الهوان الجاني
وتدافعت للموت عبر ملاحم	وعلا مع التكبير كل لسان
إذ ذاك تنهد القلاع وينجلي	صبح الخلاص بأوجه الشجعان

(١) متى تعودون؟: ٦٨.

(٢) المرجع السابق: ٨٨-٨٩.

وتعود للأقصى على وهج القنا رايأنا مياسة الخفكان
فلتنطلق أفواجنا وسلاحها سيف يوشيه سنا القرآن

يرسم الشاعر لوحة مشرقة للمستقبل، فيصور القدس وقد شكت ما بها إلى المؤمنين الأحرار المتعطشين إلى يوم الثار، فإذا بهم يهبون إلى نجدتها مخضبين الثرى بدمائهم الزكية، وتتدفق الكتائب من كل حذب وصوب يحدو ركبها صوت التكبير فتنهّد قلاع الطغيان ويتجلى صبح الخلاص، وتعود راية الإسلام عالية خفاقة في سماء الأقصى، فليس سوى الجهاد يعيد القدس عزيزة أبيّة.

وفي قصيدة ((على طريق الفداء)) يعلن الشاعر محمد المنتصر الريسوني ثورته على البغي وانطلاقه نحو الثار. فيقول^(١):

بعضائي أسحق البغـ	سي وأوغاد العناد
من جراحني أزرع المو	ت بأنفاق الفساد
من معاناة الشكالي	في خيام وبواد
أصنع العز طيوباً	تفياها بالادي
من دمي أنسج نصراً	تلو نصر في امتداد
والهبي وكتابي	في الرزايا هو زادي
وعلى درب النبوا	ت ألقى كل عاد
لا أخاف الهول والقر	آن يحدو للجناد
هو في الأعماق عزم	وعلى الأدهار هاد

(١) على درب الله: ٤٥-٤٦.

ثم يسجل الشاعر عزمه على الجهاد، ورفضه حياة الذل. قائلاً^(١):

إني صانعٌ مجيدٍ	في سهولٍ ووهـادٍ
فلسطينُ تساينُ	حُجَّ الأمانِ في فؤادي
سوف لا أطوي جناحي	على ذل الكيـادِ
كبرياءُ الجرحِ أملتُ	عهدَها في كلِّ نادٍ
يورق الصبحُ بـ (يافا)	من بطولاتٍ جهادي

ومن قصيدة أخرى للشاعر نفسه نراه وقد وجّه نداءه إلى أمته محرضاً إياها على الصمود، والتمسك بالقرآن الكريم فهو الصباح المرتجى والهادي إلى المعالي يقول^(٢):

يا أمتي قرأتك الهادي تشدّ	ك للمعالي الخالداتِ ذخائرُ
تطلعين إلى الصباح المرتجى	وصباحك الوردِي غرْد طائرُ
ثوري فأولى القبلتين ومربعُ الـ	عزُّ الأثيلِ غدا الشُّرودُ يساورُ
مسرى النبي محمدٍ سبحان من	أسرى به ليلاً تفأوحَ عاطرُ
نأر الجراحِ يصيحُ يصرخُ غاضباً	أين المكارمُ والإبا ومفاخرُ
إن الجهادَ طريقنا نحو السنا	حيث العلا الأبدِي يورقُ ناضرُ
نُرسى به فوق البسيطةِ منهجَ الـ	إسلامٍ نُعتقُ من تقمّ ناطرُ
فإذا الحياةُ مواكبُ الأعراسِ تنـ	شر ظلّها أماناً تجود مواطرُ

(١) علي درب الله: ٤٦.

(٢) مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ١٩٢.

ويهيئ الشاعر محمد التهامي بأبناء الإسلام أن يمضوا إلى الجهاد، وينفضوا عنهم غبار الدعة والاستخذاء، فالمكارم لا يطلبها النائمون. يقول^(١):

داعي الجهاد دعا الغداة جموعكم فتهيؤوا واستنفروا النواميا
وتخيروا للموت كل وسيلة ضلّ الذي حسب الجهاد كلاما
يا غارس الأوهام حسبك جانبا أن تحصد الأضغاث والأوهاما
إن الذي طلب المكارم نائما وجد المكارم كلها أحلاما

ويندد الشاعر بالمتقاعسين عن الجهاد خورا وانهمزما. فيقول^(٢):

يا نائما إن الجهاد فريضة فوق الدرائض كلها تتسامي
إن صمت أو صليت غير مجاهد فت الصلاة وما كسبت صياما
إن لم يقم للحق شعب مؤمن جعل الشهادة في الجهاد مراما
أكلوه وهو على المذلة نائم ورموه في عرض الطريق حطاما

ويدعو الشاعر محمد نبيل الأصباشي إلى نبذ حياة الدعة والراحة وسلوك طريق الجنان، طريق الجهاد في سبيل الله. وذلك في قوله^(٣):

خلّ عنك الهوى وغنج الحرائر والتمس للوغي سبيل المخاطر
والتمس للجنان رفرف عدن سندسي الرياض زاهي الأزاهر
واهجر العازفات لحن التصابي إن لحن الأحرار عزف البواتر
وصليل السيوف أعذب وقعا من غناء المخدّرات الحرائر
ياثكل الأقصى ينادي وحيدا مستغيثا ولات حين مناصر

(١) أنا مسلم: ٤١-٤٢.

(٢) أنا مسلم: ٤٢.

(٣) لحن الجراح: ٨٨-٨٩.

ويعقد الشاعر مقارنة بين ماضي الأمة الزاخر بالأجداد وبين حاضرها المترع بالنكبات، علّ هذا يوقظ الحمية والغيرة ويحفز الأحفاد على المضي على إثر الأجداد. يقول^(١):

أين ذاك الفتى سليل بني آي—	—وب يزهو بزاحفات العساكر؟
أين بيرسُ والفوارسُ تنـدا	حُ سراعاً وعاصفُ الموتِ هادر؟
ما لتلك الأجدادِ غاضت فأضحتُ	يوم بادت كأنها طيفُ خاطر؟
إيه يا ((قدسُ)) لم يعد سيفنا اليو	م فرياً وكان بالأمسِ باترُ
لم يعد سيفنا يصدّ الأعادي	بالمنايا وكان للموتِ قاهرُ
لم يعد ينشد العلا وقديماً	كان يهوى العلا ويشدو المآثرُ
إيه يا قدسُ شيعي حتفَ قومي	واعزني يا جراحُ نرف الضمائرُ

تلك هي أبرز النماذج التي تقفنا على معاني العزة والإباء لدى الجندي المسلم الثائر على الظلم، الحريص على الشرف والكرامة، والذي يعد الثأر غاية وواجبه. فيتحدى كل مشقة، ويأنف المذلة والاستسلام ليحيا الحياة الحقيقية ويتخلص من براثن الطغيان وما فيه من إهدار لآدمية الإنسان. فكانت هذه المعاني التي تكررت على ألسنة الشعراء مستوحاة من القيم والمثل الإسلامية.

ومن اللافت للنظر حرص الشعراء على التغني بالأجداد الماضية وإحيائها لبلورة الشخصية وحفز أبناء الأمة على إرجاع العزّ السالف والسير من جديد في ركب الحضارة الإنسانية الراقية، واستلهام الانتصارات خطةً للعمل المقبل^(٢).

(١) المرجع نفسه: ٨٩-٩٠.

(٢) انظر الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية: ٧٩-١٧٦.

كانت هذه المحاور الثلاثة هي أهم ما دار حوله إبداع الشعراء في هذه المدة (١٩٦٧م-١٩٨٧م). فقد اضطلعوا بدورهم في تعبئة الأمة للوقوف في وجه العدوان ومقاومة المحتل الغاصب بكل وسيلة. فألقوا الضوء على مكانة هذه البقعة من الأرض، وكشفوا خطر اليهود وتاريخهم الأسود، ثم رفعوا صوتهم محرضين على الثورة والصمود في كلمات تنضح بالمشاعر الحماسية الحارة. فكانت الانتفاضة (١٩٨٧م) باكورة ثمار هذه الدعوة الوجدانية الحماسية، وكانت إشراقة شعر الانتفاضة بسماته المتميزة، مما سنبينه -إن شاء الله- فيما يأتي من صفحات.

الشعر الإسلامي واستلهام قيم الانتفاضة

- ✽ المبحث الأول: الابتهاج بالانتفاضة والأمل بالنصر والعودة.
- ✽ المبحث الثاني: رثاء الشهداء وقوانين الموت في سبيل العقيدة.
- ✽ المبحث الثالث: الحل الإسلامي هو الطريق لإنقاذ فلسطين.

مقدمة

في ((٨ كانون الأول ١٩٨٧ م، وأثناء عودة عمال قطاع غزة خرجت مقطورة من مستوطنة ((إيريز)) وانحرفت إلى الشارع الموازي لتحطم سيارتين مما أدى إلى مقتل عدد من الفلسطينيين من مخيم جباليا، وجرح آخرين))^(١).

وبعد هذا الحادث دعا الشباب المسلم كافة سكان المخيم للمشاركة في جنازة الشهداء. وتحولت إلى مظاهرة قادها شباب حركة المقاومة الإسلامية^(٢).

فكانت هذه الحادثة ((الشرارة التي أشعلت الفتيل، بقرار حركة المقاومة الإسلامية، بتصعيد الانتفاضة المباركة))^(٣).

واستمرت التظاهرات قوية صامدة بالرغم من الممارسات القمعية من قبل الجيش الإسرائيلي^(٤).

(١) القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: ١٧٣.

(٢) انظر الانتفاضة المباركة ومستقبلها: ٥٢.

(٣) المرجع السابق: ٥٣.

(٤) انظر القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: ١٨٤ - وانظر: تفصيل ذلك في المبحث الثاني من

المبحث الأول

الابتهاج بالانتفاضة والأمل بالنصر والعودة

تُعَدُّ الانتفاضة في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين نقطة تحول مهمة وبارزة في التاريخ الفلسطيني. فقد أحييت الأمل في وجود أمة ظن كثير من الناس أنه أهيل عليها التراب منذ زمن طويل، إلا أنها باقية وستظل كذلك إذا رجعت إلى شريعتهما وأشعلت جذوتها في قلوب المسلمين كافة؛ ليصبحوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

فجاءت الانتفاضة مفاجئة القاصي والداني، بعظمة أولئك الأبطال الذين أنطقوا الحجر ليعلن نغمته على الصهاينة، ويذيقهم الموت في حين عجزت الدبابات والطائرات العربية عن إطلاق قذائفها للذود عن حياض المقدسات. فما أروع شجاعتهم واحتسابهم لأرواحهم عند الله جل شأنه: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٢٢/٤٠].

وقد كان العدو يعتقد أن هذه الثورة الجهادية ما هي إلا سحابة صيف سرعان ما تنقشع، إلا أن أبطال الانتفاضة أثبتوا للعالم كله أن هذه الأمة لن تموت مهما كانت الظروف قاسية. فاستمرت الانتفاضة قوية شاملة متصاعدة ذات روح جهادية لا تعرف الخوف ولا اليأس ولا الأهداف الآنية المحدودة. وقد

تطورت أسلحة الأبطال من حجارة إلى مقاليع إلى قنابل غاز وزجاجات حارقة وسكاكين^(١).

وقد حفل الشعر الإسلامي بعدد من القصائد حول هذا الموضوع، فكانت هناك مؤلفات بأكملها تتحدث عن الانتفاضة وعن أبطال الحجارة، ومنها:

ديوان الانتفاضة للشاعر الناقد أحمد عبد الرزاق الخاني^(٢)، وقد ضم هذا الكتاب بين دفتيه عدداً من القصائد التي قيلت في الانتفاضة المباركة، ومنها قصيدة المؤلف نفسه، بعنوان: لغة الحجارة^(٣):

ذكرى حراب الغادرين	هتفت على الوتر الحزين
فتمرد الإصهار يز	أر بالعرين المستكين
من نفحة الخد الندي	سرى عبير الظافرين
تعطي دماؤهم أكا	ليل الكرامة كل حين
فإذا الجهاد يشب من	شفق الهداة الباسلين
وإذا بأحفاد الملا	حم في الوغى مستبسلين

يصور الشاعر اشتعال جذوة الانتفاضة والدوافع التي أضرمتها. فحراب الغادرين التي ما فتئت تغرز في أجساد أبناء فلسطين هي التي فجرت الثورة.

(١) أنظر: ملف الانتفاضة: ٧٠-١٢٥.

(٢) أحمد عبد الرزاق الخاني: ولد في حماة وبدأ دراسته فيها، ثم حصل على الشهادة الجامعية في اللغة العربية وعلوم التربية في جامعة دمشق، عمل في التدريس في سورية والسعودية وما يزال حتى الآن. له مؤلفات عديدة في الشعر والنقد وأدب الأطفال، انظر ديوان الشاعر: لحن الجراح.

(٣) ديوان الانتفاضة، دراسة أحمد الخاني: ١٠.

فسالت الدماء الزكية فداءً للمقدسات ولكرامة المسلمين، وانطلق أحفاد الملاحم إلى المعارك حاملين أرواحهم على أكفهم.

ثم يعبر الشاعر عن إسلامية المعركة لأن الطريق إلى النصر إنما يمر عبر القوة ومن خلال الالتزام بكتاب الله، فيجعل الشاعر سورة الأنفال وما فيها من أمور الجهاد رمزاً للالتزام بالمنهج القويم^(١):

وتفجر البركانُ يثـ	أُر من جنون الغاصبينُ
فإذا بأبطالِ الحجا	رة للمنيّة باسمينُ
الرعبُ؟ مات الرعبُ في	درب الأبهة الثائرينُ
رضعوا الشهامة بالإبا	ء زكا يذلّ الناهضينُ
وهوى الفؤادُ على جسو	ر الموت هزّ الراقدينُ
فأعادهم أسداً تزمـ	جرُّ في وجوه الحاقدينُ

ويختتم الشاعر القصيدة بإسباغ الحياة على الأقصى وقبة الصخرة فيراهما مستبشرين بهذه الوثبة الجهادية. يقول^(٢):

فالمسجدُ الأقصى بدا	بالبذل وضّاء الجبينُ
والقبةُ الشّماءُ تبـ	سم عبر موج من أنينُ
لغة الحجارة ترجمتْ	إحساسَ شعب لا يلينُ
صرختْ تقول لأمتي:	هذا طريقُ الخالدينُ

(١) ديوان الانتفاضة: ١٣.

(٢) ديوان الانتفاضة: ١٤.

ويضم هذا الديوان قصيدة للشاعر عبد الرحمن العشماوي يستهلها بقوله^(١):

أبتاه ما زالت جراحني تترفُ والليلُ أعمى والمدافعُ تقصفُ
وبعد هذا المطلع الباكي يبرز الشاعر صوراً من المعاناة المريرة على لسان
الطفل الفلسطيني، ثم يبدأ في تصوير الانتفاضة بعد أن مهد لها بذكر الدوافع^(٢):

ها نحن يا أبتي نعيدُ لقومنا شرفَ الدفاعِ عن الحمى ونشرفُ
طال انتظارُ صغاركم فتحركوا لما رأوا أن الكبارَ توقفوا
وتلفتوا نحو السلاح فما رأوا إلا الحصى من حولهم تلهفُ
عزفوا بها لحنَ البطولةِ والحصى في كفٍّ من يابى المذلة تعزفُ

يعبر الشاعر على لسان الطفل الفلسطيني عن ابتهاجه بالانتفاضة لكونها رمزاً
للإباء والعزة. فالصغار تحركوا حين توقف الكبار، والحجارة تلهف إلى الأيدي
المجاهدة لتعزف بها لحن البطولة.

ويتابع الشاعر قصيدته معبراً عن عدالة قضية أولئك الأبطال الذي غدت
الحجارة لغتهم، بعد أن أسكت الخنوع أصوات المتخاذلين، الذين شغلوا بخلافاتهم
عن حماية مقدساتهم، فيقول^(٣):

هذي الحجارةُ يا أبي لغةٌ لنا لما رأينا أننا لا ننصفُ
لما رأينا أن أمتنا على أرضِ الخلافِ قطارها متوقفُ

(١) ديوان الانتفاضة: ١٥.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

(٣) ديوان الانتفاضة: ١٦-١٧.

بيني وبين حصي بلادي موعداً ما كان يعرفه العدو المرجفُ
يتعوذ الرشاشُ من طلقاتها ويفرّ منها المستبدُّ الأجوفُ
واجهتُ يا أبتى الخطوب وعُدتي قلبُ عصاميٍّ وحسُّ مرهفُ
وتوجهُ الله يجعل هامتي أعلى وإن جار الطغاة وأسرفوا

أما الشاعر أحمد سالم باعطب^(١) فقد هزته الانتفاضة وحاول أن ينفذ إلى ما وراء الوقائع ويستشرف آفاقها فهو يقول^(٢):

ورأيتُ أطفالي وفي أيّامهم شهبٌ تخطّ شهامتي ومضائي
أسرَّ الزمانَ جهادهم فإذا به راوٍ ورسام لهم وروائي
لما خوت مهجُ الرجال من الهدى وتمرّغت في الزيغ والأهواءِ
وعدتُ على كرمي الثعالبُ جهرةً وتسَلَّل الذؤبانُ بين الشّاءِ
واعتل ميدانُ البطولة واختفى منه الكمأةُ وغصَّ بالجبناءِ
شدّت إزارَ الجدِّ كلُّ خريدةٍ وشدا الصغارُ ملاحمَ العظماءِ
في كل ثانيةٍ يغير على العدا حجرٌ يجلجل: إنني لفدائي

يرى الشاعر الانتفاضة المباركة دليلاً على الكرامة والشهامة والمضاء. فجهاد أولئك الأبطال أسر الزمان وصار يروي قصص البطولة، ويرسم ألوان العزة

(١) أحمد سالم باعطب: من مواليد ١٣٥٥هـ في جدة في السعودية، حصل على الشهادة الجامعية في التجارة من جامعة الملك سعود. عمل مدرساً ثم مدققاً في الخطوط السعودية، ثم عمل في مؤسسة النقد العربي السعودي، حتى أحيل على التقاعد، له ثلاثة دواوين مطبوعة. ومجموعات شعرية تحت الإعداد. (من سيرة ذاتية مرسلة من الشاعر نفسه).

(٢) ديوان الانتفاضة: ٣٢.

والشمم. في حين تحاذل الكبار، وجبنوا عن لقاء العدو متشاغلين بأهوائهم وضلالهم مما جرّأ العدو عليهم وعلى حرماهم. ويشيد الشاعر بجهاد نساء الأرض المباركة ومشاركتهن الفعالة في الانتفاضة. ثم يُجري الحديث على لسان البطل الفلسطيني. فيقول^(١):

هذي الحجارة باليقينِ جلوتُها	وسقيتها من شيمتي ووفائي
ليست حصي لكن مشاعلٌ وثبةٌ	ونيازكٌ تأسو لواعجٍ دائي
شهدتُ معي يضرّ السنينَ وأدركتُ	غصصَ الكفافِ وندرةَ الخلاءِ
ثارت غضاباً حين بات مصيرُها	ما بين سِمسارٍ وبين مرائي
خلعت جلايبَ السكونِ وأضرمتُ	نارَ الفداءِ فأطفأتُ بُرحائي
ليت الألى نكصوا على أعقابهم	درسوا سماتِ النبلِ في حصبائي

إن المجاهد يستمد القوة من يقينه بالنصر والعزة للمؤمنين وإن طال زمن الجهاد. وهذه الحصى تشنّ على العدو ثورة بسقوطها كالنيازك معلنة وفاء البطل لأرضه ومقدساته. فقد شهدت هذه الحصى أيام الرخاء والشدة فثارت غاضبة حين حاول العملاء بيع الأرض إلى العدو الغاصب، فأضرمت نار الفداء والنبل فكانت مبعثاً للبهجة في النفوس التواقّة إلى الغد الظافر.

والقصيدة الأخيرة التي اختارها من ذلك الديوان هي للشاعر الأردني يوسف أبو هلاله في قصيدته ((حاذر أن تساوم))، ويستهلها بالحديث الموجه إلى غزة

(١) ديوان الانتفاضة: ٣٤.

قلب الانتفاضة فيرى أن هذه الثورة تضمد جرح الهدى الغائر، وتفضح الصمت الذي يخيم على الأمة وتعلن الحق الذي يواريه العدو الغاصب. فيقول^(١):

ضمّدي جرحَ الهدى الغا ثرّ يا غزّة هاشم
وافضحي الصمت الذي شا خ بأوكار الهـزائم
واعلني^(٢) الحق الذي كا نت تواريه المحاكم

ثم يصور انطلاق الثورة الإسلامية، فيراها بركاناً ناقماً ثائراً وسيفاً صارماً ثار على انحباسه في غمده، فتحوّلت الآثات الجريحة إلى نغمات باسمه. وقاد أبطال الحجارة هذه الثورة مواجهين أعنى عدو، فتكلم الحجر كاشفاً كل زيف ومعلناً إسلامية الثورة مسكناً كل الأصوات القومية^(٣):

وثب البركان من مضـ جعه وثبة ناقم
وعلى الأغمار ثارت تلعن الحيس الصوارم
أي سرّ جعل الأثـ بات أنغاماً بواسم؟
وخطا الأطفال لا تو قفها أعنى الرواجم
ولسان الحجر الصّا مت فكّاك الطلاسـم
إنه الإسلام فلتخـ رس أفانين المزاعم

ثم طفق الشاعر يمجّد الأم الفلسطينية التي تعلق روحها بفلسطين فوهبت بنيتها فداءً لها. كما يمجّد الأبطال الصغار الذين أعطوا وضحووا في سبيل أرضهم

(١) ديوان الانتفاضة: ٣٨.

(٢) هنا ضرورة شعرية حيث جعل همزة القطع همزة وصل.

(٣) ديوان الانتفاضة: ٣٨.

المقدسة، والشعب العظيم الذي يسطر التاريخ موقفه بمداد من نور، والذي سيحقق النصر بعد جهاده المبارك بإذن الله^(١):

أَيُّ أُمَّ رَوْحُهَا فِيْـ	حُ فِلَسْطِينَ الْمُقَاوِمُ
تَهْبُ الْإِسْلَامَ أَشْـ	ءَ بَنِيهَا وَالْجُمُاعِمُ
أَيُّ أَطْفَالٍ جَنَاهَا	وَأَفْرُوهِي الْبِرَاعِمُ
أَيُّهَا الشَّعْبُ الَّذِي بَا	هَتَ بِهِ سَاخُ الْعِظَائِمُ
أَيُّهَا الْمُطْلِعُ وَرَدَ النَّـ	صِرَ مِنْ شَوْكِ الْهَزَائِمُ
كُنْ مَعَ اللَّهِ وَلَا تَر	جُ الْعِلَا مِنْ سَعْيِ آثِمُ

ومن المؤلفات التي أفردت للحديث عن الانتفاضة ((ديوان الانتفاضة)) جمع وتقدم: أحمد موسى الخطيب. وقد ضم بين دفتيه عديداً من القصائد، اختارت منها ما يلي:

القصيدة الأولى للشاعر عبد الرحمن العشماوي يبرز فيها الدوافع التي فجرت الانتفاضة. فالشعب رازح تحت وطأة المحتل يسومه سوء العذاب، مما جعل حياته جحيماً لا يطاق، والأطفال عاشوا رهن الكآبة والحزن وكثير منهم فقد والده أو والديه، والمآسي تترى على هذا الشعب، في حين يصمت العالم أمام هذه المآسي الكبرى^(٢):

مَا جِئْتُ أَسْأَلُ عَنْكَ الصَّمْتَ غَلَفْنَا	فَلَمْ نُطِقْ بَعْدَهُ أَنْ نَبْلُغَ الْأَرْبَا
بَلْ جِئْتُ أَسْأَلُ إِحْسَاساً بِمُحْرَكُنِي	إِلَيْكَ أَسْأَلُ جَرْحاً صَارَ مَلْتَسِهَا

(١) المرجع نفسه: ٣٩.

(٢) ديوان الانتفاضة جمع وتقدم: أحمد موسى الخطيب: ٣٩.

بل جئتُ أسأل طفلاً كان مكتئباً
 وظل في زحمة الأحداث مكتئباً
 وجئتُ أسأل أيتاماً حناجرهم
 بُحَّت وما وجدت أمّاً لهم وأباً
 تلفتوا ورياح الظلم عاصفة
 والهاربون استلذّوا الخوف والهرباً
 وأنصتوا فإذا الغربان تنشدّهم

ويتابع العشماوي حديثه عن الدوافع، ثم يعلن ابتهاجه بالانتفاضة، ويشيد بالحجارة سلاحاً في هذه المعركة. يقول^(١):

تأملوا في روايتهم فما وجدوا
 وكبروا فإذا الآفاق تمنحهم
 خاضوا معاركهم والهاربون على
 قد جئتُ أسأل أطفال الإباء رموا
 هذي انتفاضتهم شبت مواقعها
 إلا الحصى أصبحت من حولهم لها
 آذانها وترى من أمرهم عجباً
 أرائك الصمت يستفتون من ذهباً
 عدوهم وأحالوا صمته صخباً
 فكيف نمنع عنها الزيت والخطباً

إنه يشيد بأولئك الأبطال الذين جعلوا الحصى سلاحهم فكانت كاللهب يلقى على العدو الغاصب فحوّلوا أمنه خوفاً وحياته جحيماً. ويدعو الشاعر الأمة إلى مناصرة الشعب الثائر ودعّمه ليظل موقد ثورته مشتعلًا، وتستمر انتفاضته حتى تعود الأرض حرة.

(١) المرجع نفسه: ٤٠-٤١.

والقصيدة الثانية في هذا الديوان هي للشاعر محمد أمين أبي بكر^(١)، وقد أسماها: ((حجارة وجحيم)) والتقى مع الشعراء السابقين في استهلال القصيدة بذكر دوافع الانتفاضة فظلام القهر والعسف الذي يعيش فيه أبناء الأرض المحتلة هو الذي يعث هذه الثورة الجهادية. يقول^(٢):

في ظلامِ القهرِ في عصرِ الجمودِ أنجبَ التاريخُ أعلامَ الأسودِ
في زمانِ العُقمِ في ليلٍ تمطّى فوق صدرِ اليُتمِ والشعبِ الشريدِ
أنبتتْ أصقاعُنا زهرَ الأمانِ يوقظُ الأجيالَ من ذلِ الرقودِ
ثم يعلن عن انبثاق الثورة بركان انتقام من الباغين، وصمود شعب يأبى الذل، ويستطيب الجراح في سبيل العزة. ويصف الشاعر أثر الثورة في العدو الجبان وكيف تحولت حياته جحيماً من لظى الأحجار. وأشرقت الانتفاضة في ليل الأسى مجددة الآمال واستحالت الأرض المجذبة القفر إلى روض ورود بديعة، فيقول^(٣):

فجروا الأحجارَ بركانَ انتقامٍ روّعَ الباغين في ساحِ الصمودِ
واستطابوا الجرحَ في يومِ عصيبٍ دمعُه نارٌ على كلِ الخدودِ
في حمىِ الأقصى ومسرَى مصطفانا جندلَ الأشبالُ أعداءَ الوجودِ
أشرقوا شمساً على داجي أسانا واستماتوا خلف أسوارِ الحدودِ
في ظلالِ الرعبِ ها هم قد أحالوا كلَّ قفرٍ مجذبٍ روضَ السورودِ

(١) محمد أمين أبو بكر: ولد في دمشق عام ١٩٥٠م، ودرس فيها ثم نال الشهادة الجامعية من بيروت، وعمل مدرساً في سورية ثم في السعودية وما يزال، نشر عدداً من القصائد في المجلات العربية. انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٣٧١.

(٢) ديوان الانتفاضة: ٥٦.

(٣) المرجع نفسه: ٥٦-٥٧.

ويصور أثر الانتفاضة في مدن فلسطين وبساتينها. فيقول^(١):

فانتشت حيفا وصاغت حول يافا برتقالات الهوى عذبَ النشيدِ
واستهامت فوق هاتيك الروابي وشوشاتُ الغصنِ والطلعِ النضيدِ
بالحكَايات التي فاضت إباءً من شذا الليمونِ أو حبِّ الحصيدِ

إنه يرسم لوحة جميلة متفائلة، تصور حيفا وقد انتشت نواحيها، ويافا وقد صدح برتقالها بالنشيد العذب. وكل ما فيها مغرد جذلان.

ويعلم الشاعر في ختام القصيدة استمرار صمود أبطال الانتفاضة فكل طفل سوف يبقى قلعة تقاوم العدوان، وسيبقى المسلم الحر وقياً لربوع الأرض المباركة حتى يحقق الله على يديه النصر الأكيد^(٢):

كلُّ طفلٍ سوف يبقى في بلادي قلعةٌ تحمي بطولاتِ الجُدودِ
أيها الأقصى سنبقى أوفياءُ للروابي الحضرِ والسيفِ النجيدِ
سوف نبقى لا نهابُ النارَ في سا ح الوغى مهما أعدّوا من حشودِ
سوف تأتي بعد أيامٍ غضابٍ من لهيبِ الحربِ بالنصرِ الأكيدِ

أما ((ملف الانتفاضة)) فهو كتاب ثالث أفرد للحديث عن الانتفاضة. إلا أنه اختلف عن سابقه بكونه كتاباً تاريخياً في معظمه، وفي نهايته أورد المؤلف: راجي نصر الله، بعض القصائد التي قيلت في الانتفاضة، ومنه أختار قصيدتين:

(١) ديوان الانتفاضة: ٥٧.

(٢) المرجع نفسه: ٨٨.

الأولى: للشاعر الفلسطيني محمود مفلح، والتي أسماها: ((طفل العقيدة)) واستهلها بقوله^(١):

هذا هو الردُّ لا شعراً ولا خطباً	وإنما ثورةٌ في الأرض تلتهبُ
نمداً أجسادنا للشمس نزرعها	على الصخور فيجري الماء والعشبُ
لقد تألق في آفاقنا حجرٌ	حتى رأيتُ إليه الغار يتسبُ
هذا هو الردُّ من بعد الجفافِ ففي	تلك الأكف الدوامي ينضجُ العنبُ
شعب يرتل في أحجاره سوراً	ورحمة الله فوق الجرح تنسكبُ

لقد غمرت الفرحة حنايا نفس شاعرنا، فنجده يرى في هذه الثورة المباركة رداً حاسماً على طغيان اليهود، إن أجساد الأبطال لم تعد قباب شيتاً؛ فهم يواجهون العدو بحجارهم وصدورهم مفتوحة للرصاص. وهو يرى في تألق الحجر نماءً وزرعاً يوشك أن يثمر النصر، وآيات النصر ترتل من خلال هذه الحجارة.

وينوه شاعرنا بهذه الانتفاضة الباسلة فيقول^(٢):

شعبٌ يفجرُ تاريخاً وأوسمةً	ومن خيام المآسي تطلع الشهبُ
من المساجد صاغ الصيِّد لحنهم	ومن منابرها السماء قد وثبوا
طفلُ الحجارة بل طفلُ العقيدة في	مساقط النار لا خوف ولا رهَبُ
مشرعُ الصدر والإجرام منطلقُ	رصاصه ودمُ الإجرام منسكبُ
هذا هو الردُّ لا لاء ولا نعم	ولا صراخ ولا لوم ولا عتبُ

(١) ملف الانتفاضة: ٣٧٥.

(٢) المرجع نفسه: ٣٧٥-٣٧٦.

ويتابع الشاعر حديثه مبتهجاً ممجداً هذا الشعب الذي شرع يسطر تاريخاً مشرقاً كالشهب تنطلق من خيام البؤس والتشريد الذي يعيشه أبناء الشعب الفلسطيني، ولكنهم مع ذلك كله جعلوا المساجد منطلق ثورتهم، وجعلوا المنابر تحرّض على الصمود، بلا خوف ولا رهبة من جند الباطل. ويعرّض الشاعر في ختام حديثه بواقع الأمة المتخاذل الصامت أمام الأهوال التي يعيشها إخوانهم في الأرض المحتلة مكثفين بإطلاق الشعارات شجياً واستنكاراً.

والقصيدة الثانية من هذا الكتاب للشاعر خالد أبي العمرين^(١) الذي بدأ قصيدته بتوجيه الحديث إلى مدينة القدس مبرزاً مكانتها وقُدسية المسجد الأقصى، ثم تابع حديثه معرباً عن ابتهاجه بالانتفاضة والأطفال الكبار؛ لمحبّتهم لأرضهم المقدسة وغيرتهم عليها. ثم عرج يعرّض بتخاذل المسلمين عن مد يد العون لإخوانهم، والذب عن حياض حرماهم فوصفهم بأنهم أموات لا يرجى منهم غوث. ثم عاد إلى تمجيد الصغار الذين فاقوا الكبار في شجاعتهم وتضحياتهم. إذ قال^(٢):

وأرضي فوقها ملبسُون شبلٍ	وتحت أديمها الشهداءُ ثاروا
وأطفالُ الحجارةِ في بلادي	كبارٌ في محبّتهم كبارُ
بلادي تأكل البلوى حشاها	وينهشُ جيدها ظلماً إيسارُ

(١) خالد أبو العمرين: شاعر فلسطيني من المهاجرين إلى غزة، قضى في سجون اليهود سنتين من ١٩٦٨م إلى ١٩٧٠م، وفي السجن كتب كثيراً من قصائده، ونشرت له قصائد متفرقة في صحف الأرض المحتلة، وعمل مدرساً للغة الإنجليزية في الكويت. (من أمسية شعرية مسجلة بصوت الشاعر نفسه).

(٢) ملف الانتفاضة: ٤٠٥-٤٠٨.

فهل يُرجى من الأموات غوثٌ
وحيفا إذ تناديكم هتفتُم
أفيكم يا شبابَ الجيلِ سعدٌ
على اليرموكِ أعلامٌ تجلتُ
وأسرجنا النجومَ لنا مطايا
شبابَ الجيلِ قولوها تدوي
كفرنا بالدعاوى زائفاتٍ
وهل تروى برارينَا البحارُ؟
لكِ الأسفُ الشديدُ والاعتذارُ
وعكرمة يابعه الكبارُ؟
معامعُ لا يُشقُّ لها غبارُ
إلى العلياءِ رافقنا انتصارُ
فلن يُجدي يمينٌ أو يسارُ
فبالقرآنِ قد وُضِّحَ المسارُ

ومن اللافت للنظر في شعر الانتفاضة أن كثيراً من الدواوين جاءت عناوينها حول الحجر وأبطال الحجارة ومن ذلك ما يلي:

١- ديوان حجارة من سجيل للشاعر عمر بهاء الدين الأميري - رحمه الله - الذي قدم له بمقدمة طويلة عن الانتفاضة وأبطالها. ومن هذا الديوان قصيدة: الأطفال الزلزال^(١):

الله أكبرُ دوتُ
هي الغيوبُ تنادي
فصحة تنامي
والله يهدي ويرعى
وفي فلسطين زحفٌ
تلاحمٌ وامتدادٌ
بأسٌ عنيدٌ وطيدٌ
تزلزلُ الكفاراً
أن الزمانَ استداراً
قد عمّت الأمصاراً
رجالها الأبراراً
يشندُ ليلَ هماراً
فالكلُّ جدٌّ وثاراً
قد وخذ الأعماراً

(١) حجارة من سجيل: ٧٢-٧٣.

إن أشبال الانتفاضة ينطلقون مكبرين، فيوقعون الرعب في قلوب اليهود الذين دار الزمان عليهم بعد ما كان لهم؛ فالصحوة الإسلامية التي تنامي زرعها قد أثمرت هذه الثورة، التي يرعاها الله جلّ شأنه. والمعارك متواصلة عنيفة بين أهل الحق وأدعياء الباطل حتى النصر والظفر بإذن الله.

ويتابع الشاعر وصفه المبتهج بالانتفاضة وأبطالها فيقول^(١):

فرب طفل غريـض	للحق ردّ اعتبارا
صار النساء رجـالاً	قاد الصغار الكبارا
من كل فج عميق	أفـواجهم تبارى
وليس ذاك ((انتفاضاً))	بل الجهاد استطارا
العزم فلّ حديداً	والكف ترمي حجـارا

يمجد الشاعر ذلك الشبل الصغير وبطولته الفريدة، كما يشيد شاعرنا بالنساء اللواتي استطعن بشجاعتهن المشاركة في هذا الجهاد الذي شارك فيه جميع قطاعات الشعب الصامد.

٢- أما الشاعر خالد أبو العمرين فجعل عنوان ديوانه: ((في القدس قد نطق الحجر)) وفي إحدى قصائده يقول^(٢):

والطفل صار مجاهداً في قدسه	تطغى قنابله على كل الكذب
لا تغمضوا أبصارنا بخطابة	ملّت صداها الأذن وامتلات قرب
ولعلنوها للجهاد مسيرة	ونكون نحن لها وأول من وثب

(١) حجارة من سجيل: ٧٢-٧٣.

(٢) في القدس قد نطق الحجر: ٥٧.

لن نرتضي غير التوحيدِ رايةً والدينَ والنصرَ العظيمَ المرتقبُ

هكذا انطلقت قوافي الشاعر مستوحية هذه الثورة الإيمانية، وممجدة إباء هذا الشعب المجاهد؛ فحجارته صارت قنابل تبث الرعب في قلب العدو المحتل. كما حفز شاعرنا إحساس الأمة بالتعريض بالواقع المرير الذي تحياه مقتصرة على الخطب الرنانة في المحافل الدولية؛ فيطلق أحاسيسه ومشاعره المتألمة من هذا الجو القائم مستنهضاً بني قومه لينفروا -تاركين الهوان والخنوع- إلى وحدة جهادية ترتفع فيها راية ((النصر العظيم المرتقب)).

٣- ونسمع النغمة ذاتها عند الشاعر يوسف العظم في ديوانه ((الفتية الأبايل)) فيستلهم حادثة أصحاب الفيل كما استلهمها قبله الشاعر عمر الأميري في ديوانه ((حجارة من سجيل)). والشاعر العظم في القصيدة التالية يصف أبطال الحجارة بالفتية الأبايل ويقدم لقصيدته بإهداء لهم يقول فيه: ((إلى المجاهدين من أبناء القدس وكل فلسطين، والمتوثرين من أبناء العربية والإسلام رمز تحية وتقدير وتباشير عزة وتحرير)) ويستهل القصيدة بقوله^(١):

حجارةُ القدسِ نيرانٌ وسجيلٌ	وفتيةُ القدسِ أطيّارُ أبايلُ
وساحةُ المسجدِ الأقصى تموجُ بهم	ومنطقُ القدسِ آياتٌ وتزيلُ
والشعبُ يزحفُ إيماناً وتضحيةً	ما عاد يوقفُ زحفَ الشعبِ تنكيلُ
وصيحةُ الشعبِ حراً في تدفقه	-من المساجد- تكبيرٌ وتهيلُ
والقدسُ تزدانُ في ساحاتها ارتفعت	بيارقُ الحقِّ تحميها بهاليلُ ^(٢)

(١) الفتية الأبايل: ١٣.

(٢) بهاليل: جمع مملول وهو السيد الجامع لكل خير.

تكلم الحجرُ القدسيُّ فانتفضتْ سواعدُ الصَّيدِ واندكتْ أباطيلُ
وجندُ صهيون قد خابت مطامعُهم ما عاد ينفعُهم سجنٌ وترحيلُ

نسمع في الأبيات صوت الفرحة التي أثلجت صدر شاعرنا وهو يرى الفتية الأبطال يرحمون بالحجارة عدو الله، ويصور القدس وقد عمتها البهجة فرتلت الآيات ابتهاجاً بالانتفاضة. وينوه الشاعر بمشاركة الشعب بجميع قطاعاته في الانتفاضة جهاداً وتضحية، لا يثنيه عن ذلك تنكيل العدو ولا إرهابه.

ويؤكد الشاعر هذه المعاني فيما يأتي من أبيات فيقول^(١):

الطفلُ والشيخُ والأمُّ التي خرجت في كفِّها الموتُ للطغيانِ محمولُ
والقدسُ أرضُ العلا والمجد مذ عرفت يباركُ القدسَ قرآنٌ وإنجيلُ
راحت تحطم قيدَ الذلِّ شامخةً لا ترتضي أن يذلَّ القدسَ تدويلُ
هذي بشائرُ يومِ النصرِ نعلُّها وليس في قولها زيفٌ وتهويلُ
فالنصرُ يمسي قريباً حين نقصدُه والنصرُ حين يُرادُ النصرُ مأمولُ

وهكذا يرى الشاعر في الانتفاضة أملاً بالنصر والعودة إلى رحاب الأرض المباركة.

٤- وفي ديوان الشاعر محمود مفلح ((نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني)) نحس روح التفاؤل والأمل التي غمرت الشاعر؛ من خلال إشاراتة بفتيان قومه الذين جعلوا الحجر سلاحاً لهم، والتكبير شعارهم^(٢):

(١) الفتية الأبايل: ١٤-١٥.

(٢) نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني: ٥٣.

سيروا فإن لكم خيلاً ومضماراً
وقاتلوهم فإن الله قاتلهم
سيروا على بركات الله في زمن
سيروا على بركات الله وانطلقوا
مدّوا إلى الشمس من أجسادكم ألقاً
وذكرونا بأيام لنا سلفت
وأمطروهم مع التكبير أحجاراً
فقد تولّوا على الأدبار فراراً
قد أنبت الصخر ريحاناً ونواراً
وحطموا الوحش أنياباً وأظفاراً
وسافروا في جفاف الأرض أنهاراً
فقد نسينا ((شرحبيلاً وعمّاراً))

إننا نسمع رنة الفرّح عالية في القصيدة، فيبارك الشاعر سير أولئك الأبطال الذين يدافعون عن كرامة الأمة ويقاتلون ألدّ أعدائها؛ فهم النور الذي يبدّد ظلام الواقع المرير، وهم الأنهار التي تغمر الأرض بعد جفافها، وهم أحفاد الصحابة الأفاضل من أمثال شرحبيل بن حسنة وعمار بن ياسر.

٥- وآخر ديوان -بين أيدينا- يحمل اسم الحجر شعار الانتفاضة للشاعر أحمد محمد الصديق بعنوان: ((هكذا يقول الحجر)) ومنه قصيدة ((خطاب إلى جندي صهيوني)). يقول^(١):

منك الرصاصُ ومنّي الصدرُ والحجرُ
إن الأعاصيرَ في جنيّ جامحةٌ
وكل حبة رملٍ في ثرى وطني
علامَ تبعثك الأحقادُ في صلفِ
((الله أكبر)) إذ دوت مجلجلةٌ
في كل مئذنةٍ جيلٌ يرددها
والجرخُ نهرٌ من الأضواء ينهمرُ
يكفيك من عصفها ما تحملُ النذرُ
تكاد من غيظها المكظوم تنفجرُ
وفيك يسكنُ داءُ الجبنِ والخورُ؟
فكلُّ شيءٍ مدى الآفاق منبهرُ
ورايةٌ تتحدى وهي تتشرُّ

(١) هكذا يقول الحجر: ٧٨.

يعرب الشاعر في الأبيات عن تحدّيه السافر لصلف الصهاينة فأبطال الحجارة يواجهون رصاص العدو بصدورهم. ويرى الشاعر في هذا الحجر نذيراً بالحرب القادمة ضد الطغاة اليهود فلقد تأججت كل حبة رمل في الأرض المباركة من هول ما يجري فوقها من عسف وظلم من اليهود الجبناء، الذين كُشفت طبائع الخور والخوف فيهم أمام حجارة الأبطال الصغار. ويعلن الشاعر - في عزّة وتفاؤل - أن الجيل الذي رفع شعار ((الله أكبر)) وانطلق من المساجد سيكون له الظفر بإذن الله.

ويؤكد الشاعر هذه المعاني مشيداً بالشعار الذي حملته الانتفاضة، وممجداً النساء اللواتي شاركن في الانتفاضة في قوة وشجاعة؛ فيرى كل من شارك شموساً يفوق ضوؤها ضوء الشمس والقمر؛ فلقد جادوا بأرواحهم مجاهدين في سبيل الله^(١):

((الله أكبر)) يا دنيا براعمنا	تفتحت فهي في أكمامها شررٌ
والمحصنات بما في النار من حُممٍ	خضن الغمار وهن الطهر والخفر
وكلّ ليثٍ هصورٍ في سلاسله	إذا تملّل بالأهوال تنكسر
على مشارف هذا العصر قد وقفوا	شمساً بما يستضيء الشمس والقمر
جادوا بما ملكوا حباً وتضحية	فأخصب الجني لما أخصب المطر

وبالإضافة إلى ما سبق فإن هناك دواوين أخرى احتفت بالانتفاضة المباركة وأكتفي بالإشارة إليها:

- ((شموخ في زمن الانكسار)) للشاعر عبد الرحمن العشماوي.

(١) هكنا يقول المحر: ٨٠.

- ((قلبي بين يديك)) للشاعر خالد الحلبي^(١).
- ((شموخاً أيتها المآذن)) للشاعر محمود مفلح.
- ((القدس في العيون)) للشاعر كمال رشيد.
- ((غريب الديار)) للشاعر عبد الرحمن بارود^(٢).
- ((لواعج)) للشاعر عبد الرحمن زيد السويداء^(٣).
- ملحمة الأقصى للشاعر عدنان النحوي.

تلك الإمامة يسيرة عن رد فعل الانتفاضة في الشعر الإسلامي أشرت فيها إلى غيظ من فيض مما قيل ابتهاجاً بهذه الثورة الإسلامية، فقد كانت هذه المرحلة أقوى وأثرى في حصادها الشعري من المرحلة السابقة (١٩٦٧م-١٩٨٧م)

(١) خالد سعود الحلبي: ولد في الأحساء في السعودية سنة ١٣٨٣هـ، حصل على الشهادة الجامعية في اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود، وحصل على الماجستير في الأدب العربي، له ديوان شعر مطبوع، انظر ديوان الشاعر قلبي بين يديك: ١٨٣.

(٢) عبد الرحمن بارود: ولد في بيت دارس بفلسطين عام ١٩٣٧م، ودرس فيها، ثم هاجر مع أهله عام ١٩٤٨م إلى غزة، وأتم دراسته هناك، وبعدها التحق بجامعة القاهرة حتى نال الشهادة الجامعية وتابع دراسته حتى حصل على الدكتوراه، ويعمل الآن أستاذاً بجامعة الملك عبد العزيز في جدة، له دراسات أدبية عديدة، وديوان مطبوع. انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ١٢٢.

(٣) عبد الرحمن بن زيد السويداء: ولد ببلدة المستحدة جنوب حائل في السعودية عام ١٣٥٨هـ، تلقى تعليمه الأول في بلدته ثم حصل على الشهادة الجامعية تخصص تاريخ في جامعة الملك سعود بالرياض، له عدة مؤلفات أدبية وديوان شعري. انظر الاتجاه الإسلامي بالشعر السعودي الحديث: ١٠٦-١٠٧.

وذلك أمر طبعي في ظل النشوة التي هزت النفوس، وأعادت إليها الثقة وجددت فيها الأمل.

ومن الواضح أن معظم الشعراء الذين تحدثوا في هذه المناسبة قد اجتمعوا على عدة معانٍ من أبرزها: تعبيرهم عن مدى الفرحة التي أثلجت صدورهم، وإبراز الدوافع التي فجرت الانتفاضة، والدعوة إلى مناصرة الشعب المجاهد، والاحتجاج على واقع الأمة، واستنكار الخنوع والتخاذل المقيت الذي أصبحت الأمة لا تنفك عن إلفه، فأطلق الشعراء مشاعرهم مستهضين بني قومهم إلى وحدة جهادية تُرفع فيها راية النصر بإذن الله.

المبحث الثاني

رثاء الشهداء وتهوين الموت في سبيل العقيدة

((إن الشهادة مرتبة من أعلى المراتب في هذا الدين، ولا يحوزها ويحرزها إلا من كان أهلاً لها، والله -عز وجل وحده- الذي يعلم أي الناس أحق بها من غيرهم فيختارهم لذلك))^(١).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١٦٩) فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿١٧٠﴾ [آل عمران: ١٦٩/٣ - ١٧٠].

تكشف الآيات عن مصير الشهداء، الذين قتلوا في سبيل الله، فهم أحياء عند ربهم؛ لهم خصائص الأحياء؛ فهم ﴿يُرْزَقُونَ﴾، وهم ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾، وهم ﴿يستبشرون﴾ بمصائر من وراءهم من المؤمنين، وهم موصولون بالأحداث فوق ما نالهم من فضل الله، وفوق ما لقوا عنده من الرزق والمكانة^(٢).

((فما هي رزية إذن ولا خسارة أن يستشهد في سبيل الله من يستشهد، إنما هو اختيار وانتقاء وتكريم واختصاص))^(٣).

(١) شهداء فلسطين: ١٢.

(٢) انظر في ظلال القرآن: ٥١٦/١.

(٣) المرجع السابق ٤٨١/١.

((ثم هم شهداء يتخذهم الله ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به الناس، يستشهدهم فيؤدون الشهادة، يؤدونها أداءً لا شبهة فيه، ولا مطعن عليه، ولا جدال حوله، يؤدونها بجهادهم حتى الموت في سبيل إحقاق هذا الحق وتقريره في دنيا الناس))^(١). فما أسعد الشهيد بهذا الجزاء الأوفى في الآخرة!

وقد انبرى الشعراء لهذا الموضوع؛ لزرع حب الشهادة في النفوس، والتأكيد على قيمة الشهيد ومثلته عند الله.

فها هو ذا الشاعر كمال رشيد يرثي الشهداء في قصائد كاملة. ومن ذلك قصيدته ((الشعر للشهيد)) يقول^(٢):

كُلُّ الْقَصَائِدِ لِلشَّهِيدِ	لِلْبَاسِ لِلْعِزِّ الشَّدِيدِ
لِلْحَقِّ لِلْإِخْلَاصِ لِلْ—	إِمَانٍ لِلنَّصْرِ الْأَكِيدِ
هُوَ هَكَذَا إِنْ رَامَ أَمَ—	رَأً لَا يَلِينُ وَلَا يَحِيدُ
يَمْضِي لَهُ وَالنُّورُ فِي	جَنِيهِ يَقْتَحِمُ الْبَعِيدُ
هُوَ لَا يِيَّالِي إِنْ يَكُنْ	مَوْتُ فَفِي مَوْتٍ خُلُودُ
مَتَجَرِّدٌ مِنْ كُلِّ أَطْ—	سَاعِ الدُّنْيَا لَا يَسْتَزِيدُ
وَهُوَ الَّذِي يَسْعَى إِلَى الـ	جَلَى وَيَمْعَنُ فِي الصُّعُودِ
هُوَ يَعْرِفُ الْأَطْمَاعَ وَالـ	أَوْجَاعَ مَا خَصَمِي يَكِيدُ
رَفَضَ الْقَعُودَ عَلَى الْهَوَا	نِ وَذَمَّ أَخْلَاقَ الْعَبِيدِ

(١) في ظلال القرآن: ٤٨١/١.

(٢) القدس في العيون: ٥٦.

يشيد الشاعر ببطولة الشهيد وعزمه وإيمانه بالحق الذي من أجله أرخص مهجته، وهو مؤمن بالحياة وبالهدف من وجود الإنسان المسلم؛ فبذل حياته في سبيل الكرامة الإسلامية، فكُتب له الخلود.

ثم يُجري الشاعر الحديث على لسان الشهيد مخاطباً أمه معرباً لها عن تيرمه بحياة الذل والمهانة؛ فلم يعد عيده فرحاً كعيد الناس يلبس فيه الجديد، ولا حبه لأرضه غناءً ونشيداً، وإنما بتخليصها من رجس اليهود. ثم يقرر الشهيد أن الأجيال الجديدة لابد أن تتعلم معنى العزة والصمود، وتضع الحرية نصب أعينها، وتبذل في سبيل ذلك أرواحها لتفوز بإحدى الحسينين: النصر أو الجنة وهي تشاق نفسه إليها^(١):

يا أمُّ ما عيدي كعيـ	يدِ النَّاسِ بالثوبِ الجديدِ
يا أمُّ ما حيي لأر	ضي بالغناءِ والنشيدِ
لكن بتحريرِ البـ	دِ من الأفاعي من يهودِ
لابد أن يتعلمَ البـ	أطفالُ ما معنى الصمودِ
لابد أن نجتثَّ شـ	راتِ العُبور على الحدودِ
إما مغالبةُ العدـ	والعيشُ في الوطن السعيدِ
أو أن تكونَ لنا الشـ	دةُ وهي أغلى ما نريدُ

وفي قصيدة ((شهداء عَنَبَتَا)) للشاعر نفسه، يرثي شهداءها بعد أن قدم لقصيدته بقوله: ((عَنَبَتَا: مدينة صغيرة، داهمها المستوطنون اليهود أكثر من مرة، وكان لها بطولات وشهداء)).

(١) القدس في العيون: ٥٦.

ثم قال^(١):

من ترابِ المجدِ من أرضِ عَنَبَتَا يا شهيدَ الحقِّ والصدقِ طلعتَا
جُدتَ بالروحِ ولم تبخلْ بها ومع الصفوةِ في البأسِ وقفتَا
ورميتَ السهمَ في وجهِ العِدا مثلما ترجمُ شيطاناً رميتَا
مثلما النيزك في ليلِ الدجى يلعن الظلمةَ والوهمَ نزلتَا

يعلي الشاعر من شأن الشهيد سليل الماجدين، الذي بذل نفسه رخيصة في سبيل الله، وقاتل الأعداء في جرأة وشجاعة، فكان النيزك الوهاج في ليل الدجى مبدداً ظلام الخوف والوهم والخنوع.

ويسترسل الشاعر في تمجيد هذا البطل فيراه رضيع المجد وأكرم الناس. ويصف أم الشهيد بأنها كالخنساء التي وهبت بنيتها الأربعة شهداء في سبيل الله، ومن يبلغ هذه المكانة والعزة والمجد غير أم الشهيد؟ فهذه البطولة هي ما تؤمله في ابنها الشجاع الذي رفع رأسها عالياً وأعلى قدرها بين الناس^(٢):

يا رضيعَ المجدِ، يا عينَ الرضا أكرم الناس لدى الناسِ غدوتا
أمك الخنساءُ من يلُعُها عزةً مجداً وإيماناً وسمتَا
ربما كانت ترجي أن ترى في بنيتها فارساً شهماً فكتتا
فرفعتَ الرأسَ منها عالياً وجعلتَ النجمَ للخنساءِ بيتا

وفي المقطع الأخير من القصيدة، يبين الشاعر تعلق نفس هذا البطل بالشهادة وسعيه إليها؛ لينال جنان الخلد، فسعى إليها في طريق شائك وعر، وسكب دمه

(١) القلس في العيون: ٥٧.

(٢) القلس في العيون: ٥٧.

الطاهر فكان قيساً من نور يرشد من بعده إلى طريق النصر. وإذا كانت القدس هي القنديل، فهو الزيت الطاهر الذي يوقد ذلك القنديل^(١):

يا حبيبَ الله قد نلتَ الذي	كنتَ ترجو وجنانَ الخلدِ نلتا
رُدتَ دربَ النصرِ وعراً شائكاً	دمك الطاهرُ في الأرضِ سكبتا
أنتَ فينا قيسٌ يرشدنا	وإذا اخترنا مثلاً كنتَ أتنا
وإذا القدسُ غدتْ قنديلاً	فلقد أصبحتَ للقنديلِ زيتا

((أم الشهيد)) قصيدة ثالثة للشاعر نفسه، يُطمئن فيها أم الشهيد إلى مثنوى ابنها في جنة الخلد. فيقول^(٢):

اطمئني أمَّ الشهيدِ اطمئني	هو في الخلدِ في جنائنِ عدنِ
نالها مخلصاً بفعلٍ عظيمٍ	لم ينلها بالقولِ أو بالتمني

وبعد هذا المطلع الحافل بالوجدان الشعري، يقدم الشاعر صورة مشرقة للشهيد وبطولته الرائعة حين جاد بروحه وهي أنفس ما يملكه الإنسان، وكانت الشهادة أمنيته ورجاءه من ربه جلّ وعلا. ويجري الشاعر على لسان الشهيد حمداً لله وشكره على حسن خاتمته في هذه الفانية^(٣):

جاد بالنفسِ إذ تعزُّ نفوسٌ	وهو أمرٌ وعزٌّ على النفسِ مضني
قال ربي على العدوِّ أعني	وإلى مدرجِ الشهادةِ خذني
أنتَ ربُّ الوجودِ فيك مآلي	أنتَ ربُّ الآجالِ تُحيي وتُفني

(١) القدس في العيون: ٥٧.

(٢) المرجع السابق: ٥٨.

(٣) القدس في العيون: ٥٨.

ولك الحمدُ إن أطلتَ بقائي ولك الحمدُ إن ختمتَ بحسنِ
ويصور فداء هذا الشهيد وجهاده للعدو، حتى سقط مضرجاً بالدماء
الطهور. فيقول^(١):

نال من خصمه وحقَّق سُؤلاً ورأى الموتَ مقبلاً رأيَ عينِ
مات فوق الثرى الطهورِ شهيداً وروى الأرضَ بالنَّجيعِ كمزِنِ
وفي نهاية المطاف ختم الشاعر قصيدته بالحديث الموجه إلى أمّ الشهيد التي
حقَّ لها أن تفخر بابنها البطل، وتحتفل به؛ فلسان السماء والأرض تلهج بالثناء
عليها. يقول^(٢):

إيه أمّ الشهيد يا خصبَ أرضي لا تقولي مضى وودع إبني^(٣)
أنتِ أمّ الرجالِ أمّ الأمانِ وعليك السماءُ والأرضُ تثنِي
فاجعلي ليلةَ الشهيدِ احتفالاً مهرجاناً، وليس ليلةَ حزنِ

ويفرد الشاعر يوسف العظم قصيدة لشهداء ثلاثة، انضموا إلى قافلة شهداء
الانتفاضة؛ فأهدى قصيدته لهم قائلاً: ((إلى الذين روّوا بدمائهم الطاهرة أرض
مدينة ((ليماسول)) -بجزيرة قبرص- وهم في طريقهم لضرب مواقع العدو
الغاصب على أرض فلسطين. إلى الشهداء الأبرار: قاسم محمد ومحمد باسم
التميمي ومروان الكيالي))^(٤).

(١) القلس في العيون: ٥٨.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

(٣) جعل همزة (ابن) همزة قطع لضرورة الوزن.

(٤) الفتية الأبايل: ٤٣.

وبدأ قصيدته راوياً قصة أولئك الثلاثة الأحرار قائلاً^(١):

ثلاثة فرسان تباروا إلى العلا	وكل يغذ السير نحو مصيره
مضى (قاسم) في موكب الحق ظافراً	أميراً إذا باهى اللوا بأمره
وثانيهم يلقي الردى وهو ((باسم))	له من جبين الفجر طلعة نوره
وثالثهم ((مروان)) لله دره	يردد ساحُ المجد رجع زئيره

يسترجع الشاعر صور الشهداء الثلاثة ويصفهم بالفرسان المتسابقين إلى العلا، إلى ساح الجهاد والاستشهاد. ((فقاسم)) أمير موكب الحق الظافر، و((باسم)) يلقي الردى وهو جذلان يعلو محياه نور كنور الفجر، و((مروان)) ينقض على الأعداء كالأسد المصور.

وبعد هذه الصور الثلاث لأولئك الشهداء يقرر الشاعر أن مآلهم - بإذن الله - إلى جنان الخلد، حيث الحور الحسان تنتظرهم ضيوفاً كراماً في حياة طيبة خالدة^(٢):

وكل بإذن الله مأواه جنة	شهيدُ العلا قد زُفَّ فوق سريرهِ
أحاطت به الحورُ الحسانُ كرامةً	فأقبلَ ضيفُ الخلد يزهو بحوره
ففازوا بجنات وطابت حياتهم	كما طابَ في الفردوسِ صفوُ غديره

ويسترسل الشاعر في حديثه العذب عن أولئك الشهداء موضحاً صفاتهم وسيرتهم في حياتهم^(٣):

(١) الفتية الأبايل: ٤٥.

(٢) المزعج والصفحة نفسها.

(٣) المرجع نفسه.

سلاحهم الإيمان والعلم والنهي
 لكل مقام عندهم خير منطق
 فللمدفع الرشاش صوت وموقف
 وصيَّتهم عند الرحيل وعيَّتها
 إذا الشعب لم يجمع على الدين رأيه
 إذا تاه أفاقٌ بزيْف قشوره
 وكلُّ مقالٍ فيه رأي خبيره
 وللقلم المعطاء عذبٌ صريره
 وقد ألهمت في القلب صدق شعوره
 تولى ((غرابُ البين)) كلُّ أموره

لقد كان الإيمان والعلم والعقل الراجح سلاحاً في معركتهم الجهادية، كما كان منطقهم فصيحاً بليغاً لأنه مدعم بالفعل والبذل والفداء وحمل السلاح جنباً إلى جنب مع القلم المحرّض المجاهد. ويجري شاعرنا على لسان الشهداء وصية خالدة إلى الأمة بأن الشؤم والهلاك سيرافقها ما لم تتمسك بعري الدين القويم وتزد عن حياض مقدساتها.

ويختتم الشاعر قصيدته بتعريض ساخر بالمتنعمين بطيب العيش والمتمرغين في أوحال الوهم، في حين يروم الفرسان الأحرار الشهادة والعزة بعد مجاهدة الظلم والطغيان في سبيل إعلاء كلمة الله فيقول^(١):

إذا المارقُ المغرورُ عاش منعماً
 وداعب في الأوهام طيشَ غروره
 فللفارسِ المغوارِ عزٌّ وجنةٌ
 وللظلمِ والطغيانِ لفحٌ سعيه

أما الشاعر أحمد محمد الصديق في قصيدته: ((أين من يسمع؟)) فقد أشاد بأبطال الحجارة الذي أرخصوا أرواحهم في سبيل حرية أرضهم المقدسة. فقال^(١):

(١) الفتية الأبايل: ٤٧.

أسرابٌ طيرٍ تفتدي عشَّها كالأسدٍ في الغاباتِ بل أروغُ
أكرمَ بهم أكرمَ بنبت الحمى كم أذهلوا الدنيا وكم أبدعوا
باعوا لربَّ العرشِ أرواحهم وهم بغير الحقِّ لم يضدَّعوا
من مسجدٍ هبَّوا إلى مسجدٍ نعم الرجالُ السُّجَّدُ الرُّكْعُ
صدورهم درعٌ لأوطانهم كم من شهيدٍ طاهرٍ شيعوا
جراحه تفوح مسكاً وفي جبينه نضارةٌ تلمعُ

يعبّر الشاعر عن شجاعة أبطال الحجارة تعبيراً يوحى بالشعور العميق بالحب والإعجاب والتقدير فتنبثق المعاني من قريحته تصف الأبطال بأنهم سرب من الطيور الجارحة تفتدي عشَّها بكل قواها، كما يشبههم بالأسد في الغابات تحمي عرينها.

فلقد أذهلوا الدنيا بجرأتهم وشجاعتهم حين باعوا أرواحهم لله، منطلقين من المساجد التي ألفتهم سُجَّداً رُكَّعاً، وإن صدورهم هي الدرع الذي يحمي وطنهم، ودماء شهدائهم تفوح مسكاً مصداقاً لقول رسول الله ﷺ^(١): فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال: ((والذي نفسي بيده لا يُكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك)).

والشاعر نفسه في قصيدة أخرى يؤكد هذه المعاني على لسان شهيد يوجه حديثه إلى جندي صهيوني إذ يقول^(٢):

(١) هكذا يقول الحجر: ٤٨.

(٢) صحيح البخاري: ٤١٢/٤ (٢٨٠٣).

(٣) هكذا يقول الحجر: ٧٨.

منك الرصاصُ ومني الصدرُ والحجرُ والجرحُ نهرٌ من الأضواءِ ينهمرُ
 إن الأعاصيرَ في جنيٍّ جامحةٌ يكفيك من عصفها ما تحملُ النذرُ
 علامَ تبعثك الأحقادُ في صلفٍ وفيك يسكنُ داءُ الجبنِ والخورُ
 منك الرصاصُ ومني الوجهُ محتضبٌ كالأفقِ بالشفقِ الورديِّ يأتزرُ
 دمُ الشهيدِ صداقُ الحورِ يدفعه لله وهو إلى الفردوسِ يتدرُ

إن هذا البطل يتحدى العدو في جرأة وشجاعة غير مكترث برصاصه
 وأسلحته، لأن هذا البطل إنما يضع روحه على كفه في جهاده لأعداء الدين، قدم
 الشهيد هو مهر الحور العين في جنات الفردوس.

ويمجد الشاعر عدنان النحوي شهيد الانتفاضة بعد أن أعرب - في بداية
 قصيدته - عن ابتهاجه بالطفل الثائر، ثم يقول^(١):

والسروابي تلفتت لتراه شعلةً في الدجى وقلباً يجودُ
 نفخته كلُّ الزهورِ شذاها وحبته أزكى العطورِ الورودُ
 فإذا بالدماءِ نفحةٌ مسكٍ فوحتْ عندها رباً ونجودُ
 فتمنت كلُّ الزهورِ شذاها وتمتته كاعبٍ وخروُدُ
 أروعُ العطرِ ما تجودُ به الرو ح وتعطيه مهجةٌ ووريدُ
 وإذا بالربا دويٌّ ينادي والليالي صدى هناك بعيدُ
 أنا عطري من الدماءِ الغوالي كلُّ شبرٍ ثوى عليه شهيدُ

إن شاعرنا يعلي من شأن هذا الشهيد الذي جاد بنفسه فكان شعلة وضاءة

(١) ملحمة الأقصى: ١٤٤-١٤٥.

في ظلمة العسف والجور، فجرى دمه الطهور على ثرى أرضه مسكاً يعطر الربا،
فأروع عطر هو دم الشهيد الذي بذل مهجته في سبيل كرامة أرضه.

ثم يتابع الشاعر حديثه عن الشهيد الذي رمز به لكل فدائي غدت بسالته جزءاً
من بسالة شعبه؛ فيصور قطرة دمه الزكي وهي تروي ملاحم التاريخ المجيد على هذه
الأرض الطاهرة. ثم يعلن الشهيد أنه من أمة ماجدة بناها الرسول -عليه الصلاة
والسلام- وما أوحى إليه ربه جلّ وعلا، كما أعلن عن مراميه وأهدافه، إنه أرخص
دمه في سبيل إعلاء كلمة الله وتضحية في سبيل كرامة الإسلام وعزته فكان مآله إلى
الجنان. وهو رمز لكرامة الإنسان المسلم الحرّ الوفيّ لدينه وأمته. إذ يقول^(١):

وسرت قطرةً من الدم تروي	حيثُ تسري ملاحماً وتعيدُ
كلُّ ما في الربا أصاخ وأصغى	عجباً والورى أصمٌ عنيدُ
أنا من أمة بناها رسولُ الله	به والوحي والكتابُ المجيدُ
أنا لله قد سكبتُ دمائي	ولربّي تضرّعي وسجودي
عبق الطهر في دمي وحياتي	نفحةُ الخير والعطاء الفريدُ
أنا عطري من الجنانِ ونفحي	صبّه الشوقُ منه والتوحيدُ
أنا معنى الإنسانِ جوهره الحرّ	وعزمٌ على الوفاء أكيدُ

وفي قصيدة ((قيود)) للشاعر عبد الرحمن بارود، نجد الشهيد ((رمزاً للبطولة
الحقة والتفاني المطلق في سبيل الوصول إلى إرضاء الله وإلى إعادة الحياة
الإسلامية))^(٢). إذ يقول^(٣):

(١) ملحمة الأقصى: ١٤٥.

(٢) مجلة المشكاة: عدد ١٠ - السنة الثالثة - ١٤٠٩هـ - ص ٥.

(٣) غريب الديار: ٩٨-٩٩.

وفرساننا كنجوم السماء وأكفأنا البيض فوق البنود
رد الموت تملك عنان الحياة شهيداً وتعق رقاب العبيد
أعداء (الله أكبر) موتوا ف (الله أكبر) لحن الخلود
وما الأرض؟ إني أرى الأرض أضـ غر من قطرة من دماء الشهيد

يعلي الشاعر في الأبيات من شأن المجاهدين المتعطشين إلى ذرى الشهادة. فالشهيد يتحدى أعداءه بصيحة ((الله أكبر)) التي تنطلق مع كل حجر، وتسدد رمي كل قذيفة بإذن الله. ثم يقرر الشاعر أن قطرة الدم هي التي تُراق في ميدان الجهاد لهي أكبر من آفاق الأرض الممتدة.

وها هو ذا الشاعر محمود مفلح في ديوانه ((نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني)) ينظم قصيدته بمناسبة مرور عامين على الانتفاضة الباسلة، ونجده يحيي الشهيد ويمجد الشهادة في قوله^(١):

عاد الزمان الفدُ يا وطني وعلا صهيلُ المجدِ يا عمرُ
أرضُ الشهادة كيف تنكرها والمسكُ في أرجائها مطرُ
أرضُ القناديل التي سطعتُ في ليلنا والليلُ معتكرُ
أرضُ الحجارة غردي فأننا في مسمعي التغريدُ ينهمرُ

يستلهم الشاعر صفحات التاريخ الذهبية التي ضمت أخبار الفتوح الإسلامية لأرض الشهداء، فها قد أورت الانتفاضة زناد الثورة والغيرة من جديد، فانتشر عبير المسك في أرجاء الأرض المباركة، أرض القناديل التي بددت ظلام الاستسلام وأرض الحجارة التي باتت تنشد لحون الأمل المرتقب.

(١) نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني: ١٧.

ثم يوجه الشاعر حديثه إلى الشهيد ((الماضي إلى دمه)) البطل الذي يسقي الأرض بدمه الطهور فيورق شجر العزيمة في نفوس الثائرين. إن أسطورة ((العدو الذي لا يقهر)) تبددت أمام انتفاضة الشعب المجاهد. فقد علّم هذا الشهيد الأمة لغة النصر والظفر، وطريق الخلاص. وخطّ بدمائه فصول الملاحم، في حين تخاذلت الأمة عن نصرته، فيا له من قمر ساطع في ليل الهزيمة والتخاذل!^(١):

يسقي العطاش فيورق الشجرُ	يا أيها الماضي إلى دمه
وأنت على أجدادهم سقرُ	أسقطت ألف خرافة لهم
كل الغصون فيسقط الثمرُ	علمتنا لغة قزبنا
والجاهلية كيف تتحررُ	وأريتنا كيف الظلام هوى
وسواك ما قالوا ولا سطورا	وكتبت فصلاً في ملاحمنا
يا أنت ما أحلاك يا قمرُ!	لولاك لم يحفل بنا قمرُ

وللشاعر محمد منير الجنباز^(٢) مساهمة في هذا المجال في قصيدته ((شبل الحجارة)). إذ يقول^(٣):

عرساً لطفل شهيد وجهه القمرُ	في كل يوم مرّ الشهور نرى
يتابعون مسيراً خطّه القدرُ	يمضي فيأتي على إثر صحابته

(١) نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني: ١٧-١٨.

(٢) محمد منير الجنباز: ولد في حماة في سورية عام ١٩٤٣م حصل على الشهادة الجامعية في الجغرافيا ودبلوم التأهيل التربوي والماجستير في الإعلام. له ديوان شعري مطبوع: انظر مدرسة بدر وشعراؤها: ٩٠.

(٣) مجلة التوباد- السنة الرابعة، عدد ١٣، ص ٦٠.

وأرضنا قد بدت عطشى تريد دماً
توثب الطفل كالبركان مندفعاً
يرمي الحجارة لا يخشى حديد لظى
سعى إلى الموت ليس اليأس يدفعه
أرى الخيوط لفجر قام يصنعه
رتل الشهادة يمضي في مواكبه
ومن أراد حياة العز جاد لها
هذا الفداء وهذا الجرح ينفجر
يقدم الروح لاوان ولا حذر
وقد بدا رجلاً ما عاد يحتقر
بل للفداء بقلب ما به خور
جيل الحجارة صبارون ما ضجروا
رغم الجراح بنور الحق يتصر
بالروح والمال بالإقدام يأتزر

يشيد الشاعر باستمرار الانتفاضة وتصاعدها، ففي كل يوم ينضم شهيد بطل إلى قافلة الشهداء. فأرض الجهاد متعطشة إلى الدماء الزكية لترويه من أجل صيانة شرف الأمة الذي هو أغلى من كل نفيس. ويحيي الشاعر شجاعة ذلك الطفل الجسور الذي يُقدم على الموت بلا أدنى خوف. فصارت هذه الثورة أملاً مرتقباً وخيوط فجر قادم. ويؤكد الشاعر أن قافلة الشهادة مستمرة ومتزايدة رغم الممارسات التعسفية من العدو. ثم يورد الشاعر حكمة بليغة مؤداها أن حياة العز لا تتحقق إلا بإرخاص الروح والمال ذوداً عن حياض الحرمات.

وخلاصة القول: إن الشعراء مجّدوا الشهيد في سبيل العقيدة، ورأوا فيه الباحث الصادق عن الخلاص من ظلمات العسف والخنوع والاستسلام، إما بالنصر في الدنيا ورفع كلمة الله في الأرض، وإما بنيل الشهادة والفوز بالجنة في الآخرة وهما الحسنيان، وهذه هي البطولة الحقّة.

هذا، وقد ساير الشعراء خطأ ذلك الشهيد مجاهداً ومغالباً العدو ثم قتيلاً يعطر المسك جراحه، ثم خالداً منعماً في جنان الخلد. ولا مرأ أن في ذلك زرعاً

لحب الشهادة في قلوب المسلمين، وتأكيذاً على قيمة الشهيد ومثّلته عند الله؛
لأنه إنما يجود بأنفس ما عنده، كما قال الشاعر:

يجود بالنفس إذ ضنّ البخيلُ بها والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجودِ

المبحث الثالث

الحل الإسلامي هو الطريق لإنقاذ فلسطين

إذا كانت مرحلة نكبة حزيران ١٩٦٧م قد دفعت الشعراء إلى النظر إلى الآفاق المستقبلية نظرة أمل وتفاؤل -مع أغلال الهزيمة- فإن مرحلة الانتفاضة المباركة ١٩٨٧م كان شعرها أقوى في طرح الحل الإسلامي، متمثلاً في الوحدة الإسلامية والجهاد لإنقاذ فلسطين. فالانتفاضة أحييت الأمل في النفوس وأعادت الثقة والتفاؤل بالغد الظافر. فراح الشعراء يثّون في الأمة روح النقاء والعزيمة والعزة الإسلامية الشماء؛ وقد انعكس ذلك جلياً في شعر الانتفاضة. فإيجابية المؤمن تتمثل في سعيه الدؤوب إلى العمل؛ فالعمل هو الترجمة الواقعية للإيمان. فليس الأمر مجرد مشاعر إنما هو مشاعر تفرغ في حركة لإنشاء واقع وفق التصور الإسلامي للحياة. ومن هنا جاءت أهمية الدعوة إلى الأدب الفياض بالتصور الإسلامي والبعد بآفاق الأدب عن دروب السلبية وكهوف التشاؤم^(١).

وشارك في تلك الدعوة إلى الجهاد عدد كبير من الشعراء في حمية صادقة وحماسة متدفقة، وقد اخترت منهم تسعة شعراء:

الأول: محمود مفلح في قصيدته ((صرخة))، وقد استهلها بلهجة ساخرة لاذعة موجهة إلى المتخاذلين عن الجهاد في فلسطين، وليس همهم سوى العيش الرغيد.

(١) انظر الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: ٤٠.

وفي المقابل يبرز صورة المجاهدين الأبية. فيقول^(١):

نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام — سلامٍ يا قومٌ فانهضوا وأفيقوا
وابعثوا النارَ في رمادِ الليالي — وأضيؤوا كما تضيءُ البروقُ
أمي أمةُ العقيدةِ يا قوم — وهذا سلاحُها الموثوقُ
حسبها أنها استطالت على الشم — من ومنها الفاروقُ والصادقُ

يقتبس الشاعر مقولة عمر الخالدة: ((نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله)). ويثّ الشاعر في بني قومه روح التوثب والعزيمة؛ ليشعلوا النار التي علاها رماد الخنوع، ويعودوا بروقاً تضيء للعالم طريق الهداية. ويذكر الشاعر بماضي الأمة المجيد مستمداً من شخصيتي الصديق والفاروق رضي الله عنهما إحياءات العزة والمواقف المضيئة في مسيرة التاريخ؛ ليعود بقبس منها إلى الحاضر الأليم لعله من عثرته ينهض ومن لهُوه يفيق^(٢).

٢- أما الشاعر عمر بهاء الدين الأميري فيقدم لقصيدته -في الحث على الجهاد- بقوله: ((ليس الأمر سهلاً ولا قريب المنال، ولكن له موعداً في قرار الأقدار -وهي صاحبة القرار- يدور الفلك نحوه، ويسير بنا إليه؛ ولا بد أن نبلغ القصد ونحقق المجد لأنفسنا وللعالمين بعون من الله العزيز القدير)). ثم يقول^(٣):

النواميسُ في ركابك يا إس — سلامٌ تمضي وتستحثُ الزمانا
سترى أعينُ العصورِ انبلاجاً — من دياجيرنا لنورِ هداانا

(١) شموخاً أيتها المآذن: ٤٠.

(٢) انظر الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: ٩٥.

(٣) حجارة من سجيل: ١٤٤.

وبعد هذه المقدمة المفعمّة بالأمل والثقة بنصر الله، يسترسل الشاعر في نظره المتفائلة^(١):

كان دينُ الإسلامِ مذ كان هدياً	للبرايا ورحمةً وأماناً
وستبقى فينا حوافزه المثلـ	لى ويبقى في أمرنا فرقاناً
سنوالي جهادنا في فلسطينـ	ن نقيم الصلاة في ((أقصانا))
موعداً مبرماً إذا مات عنه	شيخنا القرم فيه ينمو فتاناً
علمُ الكون في غدٍ ونشيدُ الـ	كون طراً وخطناً وخطاناً
ونجاة الوجود في القدرِ المر	صود أمرٌ يحكم القرآناً

ينادي الشاعر بأن البطولات التي انبثقت من هذه الانتفاضة المباركة لتدلل على أن روح أمة الإسلام لا تني تجدد في القلوب الإيمان والعزيمة تستمدّها من القرآن الكريم. ويؤكد الشاعر استمرارية الجهاد في فلسطين حتى التحرير؛ لينعم المسلمون بصلاة آمنة مطمئنة في رحاب الأقصى الشريف. وسيظل ذلك الهدف ماثلاً نصب أعيننا تتوارثه الأجيال علماً ونشيداً وهدفاً سامياً.

٣- وإذا كان الشاعر الأميري يطرح الحل الإسلامي -من خلال هذه النظرة الواثقة بالنصر-، فإن الشاعر خالد الحليي يطرحه من خلال تمجيده لأبطال الحجارة. يقول^(٢):

يا عربُ هذي صفحةٌ قد سَطُرَتْ	بدمِ الشبابِ فأشرقَتْ فتعلموا
أبطالُ غزّةِ علموكم بالزجـ	جَةِ والحصى كيف المدججُ يُهزَمُ

(١) حجارة من سجيل: ١٤٥.

(٢) قلبي بين يديك: ٧١.

فرأيتم أطفالهم يجرون للـ موت الزوام وليس فيهم محجّم
ورأيتم شيئاً بهم روحُ الشبا بِ توثبتْ وعلى الشهادة صمّموا
وشبيبةً لهبُ الحماسة في دما ثهم بنيران العزيمة يُضرم
قد أشربوا روحَ الجهادِ فزلزلتْ شبحَ المخاوفِ فالمنايا سُلّم

يهيب الشاعر بالأمة أن تتعلم من أولئك الأبطال؛ مذكياً فيهم روح الجهاد وموقظاً همهم. فأبطال غزة يجاهدون العدو بسلاحهم البسيط، ومع ذلك يوقعون الرعب في صدور الجنود الصهيينة، ويفرون من أمامهم هارين. كما يشيد الشاعر ببطولة الأطفال الذين يقدمون على الموت بلا أدنى تقيّب، وكذلك الشيوخ والشباب، الذين ألهبت الحميّة الدينية عزيمتهم فصمدوا مجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله وفي سبيل كرامة الأمة.

٤- وفي قصيدة ((شموخ)) للشاعر أحمد محمد الصديق يعلن الشاعر في نبرة عالية- شموخ الأبطال وشجاعتهم رغم سياسة القمع الصهيونية. فيقول^(١):

حطّموا ساعدي ودقّوا عظامي لستُ أحنى على المذلة هامي
لا أبالي الردى وإن عربد الليـ سلّ وضحت عواصفُ الآلام

وينشط الشاعر في إذكاء روح الجهاد والاحتفال بالأجناد الإسلامية؛ فيبين أن هذا الجهاد إنما يسير على سنن القادة أمثال أمين الحسيني وعز الدين القسام، وعلى خطا القادة الفاتحين الأوائل الذين ملؤوا الأرض بنور الهداية وبدّدوا سحف الظلام.

(١) هكذا يقول المحرر: ٢٩.

يقول^(١):

نحن لله ما حيننا جنودٌ قد رضعنا الإباءَ قبل الفطامِ
ونفضنا على خطا القادة الغرَّ ونهج ((الأمين)) و((القسام))
أولسنا أحفادَ من فتحوا الدنـ يا وسادوا بالعدل في الأقوام؟
نقتفي دربهم جهاداً وإيما نأ ونمحو بالنور جيش الظلام

ويتوجه بالحديث إلى الأمة المتقاعسة عن نصره الحق فيقول^(٢):

أدخيلُ ويستبدُّ بأرضي؟! وجبانٌ يصولُ كالضرغامِ
تلك والله ربُّ قاصمة الظهر رِ فهبي يا أمة الإسلامِ
أم تُرى في الحضيضِ لذَّ لك العيـ شُ وطابت وخامة الانهزامِ
وتراخي الرعاة وانفرط العقـ دُ وعاث الذئابُ في الأغنامِ
يا لحزي القعود في موقف البذـ ل وعار الخنوع والإحجامِ

ينظر الشاعر إلى سواد الواقع المضني، ويرى أحداثه قاصمة الظهر؛ حيث العدو الجبان يجوس في البقعة المباركة يدنس طهرها، ولا من يهب إلى تطهيرها من دنس العدو ورجسه. ويتساءل في مرارة: هل استمرت الأمة العيش في الحضيض والتمرغ بأوحال الهزيمة؟ فالراعي إن غاب عاثت الذئاب في أغنامه. فيا لحزي القعود في موقف البذل!

وينهي الشاعر قصيدته بتذكير الأمة بالأجداد السالفة مؤكداً أنها أمة الأجداد التي سطرها التاريخ في بيض صفحاته، ويتساءل في استنكار؛ هل يضع الأقصي

(١) هكذا يقول المحرر: ٣٠.

(٢) المرجع نفسه: ٣١-٣٢.

المبارك ويُترك للعدو الباغي؟ كما يدعو إلى هدم السدود الرومية بيننا وبين مقدساتنا، إنها سدود الخور والهزيمة والخنوع، ودعا أيضاً إلى استعادة كرامة الأمة بالجهاد؛ لتستنم ذرى المجد؛ حيث كانت وحيث ينبغي أن تكون^(١):

أمّتي أمة المجادة ماذا	ما عهدناك للخنى والذام؟
أيضعُ الأقصى ويُترك في الأغـ	لال ترو منه الجراح الدوامي؟
حال ما بيننا جدارٌ من الوهمـ	م فدكوا معاقل الأوهام
واستردوا كرامة أهدروها	واركبوا للمنى متون الحمام
آن أن تستعيد قمتها الرو	ح وترقى لفجرها المتسامي
وتقود التاريخ في موكب الشمـ	س وتحظى بالمجد بين الأنام

٥- ويوجه الشاعر كمال رشيد حديثه إلى الفتاة الأسيرة التي لا تنفك تبكي وتستنجد بأبناء الإسلام الغُير؛ فيجيبها الشاعر مطمئناً^(٢):

يا أخت لا تتبرمي فغداً	نأتيك نحمل راية النصر
فالثورة الحمراء قد ظهرت	كالشمس تسطع ساعة الظهر
ثار الصغار على عدوهم	وتجملوا بالعزم والصبر
شهباً على أعدائهم نزلوا	والعزم في جنباتهم يسري

ينظر الشاعر إلى المستقبل نظرة متفائلة واثقة بالنصر من عند الله. ويرى في الانتفاضة إرهابية بالثورة التي سيزغ فجرها مبدداً ظلام الحاضر، ويشيد ببطولة الصغار الذين انطلقوا في همة وعزيمة، كالشهب الساقطة على العدو الطاغى.

(١) هكذا يقول الحجر: ٣٣-٣٤.

(٢) القلس في العيون: ٥٣.

ويسترسل الشاعر في حديثه المتفائل مؤكداً شمولية الانتفاضة وانبثاقها في
نواحي البلاد، وفي القدس ونابلس ورفح وفي كل بيت؛ فقد عمّت الثورة الأرض
المباركة، ولا عجب في ذلك ((فالبطولة شيمة الحر))^(١):

في غزة الشَّمَاءِ كالنسرِ	في القدس في نابلس في رفح
في القرية العزلاء في الوعرِ	في كل أرضٍ كل حاضرةٍ
إلا وفيه صرخة الثَّأرِ	لم يبقَ بيتٌ في مرابِنا
إن البطولة شيمة الحرِّ	لا تعجبوا هذي أرومتنا

وفي قصيدة ((أمي تناديني)) للشاعر أبي فراس محمد النطافي^(٢)، يحكي الشاعر
عن معاناته بعيداً عن وطنه وأهله، فيستهل قصيدته بقوله^(٣):

أمي تناديني وترقبُ عودتي	في صوتٍ كلٍّ مبشرٍ ومنادٍ
تجتو على الأبوابِ تسأل أهلها	عني ومطويّ الجوانحِ بادٍ

ثم يلجأ إلى أسلوب النداء إلى أمه واثقاً بالعودة إلى بلاده مجاهداً؛ وفي ذلك
إثارة واستنهاض لهمم بني قومه؛ ليهبوا لنجدة أهلهم في الأرض السليبة، ويرفعوا
رؤوسهم ثائرين لكرامة الأمة، كالنسر لا يرضى بما دون القمم.

(١) القدس في العيون: ٥٣.

(٢) أبو فراس محمد ذيب النطافي: ولد في نطاف (من قرى القدس) عام ١٩٤١م تلقى تعليمه في
قرية (بيت دقو) وفي (القبية) ثم ارتحل إلى عمان وتخرج من دار المعلمين، ودرس في بيروت
والقاهرة، ثم حصل على الدكتوراة في الأدب من جامعة الأزهر، وعمل في الكويت
والسعودية والأردن، وله إنتاج في الشعر والنقد والمسرح، (من بطاقة معلومات أولية من
رابطة الأدب الإسلامي).

(٣) ديوان الانتفاضة، أحمد موسى الخطيب: ٥٩.

يقول^(١):

لبيك يا أمي فإني عائذ	رغم العدو، ومنعة الأسد
لبيك إني عائذ فترقي	عودي إليك بُعدي وعتادي
وتسمعي صوتي يجيئك هاتفاً	أمي أرددها من الأكباد
سأعود يا أمي وأهدم حاجزاً	بيني وبينك شامخ الأطواد
سأعود مرفوع الجبين كرامة	كالنسر يطوي زرقاة الأبعاد

وفي ختام قصيدته يصف يوم العودة، يوم معركة الثأر، فيقول^(٢):

سأعود بين مصفح ومجتر	في يوم كرقاتم وجلاد
سأعود واللهب المؤجج في دمي	حُمم تدمر زمرة الأوغاد
لا تحسبني غائباً لا تُرجى	لي عودة لأحبي وبلادي
أتون يا أمي لهيباً محرقاً	يكوي فؤاد الغاصب الجلاد
لا يستطيع البطش وقف تقديمي	ما دام كفي ممسكاً بزنادي
إني على الجبل الأشم منارة	لقوافل الأبطال والآساد
فالأرض تزأر والسماء صواعق	والبحر ملتهب الجوانح صاد

إنه يوم الأخذ بالثأر من زمرة الأوغاد يوم أن تلتهب حمم الثأر في نفوس
اليثائرين؛ فتحرق قلوب الغاصبين. ويجعل الشاعر الطبيعة تشاركهم الغضب
والثورة؛ فالأرض تزأر، والسماء ترسل صواعقها، والبحر ملتهب الجوانح
متعطش للثأر.

(١) ديوان الانتفاضة: ٥٩.

(٢) المرجع نفسه: ٦٠.

٧- والشاعر خالد أبو العمرين يعبر عن مدى تفاؤله بالانتفاضة، مؤكداً انبثاق فجر التحرير، محتجاً على الشعارات كلها عدا شعار ((الله أكبر)) الذي حمله أبطال الأمة الأفذاذ أمثال خالد بن الوليد:

كما عبر الشاعر عن آمنيات شباب الأمة بالشهادة في سبيل الله، يقول^(١):

يا إخواني انقشع الضبا	بُ ولا حَ فجرُكمُ الوليدُ
كلُّ السيوفِ تكسَّرتْ	لم يبقَ إلا ابنُ الوليدُ
طوبى لمن طلب الشها	دَةً في مقارعةِ اليهوْدُ
من عنده النصر العزيـ	ز وصاحب البطش الشديدُ
((الله أكبر)) في قـلـو	بِ الشعب تقصفُ كالرعودُ
في فتيةِ الإيمانِ لا	خـورٌ ولا جـبنُ العبيدُ

ويسترسل في وصفه لفتية الإيمان، جند المعركة؛ الراكعين الساجدين الحاملين كتاب الله دستوراً ومنهاجاً^(٢):

الراكعين للربهم	الدائمين لله سـجودُ
آمنتُ بالقرآنِ دسـ	ـتوراً وهدياً للجنودُ
آمنتُ بالفتحِ المبيـ	ـن يدك أركانَ الوجودُ
آمنتُ بالفردوسِ دا	راً للمجاهدِ والشهيدُ

(١) في القدس قد نطق الحجر: ٥٢.

(٢) في القدس قد نطق الحجر: ٥٢.

ويدعو الشاعر في مختتم مطولته إلى الجهاد دعوة صريحة إلى حرب مقدسة تتحرر من قيود الوهم، ولا تخشى في الله لومة لائم، لتمسح عار الهزيمة والمذلة، وتكون الشرارة والوقود الذي يوقد نار الحرب ويغذيها^(١):

يا قومٌ حيٍّ على الجها	دِ فإنه النصرُ الأكيدُ
سنخوضُها حرباً مقدَّ	سةً ونهزاً بالقيودُ
أنا مسلمٌ أخشى الإلـ	ة ولا أخافُ من العبيدُ
فلتنهضوا ولتمسحوا	عارَ المذلة والخمودُ
إن لم تقودوا الزحفَ من	يا أخوتي سوف يقودُ؟
لنكون نحن شرارها	ونكون نحن لها الوقودُ

٨- ويخاطب الشاعر عبد الرحمن العشماوي أبناء أمتة حاثاً على الجهاد حتى النصر، قائلاً^(٢):

يا أمة ما زلت أشدو لها	شدو محبٌ مدنفٍ الخاطرِ
لا تقفي يا أمتي واركي	ظهرَ حصانٍ جامعٍ ثائرِ
لا تسكني أرض الخنوع التي	ترفع فيها هامة الفاجرِ

يدعو الشاعر أمتة إلى التحرك لتحرير الأرض المقدسة التي تنتظر تخليصها من نير الاحتلال. ويقرن العشماوي ذلك باستدعاء الشخصيات الإسلامية والنظر إليها نظرة وجدانية تستوحي وهج الإيمان والشوق إلى روح التوثب والحمية لدى

(١) في القدس قد نطق الحجر: ٥٢-٥٣.

(٢) شيوخ في زمن الانكسار: ١٤٨-١٤٩.

الصحابة الأفذاذ من أمثال بلال بن رباح وياسر أبي عمّار، وهما رمز الفداء والتضحية والصمود في سبيل العقيدة. فيقول^(١):

سألتُ أحلامي سؤالاً له طعمُ اللظى في شفةِ الشاعرِ
من أين لي اليومَ بشهمٍ له عزمُ ((بلالٍ)) ورضا ((ياسرٍ))
يا أمةَ الإسلامِ قولي لنا: ((أما لهذا الليل من آخرٍ؟))

٩- ومن ديوان ((الفتية الأبايل)) للشاعر يوسف العظم قصيدة يهديها الشاعر ((إلى الشاخن الأباة في قطاع غزة)) ويستهلّها بقوله^(٢):

مزقيها يا غزّة الأحرارِ وارفضي العيشَ في ثيابِ العارِ
ويتابع حديثه المتحدّي -بعد هذا المطلع النائر- موجّهاً خطابه إلى غزّة الأحرار:
وارفعي رايةَ الجهادِ وقولي: قد علتُ همّي وعيلِ اصطباري
علمتُنا الأيامُ أن التنادي للمنايا يديرُ خيرَ حوارِ
وحديثُ اللسانِ من غيرِ فعلٍ يُلبس الخانعين ثوبَ الصَّغارِ
سوف ألقاهم بخير سلاحٍ من صخورٍ تنداحُ أو أحجارِ
ليزول الظلامُ من كل بيتٍ وتشعّ القلوبُ بالأنوارِ

وهكذا تتوالى نداءات الشاعر لغزّة الأحرار مهيبة بها إلى رفع راية الجهاد بعد اصطبار على الداء المتمثل في الاحتلال الغاشم. فقد عرفت سبيل الخلاص، إنه الجهاد وحمل السلاح، وكل ما عدا ذلك خنوع وصغار واستسلام. ولا بد أن

(١) شموخ في زمن الإنكسار: ١٤٩.

(٢) الفتية الأبايل: ٢١-٢٤.

يثمر الجهاد ثمرة فتتبدد سحب الظلام لتشع شمس العزة والظفر. قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠/٣].

وبعد، فإنه لمن الواضح أن الشعراء عظموا هذه الثورة المباركة تعظيماً كبيراً وربطوا بين هذه الانتفاضة الجهادية وبين المعارك الحاسمة في التاريخ، وهذا التعظيم من ناحية وذلك الربط من ناحية أخرى يعكسان أحاسيس الشعراء بالانتفاضة وهي أحاسيس التفاؤل الغامر بقرب الخلاص من الاحتلال البغيض.

كما أن هذا الطرح القوي للحل الإسلامي المتمثل بالجهاد يجلو دور الإنسان المسلم في العالم؛ فهو نور وضياء لأمة الإسلام وللناس كافة، مهما هاضت جناحيه عهود الضياع والهزيمة؛ لكن روح الوثبة كامن في الأعماق ينادي بعودة الإنسان المسلم لتسلم دوره من جديد، ويستنهض في الأجيال وثبة الإيمان والقيام بأداء الأمانة^(١).

وبعد، فإن شعر الانتفاضة ليستحق أن يفرد له الباحث كتاباً خاصاً؛ فالقول فيها لا ينتهي والحديث عنها لا يُمل، وتصورها محبب إلى النفس؛ فهي إسلامية المبدأ والمسار. ولو حصرنا كل ما قيل فيها ما استطاع له الفرد حصراً؛ ولكن حسبي أن أكون قد وضعت قدمي على أول طريق البحث في هذا الأمر الجلل الذي ابتعث الأمل في النفوس وأعاد إليها الثقة.

وإذا كانت هذه الانتفاضة قد غذت الشعر الإسلامي، فإنها جعلت الشعراء الإسلاميين يفتشون في مخزونها التاريخي عن البداية الصحيحة للفتوح الإسلامية الأولى ويتبعون مسيرتها منهاجاً وعملاً حتى يصلوها بهذه الثورة الإسلامية المباركة.

(١) انظر الإنسان في الأدب الإسلامي، تأصيل وتحليل: ٤١٥.

التجربة الإبداعية في ميزان النقد الفني

- ✧ المبحث الأول: التجربة الوجدانية والتعبير عنها.
- ✧ المبحث الثاني: الوحدة العضوية.
- ✧ المبحث الثالث: الخيال الإبداعي.
- ✧ المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية.

مقدمة

((حب الجمال فطرة في النفس الإنسانية، فهي بقوة فطرية قاسرة تميل إليه وتنجذب نحوه، وليس بمستطاع النفوس أن تغير فطرتها التي فطرها البارئ المصور عليها. والجمال شيء يصعب تحديده، ولكن باستطاعة النفوس أن تحس به متى أدركته، وعندئذ تميل إليه وتنجذب نحوه وتأنس به وترتاح إليه وتسعد بالاستمتاع بلذة إحساس الشاعر به ولو تخيلاً... والجمال يكون في جميع المجالات التي تدركها الحواس الظاهرة والباطنة حتى مجالات الأفكار والتخيلات والوجدانيات والطباع وأنواع السلوك الإرادي النفسي والظاهر))^(١).

وما يهمنا في هذا المقام هو مجال الشاعر الوجدانية والأفكار والتخيلات، فالشعر لون من الجمال تنطبق عليه قواعد الجمال العامة، ولذا أقف وقفة موجزة عند التجربة الإبداعية الجمالية لدى الشعراء الإسلاميين الذين استلهموا القضية الفلسطينية الفلسطينية مبرزة الخصائص الفنية لتلك التجربة.

(١) مبادئ في الأدب والدعوة: ٣٦.

المبحث الأول

التجربة الوجدانية والتعبير عنها

لا شك أن من أهم الخصائص الفنية للقصيدة: التجربة الوجدانية أو الشعورية وهي: ((الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيراً ينم عن عميق شعوره وإحساسه))^(١) أو بتعبير آخر هي: ((العنصر الذي يدفع إلى التعبير)) و ((الحالة التي تتشبع فيها نفس الشاعر بموضوع من الموضوعات أو مشهد من المشاهد أو فكرة من الأفكار أو مرأى من المرائي ثم يتهاى بعدها للإعراب عن مشاهداته أو رؤيته... ثم يأتي دور الصياغة، فإذا كانت الصياغة موفقة مؤتلفة مع التجربة فقد بلغ الشاعر غايته وأبدع الإبداع الفني كاملاً))^(٢).

وهي بصورة أخرى: ((حدث وجداني أو عاطفي ينبع من نفس صاحبه، ومن عقله، ومن كل حواسه ودخائله النفسية والفكرية الظاهرة والباطنة))^(٣).

وتكاد هذه النصوص تجمع على أن التجربة الوجدانية الشعرية تنبثق عن الإحساس العميق للشاعر بقضية من القضايا حسية أو معنوية، فتتفاعل عناصر

(١) النقد الأدبي الحديث: ٣٦٣.

(٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث: ٢٩-٣٠.

(٣) في النقد الأدبي: ١٣٨-١٣٩.

هذه القضية، وتجيش أركانها وجوانبها في صدره، فتنعكس شعراً عميق التصوير قوي التأثير جياش العاطفة.

ويزيد هذا الانعكاس قوة وتأثيراً قدرة الشاعر على صب مشاعره في قوالب ملائمة لتلك المشاعر من ألفاظ رائعة وتراكيب مختارة.

وهكذا يصل الشاعر إلى ذروة التجربة الوجدانية إذا استطاع أن يوائم بين هذين الاتجاهين ويوفق بين هذين المحورين: محور الانفعال النفسي الناجم عن عميق التأثير بالفكرة وجزئيات معطياتها - حتى يتمكن من نقل هذا التأثير إلى قلب القارئ والسامع وعقله، فيهز مشاعرها ويملاً عقولهما - ومحور الصياغة الشعرية الرائقة التي تفوقت بألفاظها وتراكيبها وأساليبها الرصينة، فطرقت الأسماع والقلوب؛ لتدخل بلا استئذان وتتمكن منها فتطربها طرباً أصيلاً وتزهاها هزاً عميقاً.

والتجربة الشعرية في صورتها الكاملة أشبه ما تكون بعملية الصعود إلى قمة جبل، صعود له أول يبتدئ منه وآخر ينتهي عنده، وكل جزء من هذا الطريق الممدود يسلم إلى جزء آخر، وكل جزء يحتاج إلى مدة من السكون والراحة ليستطيع الشاعر أن يتم رحلته ويأخذ وقته الكافي لإعادة النشاط ومتابعة الصعود من جزء إلى جزء. وهو خلال صعوده يستكشف ويتأمل فيما حوله، ويرصده من جميع جوانبه، حتى إذا وصل إلى القمة البعيدة أحس أنه قام - بالفعل - برحلة لا سابق لها، رحلة لها كل ما يميزها وعمل جديد كامل^(١).

(١) في النقد الأدبي: ١٣٨.

هذا، وإن استلهم شعرائنا للقيم الإيمانية وتطعيم المعاني بالمشاعر الوجدانية جعل شعرهم - في مجموعه - مفعماً بالحرارة والعاطفة التي يلمسها القارئ المتذوق بوضوح ((مما أضفى على النتاج الفني غنى وثراءً، مصدره المشاعر النفسية التي تبث الحياة في الأثر الفني وتخصبه))^(١).

وأعرض فيما يأتي بعض النماذج التي تفصح عن طبيعة الجانب الوجداني. يطالعنا الشاعر عمر بهاء الدين الأميري في قصيدته ((إهابة وأمل)) حيث يتفاعل الشاعر وجدانياً مع فلسطين ومكانتها وقدسيتها أرضها. فيقول^(٢):

فلسطينُ يا آيةَ الله في الـ	وجودٍ ويا روضةً من سناء
مقامُ الخليل وعزّ المقام	وجلّ الخليل أبو الأنبياء
وحضنُ البتول ومحراؤها	ومهدُ ((المسيح)) صفى السماء
ومسرى رسولٍ هدى العالمين	ومعراجهُ الفذُّ يعلو العلاء
ليحظى بأسمى وأغلى ذرا	وأسنى وأدنى وأرقى لقاء
فلسطين يا عروةً بين ((مكـ	ة)) و((القدس)) خالدةً من مضاء
وعهداً من الله في عنقٍ كل	أبي وأعظم بعهد الإباء
وديناً على كل حرٍّ وفي	يروى ثراك بحرّ الدماء

بهذه العاطفة المتقدة، وهذا الأسلوب القوي عبر شاعرنا عن مكانة فلسطين في نفوس المسلمين وعزمهم على تخليصها من براثن اليهود. وقد راوح الشاعر بين الأساليب الإنشائية والخبرية في الأبيات لتوضيح الفكرة وتأليقها: فمن الإنشاء

(١) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية: ١٤٤.

(٢) من وحي فلسطين: ١٤-١٥.

قوله: ((يا آية الله، ويا روضة من سناء، ويا عروة بين مكة والقدس، ويا عهداً من الله، ويا ديناً على كل حر)) فأسلوب النداء يوحى بسمو مقام هذه البقعة المباركة. ومن الأسلوب الخبري: ((مقام الخليل وعز المقام، وحضن البتول ومحراهما، ومهد المسيح صفى السماء)). وفي هذه الأبيات حشد الشاعر مجموعة من فضائل الديار المقدسة وطائفة مما خصها به الله حتى غدت ((آية الوجود)) و((روضة السناء))، ليمكنه هذا الحشد من الفضائل والخصائص من تعميق التأثير الوجداني في نفس السامع، حتى تهزه التجربة الوجدانية هزاً عنيفاً، وتزيد من تأثيره بقدسية هذه الأرض المباركة، وبالتالي العمل الجاد الدؤوب على تخليصها وتحريرها من الغاصب المحتل.

والشاعر أحمد محمد الصديق عاش حياة الاغتراب وعانى مشاعر الحنين إلى وطنه، وبدا شديد الحزن في غربته الطويلة. فقال^(١):

من وجهك تطلعُ أقماري	وجمالك مبعثُ أشعاري
يا وطني يا عين الدنيا	يا هاجسَ ليلي ونهاري
فتشتُ كنوزَ الأرضِ فما	ألفتُ بديلاً عن داري
أشواقِي أسرابُ طيورٍ	عائدةٍ تحت الأمطارِ
وحنيني موقدُ أحزانٍ	حرى تروجُ كالنارِ
مهما تتقاذفني الأموا	ج فأنت نهايةُ أسفاري

نلمس في الأبيات تأثر الشاعر بلواعج الاغتراب. وقد تمكن الشاعر من التعبير عن إحساسات الشوق والحنين إلى وطنه. واستخدم الشاعر أسلوب النداء

(١) قادمون مع الفجر: ٧١.

مكرراً في البيت الواحد: ((يا وطني يا عين الدنيا، يا هاجس ليلي ونهاري)) مما يوحي بالمناجاة الهامسة إلى وطنه، وكأنه الحبيب يناجي محبوبته. أما عموم الأبيات فتشيع فيها الجمل الخيرية؛ لتحكي معاناة الشاعر من مشاعر الأسى والحزن بعيداً عن وطنه، وقد أضفى الشاعر على حنينه وأشواقه عنصر الحركة القوية السريعة التي تعين أيضاً في تعميق الإحساس والشعور وتزيد نبض الوجدان، ويتمثل ذلك في حركة أسراب الطيور العائدة إلى مواطنها وأوكارها، لا يمنعها مطر ولا يحول بينها وبين تلك المواطن عائق. ويتمثل كذلك في هذا الموقد الذي يتوهج بالجرم ويتلظى بالنار فكأنه بركان اضطربت نيرانه تحت الرماد فلا تلبث تلك النيران أن تنفجر حنيناً إلى الأوطان ترنو إليها وتشرئب إلى إطفاء تلك النيران في تلك الأوطان كما تنطفئ نيران حنين الحب في لقاء الحبيب. وأخيراً تمثل تلك الحركة في صخب الأمواج العاتية التي تتقاذف الغريب الذي امتلأ قلبه لواعج شوق ودفقات حنين إلى الوطن، فهو يتحدى تلك الأمواج ويقرر بثقة مطلقة أنه سيصارعها ويتغلب عليها ليكون رسوه في الأخير على شاطئ بلاده الحبيبة ينعم بقلائها والعيش فيها.

وفي مجال التعبير عن الغربة والحنين نجد الشاعر كمال رشيد يرى الطبيعة تشاركه آلامه وأتراحه في غربته المرة، فيقول مناجياً البحر^(١):

أيها البحرُ إن فيك اضطراباً	كاضطرابي في غربتي طولَ عمري
حدثَ اليومَ عن قديم الليالي	يا سجلَّ التاريخ في كل عصرٍ
حيثُ كانت بلادنا دارَ أنسٍ	دار عرسٍ ورقة العيش تُفري

(١) شدو الغرباء: ٨٨-٨٩.

حيث كانت سواحلٌ وسهولٌ ورياضٌ طابت بزهرٍ وعطرٍ
أيها البحرُ هل مررتَ بأهلي؟ وبصحي ومسكني خلفَ نهرٍ؟
وفلسطينُ هل سمعتَ نداها لبنيتها في كل أرضٍ ومصرٍ؟
أترانا نعود للسَّهل والأهـ لـ ونحيا لساعةٍ من نصرٍ

نسمع في القصيدة أنيناً وحسرة على الماضي الجميل الذي قضاه الشاعر في ربوع وطنه الغالي، كما نلمح الأسلوب الإنشائي المتكرر في صورة نداء ((أيها البحر)) ((يا سجل التاريخ)) يوحى بامتداد الآهات المتولدة عن ألم الفراق، وفي صورة الاستفهام و((فلسطين هل سمعت نداها؟)) ((أترانا نعود للسَّهل والأهل؟)). كما نجد الجمل الخيرية تتخلل الأبيات: ((حيث كانت بلادنا دار أنس)) ((حيث كانت سواحل وسهول)).

وما قيل في النص السابق يقال أيضاً في هذا النص؛ فالأشعار تضج بالحركة، وأمواج البحر صخابة مضطربة اضطراب الشاعر في غربته وعدم قدرته على السكون والاستقرار، ولكن سرعان ما تتطامن هذه الحركة المضطربة فتؤول إلى حديث البحر عن التاريخ فكأنه غدا راوية له، وإلى سؤال البحر عن الأهل في الوطن فكأنه تحول إلى مراسل ينقل الأخبار ويجيء بها، فينظر الأهل في الوطن النائي القريب ويتسقط أخبارهم، ثم يتلفت إلى هؤلاء المشردين أصحاب الوطن الأصليين، فيلفته نداء الأرض أبناءها وحينها إلى عودتهم إليها والتنام الشمل فيها.

ومن الشعراء الذين توقفوا عند تصوير مشاعر النكبة (١٩٦٧م): أحمد فرح عقيلان في ((صرخة في مآتم العيد)) حيث يوجه الشاعر خطاباً مفعماً بالعاطفة الحارة إلى العيد عيد الهزيمة، فيفتح قصيدته بقوله^(١):

يا عيدُ يا مآتماً للأهلِ والدارِ لا عدتَ إن لم يزينكَ الدمُ الجاري

ثم تمور في صدره مشاعر الحسرة والرغبة في الثأر، فيصرخ:

حطمتُ قيثارتِي قطعْتُ أوتاري جفَّ الغناءُ ودقَّتْ ساعةُ الثأرِ
ماذا أغني وتاريخُ العروبةِ في مستنقعِ الذلِّ والتشريدِ والعارِ
والقلسُ والمسجدُ الأقصى وصخرته عاد الأذانُ بها تهريجُ كُفارِ

إنه تصوير صادق للهزيمة وأثرها في نفوس المسلمين، وترد ثلاثة أساليب إنشائية في المطلع: فالنداء: ((يا عيد يا مآتماً)) والدعاء: ((لا عدت)) والشرط: ((إن لم يزينك الدم الجاري)) فجمع المطلع بين عاطفة الحزن والحسرة والثورة، ويقوي الشاعر هذا المعنى بالطباق بين العيد والمآتم، ثم يلجأ الشاعر في البيت الثاني إلى الأسلوب الخبري، ثم يعود إلى الأسلوب الإنشائي مستفهماً: ((ماذا أغني وتاريخ العروبة في مستنقع الذل...؟)).

ويغلف الشاعر مشاعر الهزيمة التي تملأ صدره بغلاف التحدي والرفض والتمرد على هذا الوضع الذي نجم عن الهزيمة، ويتمثل هذا التحدي بأنه هجر في دنياه مظاهر الفرح والسرور جميعاً فلا هو بحاجة بعد اليوم إلى الأعياد -والعيد بطبيعته يحمل معنى الفرح والسرور- ولا هو بحاجة إلى الغناء -وهو كذلك مظهر

(١) جرح الإباء: ٢١.

من مظاهر البهجة والسرور - لذا بادر إلى تحطيم أدوات الطرب والغناء، فحطم قيثارته وقطع أوتار عوده والتفت بكليته إلى الإعداد لساعة الثأر، لينخرج به من مستنقع الذل والعار الذي غاصت فيه الأمة نتيجة لتلك الهزيمة.

وإذا نظرنا في عاطفة الشاعر مأمون جرار وإحساساته إزاء النكبة الكبرى والمصيبة العظمى وجدناه صادقاً في إحساسه، عميقاً في تأثره، حيث يقول^(١):

مالي أراكم داهلين سُكاري	مالي أراكم تائهين حيارى؟
مالي أراكم قائمين على الخنا	متقلّبين به دُجى ونهار؟
مالي أراكم تركضون لهوة	خلف السرابٍ ألا ترون منارا؟
يا قوم أبكتني مصائبُ أمةٍ	لاقت سفينةً ركبها إعصارا
يا قومنا قد ذاب قلبي من أسى	وتخافت دقاته استنكارا
مما أصاب الشعبَ في مهد الهدى	لما غدا قومي هناك أسارى

فردة الفعل التي تركتها النكبة تتمثل لدى شاعرنا في هذه التساؤلات الحائرة المتكررة: ((مالي أراكم داهلين؟ مالي أراكم تائهين؟ مالي أراكم قائمين على الخنا؟...)) ولا شك أن في هذا التكرار تعميقاً للتجربة الشعورية واستيعاباً لمعنى الحيرة والاستنكار. وإننا لنرى الشاعر صادقاً في تعبيره عن مكنونات نفسه، وإفضائه بها، وفي تعبيره عن إحساسات الناس بآلامهم وأحزانهم وحيرتهم، فهو لم يعبر عن نفسه حسب، بل إنه يعبر عن مواقف المسلمين من هذا الحدث الجسيم، ويهز الشاعر في هذه الأبيات قومه النيام المهرولين إلى الهوة الوافدة خلف السراب، ويحذرهم أن يقعوا فيها فيكون الهلاك والمصير المحتوم.

(١) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث: ٧٧/٣-٧٨.

وهو يجمع في الحقيقة بين ضياع البلاد وتشرد الأهل، فبعضهم أضحى أسيراً في بلده، وبعضهم غادرها مكرهاً وحيل بينه وبينها فما يستطيع لها عوداً ولا يحلم منها بلقاء!.

وقد تنوعت التجارب عند شعرائنا الإسلاميين؛ فمنها ما هو شخصي عاشه وعاناه الشاعر بنفسه، ويظهر ذلك في تصوير مأساة النازحين، وجراح الغربة، ومعاناة الحنين إلى الوطن، كما نراه في شعر محمد صيام. حين يقول موجهاً حديثه للفدائيين^(١):

وسألتهم عن أهلنا	بعد التشّتِ والفراقِ
ورفاقنا في الموطنِ الـ	غالي تُرى كيف الرفاق؟
فعلمت أن نفوسهم	مُلتت حنيناً واشتياقاً
لكنهم ألّوا بأن	يقيموا هناك مرابطين
رغم التبجح من عدوّ	الله والحقدِ الدفين

* * *

وسألت عن يافا وعن	حيفا وغزّة والخليل
وبلادنا تلك التي في	الأرض ليس لها مثيل
وعن البطولية في جبا	لِ القدس أو على الجليل
والمسجد الأقصى الحيـ	بِ فقيل: برّحه الحنين
وبه اشتياقٌ عارمٌ	للكراعين الساجدين

(١) دعائم الحق: ١٤٤-١٤٥، والقصيدة متعددة القوافي.

نلمح في الأبيات العاطفة الصادقة المشبوبة حين بث الشاعر لواعج الحنين ومرارة الاشتياق إلى وطنه السليب. مستخدماً أسلوب الاستفهام في حسرة وألم وحنين ((تري كيف الرفاق؟ وسألت عن يافا وحيفا، وعن البطولة في جبال القدس)) وانظر إلى هذا الأسلوب الحكيم في قوله:

والمسجد الأقصى الحي ————— ب فليل: برّحه الحنين

ومن التجارب ما هو اجتماعي استلهمه الشاعر من المحيط الاجتماعي والإنساني مستنداً إلى الملاحظة والتفاعل والتأثر؛ ((فليس ضرورياً أن يكون الشاعر قد عانى التجربة بنفسه حتى يصفها، بل يكفي أن يكون قد لاحظها، وعرف بفكره عناصرها، وآمن بها، ودبت في نفسه حمياها. ولا بد أن تعينه دقة الملاحظة وقوة الذاكرة وسعة الخيال وعمق التفكير، حتى يخلق هذه التجربة التي تصورها عن قرب، على حين لم يخض غمارها بنفسه))^(١).

ونضيف إلى مضمون هذا النص أن أقوى ما يشد الشاعر البعيد عن التجربة الذاتية والمعاناة الشخصية، صلة ما بالقضية التي تناولها، وهي هنا بطبيعة الحال صلة العقيدة ورابطة الدين التي سمت على كل رابطة.

كما نرى في قصيدة الشاعر يوسف العظم حين يعرض مأساة النازحين الفلسطينيين في المخيمات الفلسطينية؛ فيحكي المعاناة على لسان فلسطينية في لبنان تروي قصتها فتقول^(٢):

ذبّوني من وريدٍ لوريدٍ وسقوني المرّ في كل صعيدٍ

(١) النقد الأدبي الحديث: ٣٦٥.

(٢) عرائس الضياء: ٢٧.

مزّقوا زوجي فلم أعبأ بهم ومضوا نحو صغيري ووحيدي
 غرسوا الحربة في أحشائه فغدا ((التكبير)) أصداء نشيدي
 دمّروا بيتي وهل بيتي هنا؟ إن بيتي خلف هاتيك الحدود
 وتلفّت فلم أعثر على غير أبناء الأفاعي والقروء
 ذبحوني من وريد لوريد غير أني لم أطأ طي ليهودي

فيا له من مشهد مؤثر يمثله هذا المقطع الأول من القصيدة؛ فهو يجسد معاناة
 الأم الفلسطينية وشراسة العدو ووحشيته وما يكون من هذه الأم الأيية من
 مشاعر الإباء والعزة والاصطبار.

ويبدأ الشاعر أبياته بعبارة ((ذبحوني من وريد لوريد)) والذبح هنا يعني إراقة
 الدماء، أي قطع أنفاس الحياة. هكذا بدأ الشاعر قصيدته بالدم، والذبح على
 الطريقة الصحيحة إذن هنا إشارة هي الخبرة في الذبح وسفك الدماء... وتتصاعد
 الحركة الدموية في الأبيات؛ بأفعال تعطي معنى القتل وسفك الدماء وغرس
 الحراب، لتندمج مع صراخ المرأة على ابنها. وتصل إلى قمة المأساة ولا حول لها
 ولا قوة إلا التكبير... ثم يقول:

دمروا بيتي وهل بيتي هنا؟ إن بيتي خلف هاتيك الحدود

هنا إشارة واضحة إلى أن المرأة شردت من بيتها في فلسطين ((خلف هاتيك
 الحدود)) فتدمير بيتها زاد من مرارتها وحرمانها... وفي خضم الأحداث والذهول
 لم يمنع المرأة الكسيرة أن تنظر حولها عليها تجد نصيراً معيناً، خاب أملها، فلم تر
 إلا الأعداء الذين شبههم الشاعر بالأفاعي والقروء، وهذه صورة متزعجة من

القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥/٢]^(١).

ومثال آخر على التجربة الاجتماعية الإنسانية قصيدة ((رسالة من القدس)) للشاعر نفسه يصف فيها الملامح الكئيبة للمعاناة. حيث يبعث إلينا رسالة على لسان شيخ فلسطيني يحكي لنا فيها عن الضيق الذي يعاينه، والآلام التي يكابدها. فيقول^(٢):

في ساحة المسجد المحزون حدثني	شيخ على وجهه الأيام ترتسم
لمن أبث شكاتي والشفاه غدت	خرساء ليس لها في الحادثات فم؟
من ذا الذي هدني ساعداً ويدا	هل ضاع دربي أم زلت بي القدم؟
لقد جرنا كؤوس الذل مترعة	والقدس في العار والمحراب والحرم
والصخرة اليوم باتت غير شامخة	لأن نجمة صهيون لها علم

فنجد العاطفة في الأبيات قوية تحمل التفجع الحار وشكوى الأرزاء المتابعة. نلمح ذلك في الألفاظ والعبارات الموحية: ((المسجد المحزون، أبث شكاتي، والشفاه غدت خرساء، ضاع دربي، زلت بي القدم، جرنا كؤوس الذل...)).

فقد استعمل هذا ((الحشد)) من عبارات الشكاة والضياع والحرمان، مستلهماً بعضها مما سبق من الشعراء مثل شوقي في قوله في رثاء آثار بني أمية في دمشق^(٣):

(١) مأساة بيروت في الشعر العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية: ٦٥٧-٦٥٨.

(٢) في رحاب الأقصى: ٦٧.

(٣) الشوقيات: ١٠١/٢.

تغير المسجدُ المحزونُ واختلقتْ على المنابرِ أحرارٌ وعُبدانُ
فلا الأذانُ أذانٌ في منارتِهِ إذا تعالَى ولا الآذانُ آذانُ

ومن التجارب الوجدانية ما هو خيالي يتخذ الشاعر منه معبراً لبث آلامه وشجونته، مما يطعم معانيه بالمشاعر الوجدانية الحارة، وبالتالي تنعكس هذه المشاعر على نفس القارئ المتذوق. ومن ذلك تجربة الشاعر كمال الوحيدي حين ييثر شكواه إلى يمامة هيج هديلها كوامن الأسى في نفسه، وهي تجربة سار فيها على سنن الشعراء القدامى، إذ يقول^(١):

هديلُك يا يمامةُ هزَّ حسي وبثَّ الشوقَ في أعماقِ نفسي
أثارَ الذكرياتِ بها هيباً فحنتُ للتي ألفتُ أنسي
إليها جاد قلبي بالتحايا فمنها النورُ يسطعُ ضوءُ شمسٍ
يمامةُ رددتُ سجعاً فإني بعيدُ الدارِ عن أهلي وقدسي
طريدٌ عن ديارٍ منذ حين وقد سُلِبَتْ روايتها بخلسٍ
وكان الأهلُ صرعى في عراءٍ وفي الفلواتِ قتلى دون رمسٍ
بربك يا يمامةُ شاطريني بأسجاعٍ أجد فيها التأسى
وبثي الشوق إن يمت أرضي كنتفح الزهر في طياتِ طرسي

إننا نحس بعمق الشعور بالحنين ومعاناة لواعج الشوق الصادق، في تعبير الشاعر عن ألم الفراق المبرح، بعد أن تقطعت الأسباب بينه وبين وطنه.

(١) طريد الدار: ١٥٥-١٥٦.

كما أننا نجد التجربة الخيالية لدى الشاعر نفسه حين يوجه حديثه إلى الشمس مقدماً لقصيدته بقوله: ((شمس بيروت تغيب صوب بحر فلسطين التي حرمت منها منذ سنين، فتذكرت الأهل والأصدقاء والوطن))^(١) ثم يقول:

يا شمسُ حَيِّ موطني وصِحابي	إن غبتِ أنتِ فقد يطول غيابي
طال الفراقُ وقُرَّحتُ أجفائنا	والياسُ حلَّ بساحتي ورحابي
عشرين عاماً قد قضيتُ ونيفاً	وأنا أؤملُ نصرةَ الأحبابِ
والشيبُ بانٍ بعارضيٍّ ومفرقي	والخطبُ أفقدني عظيمَ صوابي

إنه يرسل التحية إلى موطنه مع الشمس الغاربة ويسألها ألا تغيب ليظل على أمل في العودة إلى وطنه الحبيب. فنجد الشاعر لا يصطنع ولا يتكلف وإنما عبر بصدق عن لواعج الأسى والحنين للوطن الغالي. متخيراً الألفاظ الرقيقة الموحية بلا أدنى لبسٍ أو غموض.

ومن التجارب الشعورية المتخيلة ما نراه لدى الشاعر محمود مفلح حين يحيي الشهداء ويرى أن انتفاضة أطفال الحجارة قد أورت زناد الثورة والغيرة من جديد؛ فيرى النصر وقد تحقق وصار المسك يعطر أجواء الأرض المباركة، أرض القناديل التي بددت ظلام الاستسلام. يقول^(٢):

عاد الزمانُ الفدُ يا وطني	وعلا صهيلُ المجدِ يا عمرُ
أرضُ الشهادةِ كيف ننكرُها	والمسكُ في أرجائها مطرُ
أرضُ القناديلِ التي سطعتْ	في ليلنا والليلُ معتكرُ
أرضُ الحجارةِ غردي فأننا	في مسمعي التغريدُ ينهمرُ

(١) طريد الدار: ٩٣.

(٢) نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني: ١٧.

ثم يوجه حديثه للشهيد الذي علم الأمة لغة النصر والظفر. فقال^(١):

يا أيها الماضي إلى دمه يسقي العطاش فيورق الشجرُ
أسقطت ألف خرافة لهم وأتت على أجدادهم سقرُ
علمتنا لغة تمز بنا كل الغصون فيسقط الثمرُ

ولا شك في أن هذه التجربة الشعورية تفيض بالحياة والتدفق؛ لتوقظ الأمل في نفوس أبناء الأمة والتفاؤل بالنصر والظفر للمضي قدماً في بذل أسباب النصر. ورأينا الألفاظ في هذه القصيدة قوية فخمة تحمل رعود الثورة والوعيد.

ومن التجارب الشعورية نوع رابع هو التجربة التاريخية، حين يمجد الشاعر الماضي الزاهر ويستدعي التاريخ مشيداً بالعظماء المسلمين الأوائل، ومستدعياً معاني العظمة في التاريخ الإسلامي، ومقرعاً الحاضر المتخاذل. ومن ذلك: قول الشاعر أحمد محمد الصديق^(٢):

راية اليرموك فينا ما انطوت
وصدى التكبير في أرجائها
في سبيل الله لا نصر سوى
هكذا ترقى ذراها أمة
هكذا يبرز فينا خالد
هكذا تفتح آفاق الدين
عزة بتجتاح في الله المدى
فأرفعوها ترتفع للمجد هام
أين من لبي إذا حان الصدام؟
نصره والحرب بذل واقتحام
هكذا يرسخ للحق دعاء
وصلاح الدين والجيش اللهم
هكذا فالحق يحميه الحسام
وحدة ما عابها قط انثلام

(١) نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني: ١٧-١٨.

(٢) قادمون مع الفجر: ٢٨-٢٩.

ويظهر في الأبيات المعاني الإسلامية القوية في إطار من الألفاظ الفخمة الرنانة التي توحى بالموقف النفسي الذي يعيشه الشاعر، إنه الإكبار والإجلال للتاريخ المجيد والشخصيات الإسلامية الفذة، ومواقع الإسلام الظاهرة. كما نرى المشاكلة اللفظية التي أوردتها الشاعر عفوية دون تكلف أو اصطناع ((فارفعوها ترتفع)) و((لا نصر إلا نصره)). ويكرر الشاعر كلمة ((هكذا)) في وصفه للتاريخ المجيد واستنهاضه لهمم الأجيال؛ فكان لها وقع قوي في الأبيات. كما راوح بين الأساليب الإنشائية والخيرية؛ مما ساعد على استيعاب المعنى واستيفائه.

ويبرز الشاعر عبد الرحمن العشماوي هذه التجربة التاريخية في استيحاءاته وهج الإيمان وروح التوثب والحمية التي تحلى بها الصحابة الأفذاذ أمثال: بلال بن رباح، وياسر أبي عمار، رمزي الفداء والتضحية والصمود في سبيل العقيدة. فيقول^(١):

سألتُ أحلامي سؤالاً له طعمُ اللظى في شفةِ الشاعرِ
من أين لي اليومَ بشهم له عزمُ ((بلالٍ)) ورضا ((ياسرٍ))؟
يا أمةَ الإسلام قولي لنا: ((أما لهذا الليل من آخرٍ؟!))

يدعو الشاعر الأمة من خلال هذا الاستلهام لبذل أسباب النصر لاسترجاع الحق السليب فتأتي عاطفته قوية ثائرة بما حملته من اندفاع وانطلاق. ولا شك أن في ذلك قهراً للهزيمة في النفوس وإطلاقاً للطاقات الكامنة في أعماق الأمة لتمضي في طريق المقاومة والغلب والنصر.

وهكذا بعد أن ألمت ببعض النماذج المفصحة عن طبيعة التجربة الوجدانية التي لونت نتاج الشعراء الإسلاميين يجمل بي القول إن هؤلاء الشعراء كانوا

(١) شموخ في زمن الانكسار: ١٤٨-١٤٩.

صادقي الالتزام بالإسلام ديناً ومنهاجاً وشرعية وجهاداً، وقد نفذت هذه المعاني إلى عواطفهم فأذكت فيها روح الصدق والحرارة الدافقة. كما نفذت إلى الأسلوب فجاء معظمه مطبوعاً واضحاً لا تكلف فيه ولا غموض. وجاءت الألفاظ والتراكيب مقدودة على قدود المعاني مناسبة لها لا تزيد عن المعنى ولا تنقص عنه. ومن اللافت للنظر كثرة استخدام الشعراء أسلوب التكرار - كما رأينا في النماذج السابقة - مما أضفى على الأبيات إيقاعات مميزة واستوعب المعاني وأكدها فكان عفويّاً غير متكلف.

المبحث الثاني

الوحدة العضوية

الوحدة العضوية: هي ((وحدة الموضوع ووحدة الشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر))^(١).

((فليست القصيدة خواطر مبعثرة تتجمع في إطار موسيقي؛ إنما هي بنية نابضة بالحياة، بنية تتجمع فيها إحساسات الشاعر وذكرياته لتكون مزيجاً لم يسبق إليه من الفكر والشعور))^(٢).

وكلا التعريفين يؤكد أن الوحدة العضوية هي وحدة تقوم على الشاعر النفسية التي يملئها الوجدان، وهذه الوحدة النفسية قد تتشابه فيها الموضوعات وتتوارد فيها الأفكار والخواطر، ما دامت النفس هي التي تملئ هذه الوقائع وتنظمها في خيط واحد يسري متصلاً في أبيات القصيدة من أولها إلى نهايتها محدثاً أثراً فعالاً في نفس القارئ.

(١) النقد الأدبي الحديث: ٣٧٣.

(٢) في النقد الأدبي: ١٥٣.

والناظر إلى الشعر الإسلامي في القضية الفلسطينية يرى أن كثيراً من الشعراء قد حققوا هذه الوحدة؛ إذ انتظمت قصائدهم وحدة عضوية ونفسية تقوم على المشاعر النفسية التي يملها الوجدان.

ومن ذلك قصيدة ((فراق وأشواق)) التي يث الشاعر أحمد الصديق فيها شجونه وآلامه إثر فراقه لأهله ووطنه، وذلك في سياق قصصي تلتحم فيه الأبيات وترتبط ارتباطاً عضوياً. يقول^(١):

كانوا وكان الحبُّ والأملُ وتفرقوا فالدمعُ ينهملُ
بالأمسِ ولّوا عن مرابعهم وتشعبتْ في الغربةِ السُّبُلُ

ثم يلتفت - في عفوية بالغة - إلى ذاته ومشاعره في غربته الموحشة؛ ليصف أوضاعه بعد فراق الأحبة، وإحساسه بالوحدة والوحشة:

كلُّ الأحبةِ هاجروا وأنا وحدي هنا تتابني العللُ
واحرَّ قلبي بعد غيبتهم في أي أرضٍ يا تُرى نزلوا؟

وتسلمه هذه المشاعر إلى حالة من اليأس، فيصف غربته الطويلة بقوله:

أحلامي الخضراءُ قد ذبلتْ والروضُ يلوي زهرهُ الأجلُ
ويداي ترتعشان من وهنٍ وشبابي المحزونُ يكتهلُ

فقد كانت له أحلام مستقبلية خضراء، أصبحت اليوم ذابلة، وذهبت أدراج الرياح. كما أذابت الغربة جسمه وأوهنته فقدا كهلاً تثقله هموم والأحزان.

(١) قادمون مع الفجر: ٦٣-٦٥.

ثم يضيف لبنة أخرى في بناء القصيدة المتكامل، حين يتحدث عن ذكريات الأحبة وما خلفوه من آثار في أنحاء البيت الذي كان عامراً بهم:

أطيفأفهم في البيتِ تصحبي وتحفني النظراتُ والمقلُ
وأحسُّهم في كل زاوية ضمتْ خيالاتِ الألى رحلوا
وأشمُّ أثواباً لهم تُركتْ من أدمعي في طيِّها بَلَلُ

ثم يرى صاحبنا مفردات المكان تشاطره معاناته، فالموقد سهده طول الفراق، وصار يعاني طول الصمت بعد أن كان يشهد أصوات الراحلين وجلبتهم، وشجرة الزيتون افتقدتهم كذلك، وكذا المقعد المهجور، والملاعب الموحشة، والسفح والجبل. يقول:

الموقدُ الوسنانُ سهده طولُ النوى والصمتُ والوجلُ
وشجيرةُ الزيتونِ مطرقةُ والمقعدُ المهجورُ يتهلُ
وملاعبُ الأطفالِ موحشةُ من بعدهم والسفحُ والجبلُ

ثم يقدم خلاصة لمشاعره وانفعالاته في بيت واحد يوجز فيه شدة معاناته، إذ يقول:

الشوقُ في الأعماقِ محتدمٌ والفكرُ مهمومٌ ومنشغلُ

وبعد هذه الهواجس الأليمة تتطلع نفس الشاعر - في انتقال عفوي تلقائي - إلى التفكير في المستقبل المشرق الذي يتمناه، فيلتئم الشمل البديد، وتندمل جراح القلب، حين يعود الأحبة بعد طول غياب؛ فيحل الفرح محل الحزن وتبدد أنوار اللقاء ظلمات الغربة والمعاناة يقول:

فمتى سيلتئم الشتات متى يا ربَّ جرحُ القلبِ يندملُ؟!
ويؤوب بعد البين غائبهم وبعودة الأحياءِ نحتفلُ
ويضمنا عشَّ فهمٍ به والعينُ بالأضواءِ تكتحلُ
حيثُ الطفولةُ والصبا درجا حيث الرضا والطهرُ والجدلُ

وفي نهاية المطاف يقدم الشاعر وعداً تبدو فيه اللوحة الحزينة السابقة ذات طابع إيجابي، مشيرة إلى بداية تحرك المغترب، وتظهر فيها بوادر الثورة، فيختم أبياته بقوله:

الحر لا ينسى وشائجَه أبداً إذا ما الناس قد غفلوا
وطنُ الفتى أغلى وإن عذبتُ في غيره الأمواه والظللُ
وإذا دعا الداعي لنصرته ألفيته كالبرق يمشلُ

فكانت هذه الأبيات خاتمة لقصة المغترب الذي قرر في نهاية حكايته أن الحر يرفض -من أعماقه- أن تسرق أرضه وأن يبقى مشرداً. ويؤكد تصميمه على الرجوع إلى أرضه. ولسانه يردد عبارات حارة تعصف في رأسه، لتدفعه إلى المضي قدماً نحو تحرير أرضه في عزم وثورة وتصميم.

وهكذا رأينا الشاعر يحسن الانتقال بين الأفكار في قصيدته حتى انتهى إلى خاتمة استلزمها ترتيب الأفكار والصور.

وفي قصيدة ((الأطفال الزلزال)) للشاعر عمر الأميري نلمس البناء العضوي للقصيدة متامياً متكاملاً بتقدم الأبيات وتتابعها.

فنسمع الزلزلة الكبرى -التي أحدثتها الانتفاضة المباركة- في المطلع الذي اختاره الشاعر، إذ قال^(١):

اللهُ أَكْبَرُ دَوَّتْ تَزَلُّزُ الكُفَّارِ
هي الغيوبُ تنادي أن الزمانَ استدارا

بهذا المطلع الهادر استهل الشاعر قصيدته، مما أشعنا بإيدان فجر الثورة والنهوض، فهذه بشارت الصحو والانتفاضة تظهر عنيفة بارزة:

فصْحوةٌ تتنامى قد عَمَّتِ الأمصارا
والله يهدي ويرعى رجالها الأبرارا

فالصحو قد عمت أمصار الإسلام قاطبة، وقادها رجال أبرار، ثم خص فلسطين بعد هذا الحديث العام فقال:

وفي فلسطين زحفٌ يشتل ليلُها

وهكذا قرر الشاعر أن الانتفاضة كانت باكورة ثمار الصحو الإسلامية التي عمت أقطار الإسلام في كل مكان، ثم بدأ في ذكر تفاصيل هذه الثورة. فقال:

تلاحمٌ وامتدادٌ فالكلُّ جدٌّ وثارا
بأسٍ عنيدٍ وطيدٌ قد وُحِدَ الأعمارا

ثم يضيف تفاصيل أخرى عن هذه الانتفاضة، فقد شارك فيها قطاعات الشعب كافة من كبار وصغار، ورجال ونساء. يقول:

(١) حجارة من سجيل: ٧١-٧٤.

فَسُرُّبُ طِفْلٍ غَرِيضٍ لِلْحَقِّ رَدُّ اعْتِبَارَا
صَارَ النِّسَاءُ رَجَالاً قَادَ الصَّغَارُ الْكِبَارَا
مَنْ كَلَّ فَجَجٌ عَمِيقٍ أَفْوَاجُهُمْ تَبَارَا

ثم قدم خلاصة لهذه الثورة، وقرر أنها ليست مجرد انتفاضة لا تلبث أن تهدأ، وإنما هي جهاد إسلامي:

وَلَيْسَ ذَاكَ ((انْتِفاضاً)) بَلِ الْجِهَادُ اسْتِطَارَا
الْعِزُّ فَلَ حَديدٌ وَالْكَفُّ تَرْمِي حَجَارَا
فَكُلُّ قَذْفَةٍ زَنَدٍ تَصُدُّ نَمَّ عِيارَا

وبعد هذه الأفكار المتتابعة في تلقائية وانسجام تأتي الخاتمة البدهية. إذ يقول:

يَا قَوْمُ لِلْقَدْسِ شَدُّوا الرُّ حَسَالَ وَارْمُوا الْجَمَارَا
عَلَى طِفْلاً يَهُودٍ بَغَّوْا وَخَانُوا الْجَوَارَا
هَمُّ الشَّيَاطِينِ مَكْرَافٌ عَمَّ السُّدَى كُبَارَا

فأنهى حديثه بالدعوة إلى الجهاد وإبادة العدو الباغي الذي عمَّ فساده الأرجاء. وبذلك حققت القصيدة الوحدة العضوية ووحدة المشاعر الجهادية التي أملاها الوجدان الثائر. فالقصيدة - كما رأينا - دارت حول محور واحد من أولها إلى نهايتها وهو تمجيد الانتفاضة وأبطالها، وإن تعددت اللوحات التي رسمها الشاعر، إلا أنها اجتمعت في لون شعوري واحد، جعلها تتسم بوحدة الأثر، فهي تمثل تسجيلاً أميناً لأحاسيس المسلم الثائر لدينه ومقدساته.

وللشاعر محمود مفلح قصيدة بعنوان ((يا قدس)) جعلها معرضاً لبث آلامه ومعاناته بعيداً عن وطنه، بدأها بهذا المطلع^(١):

من أين أجتريّ الأمواج والسفنأ
وقد عييتُ فما أبصرتُ لي وطناً؟
فهذه هي القضية الكبرى التي تدور حولها القصيدة: اللجوء والترحال عن الوطن. ثم بدأ في تفصيل جزئيات هذه القضية العامة. فقال:

كلّ الطيورِ إلى أعشاشها هرعَتْ
إلا طيوري لا عشاً ولا كفناً
الأربعون مضتْ والهَمُّ يثقلني
وما رأيتُ بدربِ التائهين سناً
وكلما لمحتُ عيناى بارقةً
صرختُ إن قطافَ الجائعين دنأ

وهكذا صور لنا الشاعر رحلة البحث عن وطن، فالطيور تعود إلى أعشاشها، لكن طيور المغترب لا عش لها ولا كفن، وكأنما كتب عليها الموت بعيدة عن وطنها، وأوجز المعاناة الطويلة بقوله: الأربعون مضت فقد تابعت الأعرام على معاناته ولم يرَ بارقة من أمل. وقد بحث عن هذا الأمل في التطلع إلى نصره إخوانه وبني عمومته. فقال:

وللمآذنِ شجوّ في أضالِعنا
لو صادفتُ من بني أعمامنا أذنأ
ولكنها لم تصادف من يسمع أو يعين.

ويختتم الشاعر معزوفته الحزينة بهذا اللحن الباكي الموجه إلى وطنه. فيقول:
يا أيها الوطن المصفودُ معذرةً
إنا نخوضُ إليك الليلَ والحنأ
لي ذكرياتُ بها ترتاحُ قافلتني
ولي سفوحُ إليها كم هفوتُ أنا

(١) نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني: ٩.

فأنهى الشاعر قصيدته بإعلان تشوقه الدائم إلى وطنه رغم الليل الحالك
والحن المتابعة، ففي ربوع وطنه ذكريات يتوق المغترب إليها وترتاح نفسه حين
تذكرها.

وهكذا التحمت أجزاء القصيدة في رباط عضوي قوي هيمن على القصيدة
من أولها إلى نهايتها، محدثاً أثراً نفسياً قوياً في نفوسنا. ومحققاً الوحدة الشعرية
والعضوية في القصيدة.

وفي قصيدة ((رسالة إلى ليلي)) للشاعر أحمد فرح عقيلان يقف الشاعر وقفة
هادئة يسرد فيها أخبار الأهل والأحبة في الأرض المحتلة، فيبدأ بهذا المطلع^(١):

بعد التحيات وأزكى السلام أخبارنا ليست على ما يرام
وبعد هذه التحية التي بدأ بها الشاعر رسالته تتوالى الأخبار في تسلسل وتتابع
منطقي. فيقول:

الربيعُ يا ليلي عفاهُ البلى	والروضُ يا ليلي جفاه الغمامُ
والصمتُ كالموت يلفُ الربا	والبلبلُ الغاوي عصاه الكلامُ
والدوحةُ الغنّاءُ مسكينةُ	ما أزهرت منذُ ثلاثينَ عامُ
وملعبُ الأترابِ مستوحشُ	يسأل ليلي عن أخيها عصامُ

عرض الشاعر في الأبيات السابقة صوراً من الأماكن المهجورة في الأرض
المحتلة، فالرياض جفاها المطر، والصمت يغلف الربا، والبلابل كفت عن السجع،
والأشجار جفت، وملاعب الأتراب موحشة.

(١) رسالة إلى ليلي: ٩-١١.

ثم يستمر الشاعر في الحديث عن الديار المهجورة ويضيف إليها ما اقترفته يد الإحرام الصهيوني، مما مثل لبنة أخرى في التصميم الهندسي للأبيات. إذ يقول:

وَحَقْلُنَا الْمُعْطَاءُ خَيْرَ أَثَرِهِ	نَهَبُ الْعِدَا وَهِيَ عَلَيْنَا حَرَامُ
وَالْحُبُّ يَا لَيْلَى وَأَحْلَامُنَا	جَفَّتْ عَلَى قَبْرِ الشَّهِيدِ الْهُمَامُ
وَأَهْلُنَا يَا لَيْلَى قَدْ أُدْرِجُوا	فِي كَفَنٍ مِنْ بَالِيَاتِ الْخِيَامِ
وَالْمَسْجِدُ الْمَعْهُودُ فِي حَيْثَا	فِيهِ النَّدَامَى يَكْرَعُونَ الْمَدَامُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ آثَارِنَا حَوْلَهُ	إِلَّا بَقَايَا مِنْ دِمَاءِ الْإِمَامِ

وهكذا عرض الشاعر صوراً من جور العدو وممارساته التعسفية، فالحقل نهبت خيراته، والأحلام ذبلت على قبور الشهداء، والأهل مشردون في الخيام البالية، والمساجد استبيحت حرماؤها، وقتل من فيها. وفي هذه الصور الحزينة امتزجت المقاطع الشعرية في بنية القصيدة بحيث تحركت القصيدة إلى النهاية المنطقية، لإحداث الأثر المقصود منها، فنجد في المقطع الأخير يقول:

أَبْعَدَ هَذَا يَا مُنَى مُهْجَتِي أَطَرَقُ أَحْلَامَ الْهَوَى أَوْ أُنَامُ؟

فجملة (أبعد هذا) مهدت للانتقال إلى الفكرة الأخيرة حتى لا يكون انتقالاً مفاجئاً مما جعل الكلام يتصل ببعضه اتصالاً لطيفاً، بلا انفصال للمعنى الأخير عما قبله، بل كان متصلاً به وممتزجاً معه، لنسمعه يقول في حديث ناثر:

لَا عَشْتُ يَا لَيْلَى إِذَا لَمْ أَثُرْ	كَمَا يَثُورُ اللَّيْثُ إِذْ يَسْتَضَامُ
غَدَا سَأَلْقَاكِ وَفِي عَرْسِنَا	تَحْتَفِلُ الدُّنْيَا بِنَصْرِ الْكِرَامِ
شَعْبِكَ يَا لَيْلَى وَإِنْ شُرِّدُوا	قَوَافِلُ مِنْ كُلِّ شَهْمٍ هُمَامِ

ما غيروا يوماً ولا بدّلوا ولا استكانوا لرهيبِ الحِمَامِ
تجارةُ الأرواحِ في سوقِهِم وغيرُهُم قد تاجروا بالكلامِ
إياكِ يا ليلي أن تيأسي فالفجر أقوى من جيوشِ الظلامِ

يقدم الشاعر إلى ليلاه وعداً بأن يثور ثورة الليث إذا استبيح عرينه، وحينها تحتفل الدنيا بالنصر المؤزر، ثم يكشف عن شخصية ليلاه في قوله: ((شعبك يا ليلي)) إنها بلاده الحبيبة التي شرد أهلها في كل مكان، ولكنهم رغم ذلك كله لن يستسلموا للموت بل سيتاجرون بأرواحهم شهداء في سبيل الله، في حين يتاجر غيرهم بالكلام فحسب، ثم يحذر من اليأس لأن ((الفجر أقوى من جيوش الظلام)).

وهكذا ارتبطت مقاطع القصيدة -بل الرسالة- وتلاحمت، فأتت الصورة الشعرية وكأنها لوحة فنية يربط بين أجزائها الحالة النفسية ذاتها؛ مما يدل على الطاقة التعبيرية الكبيرة لدى الشاعر وتمكنه من السيطرة وتوجيه مجريات النص الشعري.

وعلى لسان الشهيد يجري الشاعر صالح الجيتاوي قصيدته ((هتاف المجاهد الشهيد)) ويبدوها بهذا المطلع^(١):

ربطتُ على قلبي وأرخيتُ غضبي وقلتُ لنفسي: دونك اليومَ أفلي

وبعد هذا المطلع الذي يوجه فيه الحديث إلى نفسه، يتابع الشاعر بناء قصيدته مستمراً في توجيه الحديث إلى نفسه المتمردة، فيقول:

(١) صدى الصحراء: ٦١-٦٢.

فيا طالما قاسيتُ منك مشقةً ويا طالما جاهتني بالتعنتِ
كمهر حرونٍ في الموقف الذي تسامين فيه الضيمَ جَمَّ التغلبِ
أمتيك يوماً فيه أنقع غلتي^(١) وأفري عقلاً صارماً من تعلية^(٢)

إنه يناشد نفسه الإقدام والتوثب بعد طول معاناة من تعنت هذه النفس وعنادها كالمهر الحرون، وبخاصة في المواقف التي تسام فيه الضيم، وهو يتوق إلى يوم يروي فيه ظمأه، ويحقق أمله، فيقطع حبل التكاسل والتعلل بالأسباب الواهية.

ثم تتجمع إحساسات الشاعر لتضيف لبنة أخرى إلى بناء القصيدة وذلك حين يطلق الشاعر إसार نفسه ويأمرها بالإقدام في عزيمة وهمة لا تتردد، ويجعل مداها رحيباً في الآفاق فلا تتوقف إلا على هام النجوم. يقول:

وها قد أتاك الوعدُ فانطلقني على مداك ولا تُصغي ولا تتفلي
مواردك الآفاقُ والكونُ ساحةً فلا تقفي إلا على هام نجمة

ويتابع الشاعر أبياته في حديث متدفق يأخذ بعضه برقاب بعض في نحو عضوي ظاهر، إذ يقول:

قضيتُ حياتي في عناءٍ وكربةٍ على الصبرِ والآمالِ نومي وصحوتي
أطامن من كبري وأكبت لوعي وأطفئ نيرانِي بَشْكَابِ دمعتي
أقول لعل الدهرَ يبرئُ علي ويأسو جراحاتي ويرجو مودتي

(١) نقع الغلة، أي: تسكين الظمأ والمقصود تحقيق الأمل.

(٢) تعلية: تعليل وتبرير.

فلم أره إلا يسنُّ نيوْبَه ولم أره إلا يعمِّقُ نكْبتي

يحكي الشاعر في الأبيات الدوافع التي أملت عليه الثورة وحث النفس على الإقدام، إنها الكربة والمعاناة والصراع بين الشعور بالكبرياء والشعور باللوعة، وإطفاء نيران الجراح بسكب الدموع، وتعليل النفس بالأمان والأمل في ابتسام الدهر، ولكنه كان يزداد شراسة ويمعن في تعميق الحزن والنكبات، وهنا تبلغ عواطف الشاعر مداها وتسير الأحداث نحو النهاية الحتمية حين يقول:

فلما غدا عذري مبنياً ولم أجد مَفْراً من الإقدام أعلنتُ ثورتي
تناولتُ رشاشي وأعليتُ صرختي وكبرتُ للباري وباعدتُ وثبتي
وواجهتُ أعدائي وأحكمتُ ضربتي فأطفأتُ نيري وعانقتُ جنتي

وبهذا أعلن المجاهد ثورته بعد أن لم يعد له عذر، فتناول رشاشه، وأعلى تكبيره، وواجه أعداءه؛ فأطفأ نيران ثورته، وفاز بالشهادة والجنة. إنها قصة شعرية حاكها خيال الشاعر في مهارة وبراعة، وبرزت فيها عناصر القصة والتسلسل المنطقي والحوار. فكانت معانيها منتظمة، وأفكارها مترابطة ونسيجها متلاحماً من مطلعها وحتى نهايتها، كما أنها ذات وحدة نفسية وموضوعية متماسكة.

ويلجأ الشاعر عبد الرحمن العشماوي إلى الحوار القصصي الشعري، فيجري قصيدته على لسان الطفل الفلسطيني الذي أثقلته الجراح، وطال ليل المآسي في حياته، وأقام الأعداء بينه وبين مطامحه سداً من المعاناة والقهر. يقول موجهاً حديثه إلى أبيه^(١):

(١) ديوان الانتفاضة دراسة أحمد الخاني: ١٥-١٧.

أبتاه ما زالت جراحني تترفُ والليلُ أعمى والمدافعُ تقصفُ
بيني وبين مطامحي ألفا يدُ هذي تريقُ دمي وهذي تغرفُ

ثم يوضح الشاعر صورة الألم في هذا القلب الصغير لما يراه من واقع إخوانه المتخاذلين عن نصرته، متناسين واجبهم في الدفاع عن إخوانهم في العقيدة. يقول:

ليلُ التخاذلِ سيطرت ظلماته والقلبُ بالهمِّ الثقيلِ مغلفُ
وتشاءب الصمتُ الطويلُ ومقلتي ترنو إلى الأفقِ البعيدِ وتذرفُ

ويضيف جزءاً آخر من أجزاء هذه الصورة المؤلمة، في تسلسل منطقي، مصوراً حالة الخوف والتمزق وضياح الأمن التي يفرضها المحتل على حياة ذلك الطفل:

وأمامَ بابِ الدارِ يرقُبني الردي وعلى النوافذ ما يخيفُ ويرجفُ
يسومنا الأعداءُ شرَّ عذابهم فإلى متى لعدونا نتلطفُ؟

وفي انتقالة لطيفة أحسن الشاعر حبكها يمضي الطفل نحو أفق الأمل المتصير على ليل الأسى، فنرى فيه نموذجاً للمسلم المتصدي للصعاب والمندفع بقوة الإيمان واليقين. فبعد أن مهد الشاعر لهذه النقلة بالتساؤل السابق: ((فإلى متى لعدونا نتلطف؟)) بدأ بنا رحلة البطولة المتمثلة في ذلك الطفل الذي تحرك حين توقف الكبار! وعزف بالحصى لحن الكرامة والبطولة. وتحدث بلغة الثورة التي لا يفهم العدو غيرها، فأقض مضاجع المحتل وسلبه الأمن على الأرض التي احتلها ظلماً وعدواناً:

ها نحن يا أبي نعيدُ لقومنا
 طال انتظارُ صغارِكم فتحركوا
 وتلفتوا نحو السلاح فما رأوا
 عزفوا بها لحنَ البطولةِ والحصي
 هذي الحجارةُ يا أبي لغةُ لنا
 جيشُ الحجارةِ يا أبي متطورٌ
 أنا لا أتوقُّ إلى الغناءِ وإنما
 بيني وبين حصي بلادي موعدٌ
 يتعودُ الرشاشُ من طلقاتها
 لغةُ الحجارةِ يا أبي رسمتُ لنا
 شرفَ الدفاعِ عن الحمى ونشرفُ
 لما رأوا أن الكبارَ توقفوا
 إلا الحصى من حولهم تلهفُ
 ي كفُّ من يأبى المذلةَ تعزفُ
 لما رأينا أننا لا ننصفُ
 والمعتدي بسلاحه متخلفُ
 موتُ الكريمِ على الشهادةِ أشرفُ
 ما كان يعرفه العدوُّ المرجفُ
 ويفرُّ منه المستبدُّ الأجوفُ
 وعدَّ الإباء. ووعدُها لا يُخلفُ

ثم يتابع الطفل حديث الثورة موقداً الحمية في نفوس أبناء الأمة، حيث يهيب
 بهم على لسان الحجر بأن يعودوا إلى فريضة الجهاد، ويرفضوا واقع التخاذل؛
 لتنبعث الروح في هذا الجسد الفاني:

وغدتُ تنادينَا نداءً صادقاً
 لا تألفوا هذا الركونَ إلى العدا
 هزوا سيوفَ الحقِّ في زمنٍ على
 وفؤادها من ضعفنا يتأففُ
 فالمرءُ مشدودٌ إلى ما يألَفُ
 كتفيه من ظلمِ العدا ما يُجحفُ

ويختتم الشاعر قصيدته في عفوية بالغة بنتيجة طبيعية تطلبها السياق، وهي
 الدعوة -على لسان ذلك الطفل- إلى الرجوع إلى طاقة الإيمان المعطاءة؛ لتمضي
 ككائب الجهاد في سبيل الله، وتعود راية الإسلام عالية خفاقة، ويعود للأمة مجدها
 التليد. يقول:

يا زورق الأحلام في بحر الأسى هذي يدي رغم القيود تُحدِّفُ
واجهتُ يا أبتِ الخطوبَ وعُدَّتِي قلبُ عصاميٍّ وحسُّ مُرَقَفُ
وتوجُّهُ لله يجعل هامي أعلى وإن جار الطغاة وأسرفوا
أبتاه لن يحمي حمي أوطاننا إلا حسامٌ لا يُفلِّ ومصحفُ

وبذلك رأينا الشاعر العشماوي في هذه القصيدة قد رتب أفكاره ترتيباً يقوم على النمو المطرد، بحيث نشأت الموضوعات عن بعضها نشوءاً تلقائياً مقنعاً وتحققت في القصيدة الوحدة العضوية والنفسية.

وجملة القول إن الشعراء الإسلاميين قد فطنوا إلى الوحدة العضوية والنفسية وطبقوها في أشعارهم إلى حد كبير، وبخاصة في القصائد التي حملت الطابع القصصي. ففيها ظهر البناء العضوي أكثر تماسكاً وتلاحماً ووضوحاً. وبتتبع ما جاء في القصائد السابقة من صور ومشاعر وأفكار نراها ملتحة التحاماً عضوياً شديداً ومرتبطة بالموقف النفسي العام ((إن القصيدة وحدة تامة أو نسيج تام، لا يمكن جذب خيط منه دون أن يختل نظامه، بل هي بنية عضوية نامية، فأجزاؤها تتابع متسلسلة متلاحقة، قد تركب بعضها فوق بعض))^(١).

(١) في النقد الأدبي: ١٥٩.

المبحث الثالث

الخيال الإبداعي

((الخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم، وهم لا يؤلفونها من الهواء، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها، تختزنها عقولهم وتظل كامنة في مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها، صورة تصبح لهم لأنها من عملهم وخلقهم))^(١).

كما يمكن تعريف الخيال بأنه ((نوع من الحدقة الداخلية التي تحول المشاعر السلبية إلى رؤيا، وتنقل التجربة من شيء يعاني إلى شيء يبصر ويفهم، والخيال بذلك معبر يصل المادة بالروح، والروح بالمادة، ناقلاً التجربة، في الآن ذاته، إلى طور التجسيد، وهو الذي يحتضن العالم الخارجي بجموده وثباته ومعطياته الدائمة ويبدعه من جديد تحت وطأة الانفعال))^(٢).

وقد تميز الشعر الإسلامي - في مجموعه - بالحرارة والصدق والعاطفة الدافقة لذلك عمد الشعراء إلى الصورة البيانية المعبرة من تشبيهات واستعارات وكنيات تصور ما يمور في نفوسهم من إحساس صادق من غير ما تكلف أو تصنع.

ويمكن تقسيم الصور لدى شعرائنا الإسلاميين إلى صور جزئية وصور مركبة كلية:

(١) في النقد الأدبي: ١٦٧.

(٢) نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص: ٢٠٧.

١- الصور الجزئية: وتشمل الكلام على التشبيه والاستعارة والكناية.

أ- التشبيه:

استعمل الشعراء التشبيه لاستيعاب المعاني واستيفائها. ومن هذا قول الشاعر يوسف العظم واصفاً القدس^(١):

تلك العروسُ التي باهى الشهيدُ بها ومهرُها من دمِ الأحرارِ مطلولُ
إنه تشبيه قوي مؤثر، فقد شبه القدس بالعروس التي تزف إلى الشهيد، وجعل مهرها الدماء الحرة التي غلت في عروقه ودفعته إلى الجهاد.

وفي القصيدة ذاتها يستلهم الشاعر التاريخ المجيد فيرى القادة الأفذاذ يشاركون في الجهاد، ويشبه جعفر بن أبي طالب بالليث. فيقول^(٢):

وجعفرٌ جاثمٌ كالليثٍ يرقبها وقد أطلَّ ينجيها شَرَحْبِيلُ
ويشبه الشاعر -نفسه- أبطال الحجارة بالطير الأبايل التي بعثها الله لترجم العدو بحجارة من سجيل^(٣):

حجارةُ القدسِ نيرانٌ وسجيلُ وفتيةُ القدسِ أطيَّارُ أباييلُ
ويشبه الشاعر أحمد الصديق دوي التكبير بالبراكين والرعود وهي صورة مفعمة بالقوة والحركة^(٤):

(١) الفتية الأبايل: ١٤.

(٢) المرجع نفسه: ١٥.

(٣) المرجع والصفحة نفسها.

(٤) هكذا يقول الحجر: ١٦.

صبيحة التكبير تحدو ركبها كالبراكين تدوي كالرعود
وفي قصيدة ((قالوا هو العيد)) يشبه الشاعر شعائر العيد بالسنن الهادي،
وأفراحه بالروض الذي فاح عبير أزهاره^(١):

قالوا هو العيدُ قد هلتْ بشائره فأشرقتْ كالسنن الهادي شعائره
يمتد جسراً من الأفراح متصلاً كالروض فاحت على الدنيا أزهاره

كما يشبه تفرق الشمل بالريشة الحيري في مهب الريح. حيث يقول^(٢):
والشمل كالريشة الحيري يبعثره صرفُ النوى والعوادي لا تغادره
ويشبه حلكة الظلام بالأشباح المخيفة في قوله^(٣):

وحالك الليل أشباح مروعة لكنما الفجر مهما طال قاهره
وفي قصيدة ((يا أمي)) يخاطب الأمة التي غدت كاللعبه في يد الخصوم.
فيقول^(٤):

عجباً كأنك لعبه في قبضة الخصم اللدود!
وفي قصيدة ((طفل فلسطين المارد)) يشبه الشاعر الأميري طفل الانتفاضة
بالشهاب في انقضاضه واندفاعه نحو العدو^(٥):

(١) جراح وكلمات: ٣١.

(٢) جراح وكلمات: ٣٤.

(٣) المرجع نفسه: ٣٤.

(٤) نداء الحق: ١٢٣.

(٥) حجارة من سجيل: ٧٥.

ضاق بالقممِ واسـ ——— تتعلّى عليه فتكسّرُ
وانبرى من سجنه مثـ ——— ل شهابٍ وتحرّرُ

كما شبهه بالصاعقة المرسلّة لتحرق جند صهيون^(١):

إنه ينقضّ لا يثـ ——— فضّ مثل الصاعقة
من سموات الهدى والـ ——— حقّ حرّت حارقـ

ويشبه الشاعر عبد الرحمن العشماوي علو منزلة المسلمين المجاهدين الأوائل بمنزلة الشهب. فيقول^(٢):

بالأمس كُنّا نوازي الشهبَ منزلةً واليوم تسخرُ من إغضائنا الشهبُ

وفي القصيدة ذاتها يشبه الحقيقة بالشمس في وضوحها، وذلك في معرض حديثه عن الضلال والتخبط الذي يجياه الإنسان في هذا العصر^(٣):

يرى الحقيقة كالشمس التي برئت من الغيوم فيرضى السير في الظلم

ويشبه الشاعر محمد نبيل الأصباشي العدو المخادع بالذئب. فيقول^(٤):

لا تمادنْ ولا تعاهدْ عدواً ما عهدنا في الذئب لين الأظافر

وهو تشبيه ضمني.

(١) حجارة من سجيل: ٥٧.

(٢) قصائدي إلى لبنان: ١٧.

(٣) المرجع نفسه: ١٩.

(٤) لحن الجراح: ٨٨.

ويشبه تلاشي أبحاد الماضي بتلاشي الأفكار والخواطر^(١):

ما لتلك الأبحادِ غاضتْ فأضحتْ يوم بادتْ كأنها طيفٌ خاطِرٌ؟

ويصف نداء الهدى حينما يشق ظلمة الضلال. فيقول^(٢):

فأبشِرْ أيها المأفونُ واسمَعِ نداءً هدى يرتلُه النبيُّ
فيزهو في ليالٍ داجياتٍ كما الجوزاء طالُعُها بهيُّ
كأن البدرَ فيه قد تجلَّى على الظلماءِ وهو بها رَضِيُّ

فهذا النداء له نور كالجوزاء ذات الضياء البهي، وهو كالbدر الساطع في الدجى.

ويشبه الشاعر أحمد عقيلان خفق راية التوحيد بالإعصار المدوي؛ لأنها رمز القوة والنصر. يقول^(٣):

وجلجلتْ رايةُ التوحيدِ تحرسُنا كأنما خفقُها أنفاسُ إعصارِ

كما شبه الشاعر -في القصيدة نفسها- الجيش إذا تجرد من إيمانه وعقيدته بالقطيع من الضأن يساق إلى حتفه^(٤):

والجيشُ من دون إيمانٍ ومعتقدٍ ضأنٌ يساقُ إلى حانوتِ جزارِ

(١) لحن الجراح: ٨٨.

(٢) المرجع نفسه: ٩٣.

(٣) جرح الإباء: ٢١.

(٤) المرجع السابق: ٢٣.

وفي معرض الحديث عن الحنين إلى الماضي السعيد. يقول كمال رشيد^(١):

أعيشُ في قريتي طيراً على فَنَنِ أشدو وأطربُ سُمَارِي بتلحييني
والبرتقالُ على أغصانه دُرُرٌ والريحُ عطرٌ بأنواع الرياحينِ

وهكذا جمع في البيتين ثلاثة تشبيهات متتابعة، حيث شبه نفسه بالطير المفرد، وشبه البرتقال على الأغصان بالدرر، وهبوب الريح بعبير الرياحين.

ويشبه موطنه بجنة الفردوس. فيقول^(٢):

وغادروا جنة الفردوسِ في أَسَفٍ واستوطنوا في خيامِ الذُلِّ والهونِ
وهي تشبيهات توحى بالسعادة والبهجة التي كان يجيهاها الشاعر في موطنه.

ويشبه داود معلا أمة الإسلام باليتيمة الباكية لتخلي أهلها عنها^(٣):

يتيمةُ أمةِ الإسلامِ مغمدةٌ سيوفُها وهي تبكي الحقَّ مغتصبا

وهكذا أدى التشبيه دوره أحسن الأداء وأبلغه حيث كان له هذا الأثر الذي نلمسه في النفس، والإقناع البارز في الوجدان.

ب- الاستعارة:

ومن الاستعارات الجيدة التي استمدتها الشعراء من مخيلتهم الفياضة ومن

عواطفهم المتقدة ما يلي:

(١) شلو الغرباء: ٧٨.

(٢) المزجع والصفحة نفسها.

(٣) الطريق إلى القدس: ١٥.

يشخص الشاعر يوسف العظم الحجر القدسي بصورة حية، فهو يتكلم ليث العزيمة في نفوس الثائرين. فيقول^(١):

تكلم الحجرُ القدسيُّ فانتفضتْ سواعدُ الصَّيدِ واندكتْ أباطيلُ

فشبه الحجر بالإنسان المتكلم وحذف الإنسان وجاء بصفة من صفاته وهي الكلام، على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية. وهي استعارة ساعدت على خلق الصورة التي شاء الشاعر أن يبرزها لنا.

ومترلة الشهداء مترلة رفيعة عند شعرائنا. فهذا الشاعر أحمد الصديق يستعير لأرواحهم صفة الأقلام التي تخلد أسماءهم إلى الأبد. فيقول^(٢):

يا رجالاً سَطَرَتْ أرواحُهم بالدمِ الساطعِ أمجادَ الخلودِ

شبه الأرواح المبذولة في سبيل الله بالأقلام التي تسطر المآثر والأجاء، حذف الأقلام وجاء بصفة من صفاتها وهي التسطير. فجاءت استعارة مصورة حال الشهداء أصدق تصوير.

ويتحدث الشاعر إلى بلاده مشخصاً إياها. فيقول^(٣):

اذكري التاريخَ ثم ارتقي فجرنا رَغمَ دياجيرِ الهزيمةِ

(١) الفتية الأبايل: ١٥.

(٢) هكنا يقول الحجر: ١٦.

(٣) جراح وكلمات: ٣٠.

فشبه بلاده بالإنسان وحذف الإنسان وجاء بشيئين من لوازمه وهما التذكر والترقب، على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية. وهي استعارة أحسن الشاعر استخدامها في موضعها.

كما شخص الإسلام في صورة إنسان له يد، وحذف الإنسان وجاء بلازمة من لوازمه وهي اليد، على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية. فقال^(١):

فقلت: مرحى يدُ الإسلامِ تجمعُنا فيه وتربطُنا حباً أو اصرَّة

واستعار للأرض صفة الاجترار في الحيوان وذكر المشبه الأرض وحذف المشبه به ((الحيوان المجتر)) على سبيل الاستعارة المكنية. فقال^(٢):

والأرضُ تجترُ في أحشائها حمماً ما عاد للحرِّ فيها ما يحاذرُ

ويذكر الشاعر الأمة بمكانتها العالية فوق الأمم. فيقول^(٣):

عودي إلى الإسلامِ عودي وتسلمي عرشَ الوجودِ

فيشبهها بالملكة التي تعود إلى عرشها، فحذف المشبه به (الملكة) وأتى بلازمة من لوازمها وهي (العرش). وهي استعارة مكنية تشخيصية دقيقة في موقعها. حيث تبث في أبناء الأمة روح التوثب والتشوف إلى المعالي.

كما يشخص المسجد الأقصى، ويسبغ عليه الحياة، فهو يشكو ويتفجع^(٤):

(١) جراح وكلمات: ٣١.

(٢) المرجع والصفة نفسها.

(٣) نداء الحق: ١٥٣.

(٤) نداء الحق: ١٥٥.

لا تركوا القبلة الأولى ومسجدها يشكو وكم طال في البلوى تفجعه
 فشبه المسجد الأقصى بإنسان يشكو ويتفجع، فحذف الإنسان وأتى
 بصفتين من صفاته وهما الشكوى والتفجع، على سبيل الاستعارة المكنية
 التشخيصية.

ومن الاستعارات البديعة قوله^(١):

أرواحنا للجهاد الحرّ ظامئة وأصعبُ الشيءِ بالإقدامِ أطوعه
 فشبه الروح بالإنسان الذي يظمأ، فحذف الإنسان وجاء بلازمة من لوازمه
 وهي الظمأ، على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية. وهذه الاستعارة دلالات
 إيجابية قوية.

ومن ذلك أيضاً قوله^(٢):

تلفت أرضنا السمرأ في وجَلٍ فما رأت حولها إلا المرائينا
 شبه الأرض بإنسان تلفت ويوجل ويرى، فذكر المشبه (الأرض) وحذف
 المشبه به (الإنسان)، على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية. وهي صورة فيها
 إسباغ الحياة على الأرض الجامدة.

ويتذكر الشاعر ما خلفه في وطنه من ذكريات فيشخص الموقد ويجعله
 وساناً مسهداً صامتاً وجللاً، فحذف المشبه به (الإنسان) وأتى بأربع صفات من

(١) نداء الحق: ١٥٦.

(٢) نداء الحق: ١٥٨.

صفاته، على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية، وقد أدت الاستعارة هنا دورها على أحسن أداء. قال^(١):

الموقدُ الوسنانُ سهَّده طولُ النوى والصمتُ والوجلُ
ويجعل الشاعر عبد الرحمن العشماوي من الأرض إنساناً ينتحب. فيقول^(٢):
لبنان هذا زمانُ الدمعِ فانتحي فأرضنا منذ طاش السهمُ تنتحبُ
فشبه الأرض بإنسان ينتحب وحذف المشبه به (الإنسان) وأتى بصفة من صفاته وهي النحيب، على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية. ويخلع على خواطره صفة الاضطراب على صفحة الماء غرقاً وعموماً. فيقول^(٣):

قصيدي قطعةٌ من خاطرٍ لعبتُ به الهمومُ فلم يفرق ولم يغم
حيث شبه خواطره بشيء على سطح الماء يفرق ويطفو، فحذف المشبه به وجاء بصفة من صفاته وهو الطفو والغرق، على سبيل الاستعارة المكنية. وهي استعارة ذات دلالات إيحائية حركية.

ويصور الشاعر محمد نبيل الأصباشي الأمة في صورة إنسان له منكب يزاحم به العروش العالية. فيقول^(٤):

أَوْ يَرْضِيكَ أَنْ تُدَكَّ عُرُوشُ زاحمت منكب العُلا بالمفاخر؟

(١) قادمون مع الفجر: ٦٤.

(٢) قصائدي إلى لبنان: ١٦.

(٣) المرجع نفسه: ٢١.

(٤) لحن الجراح: ٨٨.

فشبه الأمة بالإنسان، وحذف المشبه به، وأتى بأحد لوازمه وهو المنكب، على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية. وهي استعارة قوية ألبت المعنى ثوباً قشياً.

ومن الاستعارات البارة قول الشاعر أحمد فرح عقيلان^(١):

يا عيدُ يا مائماً للأهل والدار لا عدت إن لم يُزَيِّنْكَ الدَّمُ الجاري

فشبه دم الشهداء بالزينة التي تزين الأعياد، لأن الجهاد والاستشهاد هما طريق النصر المأمول. فذكر المشبه (الدم) وحذف المشبه به (الزينة) على سبيل الاستعارة المكنية.

ويوجه الشاعر -نفسه- حديثه إلى قادة الأمة مصوراً الإسلام بأنه السهم الذي يجب أن يُرمى به أعداء الإسلام، أما غيره من الدعاوى الباطلة فلا قيمة لها البتة. يقول^(٢):

يا قادة الأمة الغراء أمئنا إذا رمت بسوى الإسلام لم تُصِبْ

فشبه الإسلام بالسهم المسدد نحو الأعداء، فذكر المشبه، وحذف المشبه به، وأتى بصفة من صفاته وهي الرمي، على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن الاستعارات البديعة قول الشاعر عمر الأميري^(٣):

في مطمحي أمل لم تحب جذوته برحمة الله والأعباء في عُنْقِي

(١) جرح الإباء: ٢١.

(٢) المرجع نفسه: ٢٨.

(٣) من وحي فلسطين: ١٦٥.

فشبه الأمل بالنار ذات الجذوة، فحذف المشبه به (النار) وأتى بلازمة من لوازمه وهي الجذوة، على سبيل الاستعارة المكنية. وهي استعارة بارعة تتسم بالجدة والإبداع.

ويستعير الشاعر عبد الرحمن بارود صفة الولادة للفجر الآتي، وصفة الرحيل لليل في نظرة مستقبلية متفائلة. فيقول^(١):

أرى في سماء الشرق ميلادَ فجرٍنا الـ -جديدٍ وأنّ الليلَ -يا قلَسُ- راحلُ

فشبه الفجر بكائن حي يولد، فحذف المشبه به وأتى بصفة من صفاته وهي الولادة، وشبه الليل بإنسان يرحل، وحذف المشبه به، وأتى بصفة من صفاته وهي الرحيل، وهما استعارتان مكنيتان جاءتا في موقعهما، وأضفتا على المعنى إيجاءات قوية.

جـ - الكناية:

ولشعرائنا في باب الخيال كنايات جميلة صوروا فيها المعاني الإسلامية الرفيعة، ومن ذلك إبراز فكرة العزة والشمم برفع الرأس والجباه عالياً. ومن ذلك قول الشاعر أحمد الصديق^(٢):

وجباهاً للْعُلَا شامخةً تتحدى جاوزتْ كلَّ السدودِ

فكنى عن العزة والتشوف إلى المعالي بالجباه الشامخات.

وقوله^(١):

(١) قصائد وأناشيد للاتفاضة: ٥٦.

(٢) هكذا يقول الحجر: ١٦.

وأرى جبينك في المنافي شامخاً رغم الخطوب هناك تعصف أو هنا
كنى بالجبين الشامخ عن الصمود والأنفة والعزة.
وقوله^(٢):

وعلى حراب الغاصيين بقيةً من مهجتي لكن رأسي ما انحنى
فكنى بعدم انحناء الرأس عن الإباء والعزة والشمم.
وعبر الشاعر عمر الأميري عن هذا المعنى فقال^(٣):

ونما ثم نما في الرف ——— ضي جباراً عنيدا
يركب الموت ليحيا رافع الرأس مجيدا
فكنى برفع الرأس عن الحياة في عزة وإباء.
وقوله^(٤):

ما لي أرى الصخرة الشماء في كمدٍ تذوي وعهدي بها مرفوعة العنق
فكنى عن العزة والمنعة برفع العنق.
وقول الشاعر أحمد حسن القضاة^(٥):

(١) جراح وكلمات: ٤٥.

(٢) المرجع نفسه: ٤٦.

(٣) حجارة من سجيل: ٧٥.

(٤) من وحي فلسطين: ٦٥.

(٥) بشراك يا قلنس: ٦.

سأعودُ مرفسوعَ الجبيس — سن إلى بلادي الطاهرة
فجعل رفع الجبين كناية عن العزة والسؤدد، وفي المقابل الكناية بطأطأة
الرأس عن الذلة والانكسار.

يقول الشاعر داود معلاً^(١):

إذا نظرتُ إلى الأقصى يعاتبني أطأطئ الرأس في محرابه أدبا

فكنى بخفض الرأس عن الخضوع والانكسار.

ويقول الشاعر أحمد عقيلان^(٢):

وطأطأتُ هامةً التاريخ من خجلٍ وديس في الترب عز الشرق والعرب

جعل طأطأة الرأس كناية عن الخجل والانكسار.

ومن الكنايات الأخرى قول الشاعر أحمد الصديق^(٣):

إخسوة الإسلام أحفاد الألى فتحوا الدنيا وما خانوا العهد

فكنى عن الالتزام بالإسلام بالحفاظ على العهد.

وقوله مستخدماً الكناية والاستعارة معاً^(٤):

رضعوا فيها المعالي مثلما رضعوا الآلام في عمر السورود

(١) الطريق إلى القلص: ١٩.

(٢) جرح وإباء: ٢٦.

(٣) هكذا يقول الحجر: ١٦.

(٤) المرجع والصفحة نفسها.

فكنى عن صغر السن بقوله: ((في عمر الورود)). واستعار الرضاعة للمعالي، فشبه المعالي بشيء يرضع، فحذف المشبه وجاء بلازمة من لوازمه وهي الرضاعة على سبيل الاستعارة المكنية.

كما استعان بالكناية في قوله^(١):

بالصدرِ يستقبلُ النيرانَ مقتحماً لا يرهَبُ الموتَ إن دارتْ دوائرُهُ

فكنى عن الشجاعة باستقبال الأهوال بالصدر.

وفي معرض السخرية من القرارات الجوفاء، قال الشاعر عبد الرحمن العشماوي^(٢):

جاؤوا إليك قراراتٍ مزججرةً أوراقُها في مهبِّ الريح تضطربُ

فكنى عن عدم فائدة هذه القرارات بهذه الكناية الجميلة. ((أوراقها في مهب الريح تضطرب)).

ويقول في قصيدة ((يا ضيعة الحق))^(٣):

لمن أغني وآمالي محطمةٌ في عالمٍ قد بلاه الله بالصَّمَمِ

فكنى عن سكوت العالم أمام المآسي التي يشهدها الشعب الفلسطيني بالصمم.

(١) جراح وكلمات: ٣٤.

(٢) قصائدي إلى لبنان: ١٤.

(٣) المرجع نفسه: ١٩.

ويكني الشاعر الأصباشي عن الفساد والإفساد الذي ينشره العدو في كل مكان وعن تمتعه بخيرات البلاد فيقول^(١):

كيف والنارُ تستبيح حمانا والروابي غدت تلالَ مقابر؟
والعدوُّ اللدودُ يَنْعُمُ بالأمم — إن هنيئاً الكرى قريرَ المحاجر؟

ومن كنياته التي صاغها في براعة قوله^(٢):

إيه يا قدسُ لم يعد سيفنا اليو مَ فرئاً وكان بالأمسِ باتر
فكنى عن ماضي الأمة المجيد بحدة السيف، وكنى عن الحاضر الأليم بعدم الحدة فيه.

ويكني الشاعر أحمد عقيلان عن هوان الشعوب إذا ضلت وعميت عن الحقيقة. فيقول^(٣):

إن الشعوب إذا ضلت حقيقتها أمسى بها العبدُ نخاساً لأحرار

كما استعان الشاعر داود معلا بالتشبيه والكناية في قوله^(٤):

يتيمةُ أمةِ الإسلامِ مغمدةٌ سيوفُها وهي تبكي الحقَّ مغتصباً

فشبه الأمة باليتيمة وهو تشبيه بليغ، وكنى عن قعود الأمة عن الجهاد بإغماد السيوف.

(١) لحن الجراح: ٨٨.

(٢) لحن الجراح: ٨٨.

(٣) جرح الإباء: ٢٣.

(٤) الطريق إلى القلنس: ١٥.

وكنى الشاعر الأميري عن العسف الصهيوني بقوله^(١):

ويساق الشعبُ المكبلُ بالأغْـ _____
للالٍ في موكبِ التحررِ سوقاً

ويكنى الشاعر حسان حتحات عن شدة حزنه واكتابه بقوله^(٢):

ولقد برى عودي وأرق مقلتي _____
أني رأيتُ الداءَ لا يتوارى

فكنى عن شدة حزنه بدقة عوده والأرق في عينيه.

٢- الصور الكلية المركبة:

كان لشعرائنا إلى جانب الصور الجزئية (التشبيه والاستعارة والكناية) تصوير كلي مركب تعددت فيه الصور، واجتمعت في أكثر من بيت، فظهرت فيه براعة الشعراء في التصوير ودقة الملاحظة. ومن مواطن هذه الصورة المركبة:

قول الشاعر الأميري في طفل الانتفاضة^(٣):

إنه يـنـقـضُ لا يـثـ _____
فـضٌ مـثـلُ الصـاعـقـةِ
من سـمـاواتِ الهدى والـ _____
حـقٌّ خـرَّتْ حـارقـةُ
بعثتُ من جـنـدٍ ((صـهـيـو _____
ن)) جموعاً ناعقةً

فالطفل البطل يهجم على العدو كالصاعقة المرسلة من السماء تحرق العدو وتبعثر جموعه. فهي صورة مركبة أدت المعنى أحسن أداء.

(١) من وحي فلسطين: ١٦٦.

(٢) جراح وأفراح: ٨٥.

(٣) حجارة من سجيل: ٧٥.

واستمع إليه وهو يدع لنا هذه الصورة^(١):

ولرُبَّ جُرحٍ في فلسطين جرى بدمٍ فأجرى المدمعُ المِدرارا
ما زال ينتظرُ الدواءَ كَتائباً تهوى الحِمامَ وأنفساً أحرارا

فالجرح يجري الدم والدموع الغزيرة، وهو في انتظار الدواء الناجع، وهو الكتائب التي تستعذب الموت في سبيل العقيدة والحرية. وهي صورة غاية في الدقة، حيث يظهر فيها اللون (الدم) والحركة في جريانه من الجراح وجريان الدموع، فصورت هذه الصورة انفعال الشاعر أصدق تصوير.

ومن التصوير الكلي الحركي المركب: قول الشاعر عبد الرحمن العشماوي مصوراً تخاذل المسلمين عن نصره إخوانهم، فهم يطربون لأخبار الموت التي يسمعونها دون أن تحرك فيهم ساكناً وهم مغمدو الأسياف لا نخوة لهم ولا حمية. يقول موجهاً حديثه إلى لبنان^(٢):

جاؤوا إليك وما للموتِ أغنيةٌ إلا وكان لهم من لحنها طربُ
جاؤوا إليك بأسيافٍ ملمعةٍ سهامُهم فوق صدرِ الليلِ تنتصبُ

ففي هذه الصورة عنصر الصوت (أغنية الموت) واللون (أسياف ملمعة) والحركة (السهام المنصوبة).

ومن هذا التصوير قول الشاعر أحمد الصديق مستهزئاً أبناء الإسلام إلى العودة للدين الحنيف؛ لتعود لهم مكانتهم على رؤوس الأمم، بعد هذا الارتحال في دروب الضياع والتخبط^(٣):

(١) من وحي فلسطين: ٩٠.

(٢) قصائدي إلى لبنان: ١٤.

(٣) نداء الحق: ١٢٣.

عودي إلى الإسلام عودي	وتسني عرش الوجود
عودي إلى النبع الأصل	إلى نبوغك من جديد
عودي إلى الأجداد بعد	د متاهة الفكر الشرود
بعد ارتحال لاهث	خلف السراب بلا ورود
بعد التخبّط في الدجى	حيران ضائعة الجهود

فالصورة تضج بالحركة من (تسني عرش الوجود) و(عودة إلى النبع الأصل) بعد (المتاهة) و(الارتحال اللاهث) و(التخبّط في الدجى الحيران). وقد منحها الشاعر حرارة التجربة وصدق الانفعال؛ فأنت غاية في الدقة والتكثيف.

ومن التصوير المركب أيضاً قوله في وصف توثب الثورة في صدر الشهيد وتأرجح مشاعره بين حنين وتطلع إلى الفجر واقتحام السدود^(١):

تتوثبُ الآمالُ والـ	أحلامُ في صدرِ الشهيد
بين الحنينِ ودَفْئه	وتطلع الفجر الوليد
ويظلُّ بعثُ الروحِ جسـ	راً خالداً عبر السدود

فالصورة مفعمة بالحركة والتوثب مما يعكس توثب الأمل والحلم في صدر الشهيد والحنين والدفع والتطلع إلى الفجر وبعث الروح جسراً موصلاً إلى الأمان.

ونسلم صوت المعركة المحتدمة بين أبطال الحجارة وقوات المعتدي في قول الشاعر عبد الرحمن بارود متحدّثاً عن أبطال الانتفاضة^(٢):

(١) نداء الحق: ١٢٥.

(٢) قصائد وأناشيد للانتفاضة: ٥٤.

هم غرةُ الفجرِ الذي غرّدتْ له قوافلُ ليلٍ أثقلتْها السلاسلُ
وحرُّ المنايا في يدينا لجامُها إذا ما ركبناها تشيبُ المعازلُ
صباحٌ ورثناهنَّ من عهدِ آدمٍ يطرنَ بنا كالبرقِ والليلُ لائلُ

إنها صورة حركية سمعية (أثقلتها السلاسل) وبصرية ملونة (غرة الفجر)
(حر المنايا) (تشيب المعازل) (كالبرق والليل لائل) تمثل لوحة يرسمها رسام بارع.
وهكذا رأينا أن شعراءنا كان لهم في عالم الخيال صور لا تخلو من الروعة
الشعرية، وكانت طبيعية لا تكلف فيها ولا تصنع، مما أضفى على شعرهم غلالة
من الجمال والجدّة، ومثل إجادة فنية عالية، حيث جاءت هذه الصور في مواضعها
وأدت الغرض منها في تكثيف المعاني واستيعابها.

المبحث الرابع

الموسيقا الشعرية

((حين حاول القدماء تعريف الشعر عرفوه بأنه الكلام الموزون المقفى فهم يرون الانسجام الموسيقي في توالي مقاطع الكلام وخضوعها إلى ترتيب خاص، مضافاً إلى هذا تردد القوافي وتكرارها، أهم خاصية تميز الشعر من النثر))^(١).

وقد وفق الشعراء الإسلاميون -موضع الدراسة- في اختيار الأوزان حسب ما يتطلبه الموقف الانفعالي، فالأوزان الكثيرة المقاطع مثل البسيط والوافر والطويل والكامل تتسع لكثير من المعاني وتستوعبها. ففي موضع وصف المعاناة التي يقاسيها الشعب الفلسطيني تحت نير الاحتلال الغاشم، نجد الشاعر يوسف العظم يبعث إلينا ((رسالة من القدس)) على لسان شيخ فلسطيني يحكي لنا عن الآلام التي يكابدها، فيقول^(٢):

في ساحة المسجد المحزون حدثني	شيخٌ على وجهه الأيام ترتسمُ
لمن أبث شكاتي والشفاهُ غدتْ	خرساءً ليس لها في الحادثاتِ فمٌ؟
من ذا الذي هدّ مني ساعداً ويداً	هل ضاعَ دربي أم زلتُ بيَ القدمُ؟
لقد جرعنا كؤوسَ الذلِّ مترعةً	والقدسُ في العارِ والمحرابُ والحرمُ

فجاءت الأبيات على وزن بحر البسيط الذي يناسب هذا المقام الذي يتطلب

(١) موسيقا الشعر، إبراهيم أنيس: ٢١.

(٢) في رحاب الأقصى: ٦٦.

التأني في التعبير بإسهاب عن الحزن والأسى والحسرة. وجاءت القافية سهلة مألوفة ذات إيقاع مناسب للموضوع.

وفي مقام الحنين والتعبير عن مشاعر الغربة نسمع الشاعر كمال الوحيدي يستخدم بحر الوافر. فيقول^(١):

هديلك يا يمامة هز حسي	وبث الشوق في أعماق نفسي
أثار الذكريات بها لهيأ	فحنت للتي ألفت أنسي
إليها جاد قلبي بالتحايا	فمنها النور يسطع ضوء شمس
وفي ربواتها أنشدت شعري	نقياً ليس ذا زور وليس
يمامة رددت سجعاً فإني	بعيد الدار عن أهلي وقدسي
طريد عن ديارى منذ حين	وقد سلبت روايتها بخلص

إننا نسمع في القصيدة نغماً شجياً، معبراً عن حسرة القلب الملتاع والحزن المكنون في نفس الشاعر. وقد صب هذا النغم الشجي الذي يفيض بالحسرة والالتئاع والحزن في قالب البحر الوافر الذي يمتاز بإيقاع شعري خاص يتسع لمثل هذه المعاني ويستوعبها، ويحيط بانفعالات الشاعر التي تنفس عن حزنه وألمه، ويضاف إلى ذلك تقفية البيت الأول الذي سحب القافية من ضرب البيت إلى عروضه، فأضفى ذلك إيقاعاً موسيقياً واضحاً ولاسيما وأن القافية المختارة هي قافية السين المكسورة الهامسة التي تذكى ذلك الإيقاع وتجسمه وتبرزه في أنحاء القصيدة وأبياتها جميعاً.

(١) طريد الدار: ١٥٥-١٥٦.

ونسلمع الشاعر كمال رشيد فنجد هذا النغم الحزين بعد حريق المسجد الأقصى إذ يقول^(١):

جل المصائب وزادت الآلام وعدت على أرض الهدى الأقوام
يا ثالث الحرمين حرقك نكبة فيها يزيد الجرح والإيلام
إن يحرقوك فليس ذلك بدعة في دينهم بل إنها الأحلام
أسفي على الأقصى وقد عبثت به نار العدو وقد علاه قتام

فاختار الشاعر بحر الكامل للتعبير عن المرارة والأسى، جراء هذه الفجيعة، وجاء التصريح^(٢) ليشعرنا بالجمال الإيقاعي النابع عن انفعال الشاعر دون تكلف أو تصنيع. كما أن القافية المردوفة في الأبيات تعطي إيقاعاً جميلاً.

وفي مقام استنهاض الهمم للجهاد والثورة تأتي الموسيقى قوية صاخبة كالرعود، ومن ذلك: قول الشاعر أحمد الصديق داعياً الأمة إلى الوحدة والعمل الإيجابي للوقوف في وجه العدوان^(٣):

قادمٌ فجري وإن طال الظلام ليس يشيه ضبابٌ أو قتامٌ
قادمٌ فجري ومن أشواقنا يتلظى في حواشيه الضرامُ
آن يومُ البعثِ وانشق السدجى عن جبين الحق هبوا لا تناموا
وانهضوا في الله صفّاً واحداً تنطق الأفعال منكم لا الكلام

(١) شلو الغرباء: ٣٢.

(٢) التصريح: هو أن يجانس الشاعر بين شطري البيت الواحد في مطلع القصيدة أي يجعل العروض مشبهاً للضرب وزناً وقافية. انظر علم العروض والقافية: ٣٤.

(٣) قادمون مع الفجر: ٢٨.

كشّر الباطل عن أنيابه وحمى الإسلام في البلوى يضام
فادفعوا عنكم أعاصير العدا واتركوا أوكارهم وهي حطام

استخدم الشاعر بحر الرمل وهو من البحور الطويلة أيضاً، ونظراً لكثرة تفاعيله ومقاطعته جاءت إيقاعاته قوية سريعة. وجاء المطلع مصرعاً لتقوية الإيقاع. وجاءت الألفاظ قوية الجرس ((قادم، قتام، يتلظى، الضرام، انشق)) مما يدل على قدرة الشاعر على أن يجعل اللفظة في مكانها المناسب. كما أن تكرار جملة (قادم فجري) أعطى جمالاً وإيقاعاً وثيق الصلة بالمعنى العام للأبيات.

حين يعبر الشاعر أحمد الخاني عن ابتهاجه بالانتفاضة وأبطالها الميامين، تأتي قصيدته ((لغة الحجارة)) على وزن مجزوء الكامل. فيقول^(١):

ذكرى حراب الغادرين	هتفت على الوتر الحزين
فتمردّ الأعصار يز	أرُّ بالعرين المستكين
من نفحة الخلد الند	ي سرى عبير الظافرين
تعطي دماؤهم أكا	ليل الكرامة كل حين
فإذا الجهاد يشب من	شفق الهداة الباسلين
وإذا بأحفاد الملا	حم في الوغى مستبسلين

هكذا اختار الشاعر هذا البحر الراقص للتعبير عن انفعاله المبتهج بالثورة على الظلم. وقد جاءت الألفاظ معبرة موحية بجرسها السريع لمناسبة الموقف الشعوري. كما جاء المطلع مصرعاً مما قوى الإيقاع في القصيدة.

(١) ديوان الانتفاضة، دراسة أحمد الخاني: ١٠.

وحين يرثي الشاعر عبد الرحمن بارود الشهيد نجده يستخدم بحر المتقارب لأن المقام مقام فخر واعتزاز وفرح. إذ يقول^(١):

وفرسائنا كنجوم السماء وأكفائنا البيض فوق البنود
رد الموت ثلك عنان الحياة شهيداً وتعتق رقاب العبيد
أعداء ((الله أكبر)) موتوا فـ((الله أكبر)) لحن الخلود
وما الأرض؟ إني أرى الأرض أصغ ر من قطرة من دماء الشهيد

وكما حافظ الشعراء على الإيقاع بالتصريع وبالتكرار حيناً، حافظوا عليه بالتصريع^(٢) حيناً آخر، ومن أمثلة التصريع قول الشاعر محمد التاجي^(٣):

فيم الوجوم؟ تقدم غاضباً حنقاً عبر الخطوب وزجر صاخباً عرماً
كالسيل منطلقاً كالويل مستبقاً كالليل محتدماً كالنار ملتهباً

ومن الظواهر الموسيقية في الشعر الإسلامي: القافية المنوعة، إذ قسم بعض الشعراء قصائدهم إلى مقطوعات تتناول كل منها فكرة، وجعلوا لكل مقطع قافية معينة، مع التزام الوزن الشعري نفسه في جميع مقاطع القصيدة. ومن ذلك:

قصيدة الشاعر كمال رشيد ((وطني))، إذ جاءت في خمسة مقاطع كالتالي^(٤):

(١) غريب الديار: ٨٩-٩٩.

(٢) التصريع: هو تصوير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيهة به. انظر: مدخل إلى تحليل النص الأدبي: ٧٨.

(٣) شعراء الدعوة: ٧٧/٩-٨١.

(٤) شدو الغرباء: ١٥-١٦.

الأول:

آذاه جـرح أوجعه فبكى وأبكى من معه

والثاني:

أما أنا فلقد سئمت من المعاني الضائعة

والثالث:

وطني وفيك الشدو والتـ مرجيع والسنغم الشـجي

والرابع:

وغدت بلاد الخيل والتـ صـهال داراً للخنـا

والخامس:

وطـني وإن طال الزمـ ـان وإن تعددت السـهام

كما نجد هذه القافية المتنوعة لدى الشاعر محمد التاجي في قصيدته على هامش الإسراء، فقد جاءت القصيدة مكونة من أربعة مقاطع على أربع قواف مختلفة. يقول في المقطع الأول^(١):

وحدي مع الليل بل وحدي مع الأرق حيران أنزفُ آلاماً على الورق

والثاني:

في خاطر الليل في مسرى كواكبه خط الزمان عريق الذكريات به

(١) شعراء الدعوة: ٧٧/٩ - ٨١.

والثالث:

حاشا لذكراك يا إسرائُ نسيانُ فأنتِ أنتِ لسفرِ الدهرِ عنوانُ

وفي الرابع والأخير:

لا كنتَ يا شرقُ يوماً للكرامِ حمي إن أنتَ لم تنفجرْ في غضبةٍ حمما

وبهذا اتضحت معالم الصورة الموسيقية لدى الشعراء الإسلاميين، حيث جاءت موسيقاهم ملائمة للموضوعات التي طرقتها، فالأوزان القصيرة الرشيقة يناسبها الموضوعات الخفيفة السريعة الإيقاع، والأبحر الطويلة يوافقها موضوعات الجد والرصانة والأسى. والقوافي جاءت مناسبة للتجارب الشعرية التي يمر بها الشاعر. وجاءت موحدة في معظم الإنتاج الشعري، إلا أنها تنوعت في بعض الأحيان لتعطي الشاعر مجالاً أوسع ومدى أرحب.

والخلاصة أن هذه الإمامة الموجزة بأدوات التشكيل الشعري لدى الشعراء موضع الدراسة، تقفنا على الإمكانيات الفنية للشعر الإسلامي، والطاقة الإبداعية لدى الشعراء الإسلاميين وذلك بالجمع بين رقي الشكل والمضمون، كما تقفنا أيضاً على قدرة الشاعر المسلم على تسخير الكلمة الشعرية لخدمة قضايا أمته مما يشجع الشعراء على مزيد من الإضاءات التي تثري الأدب الإسلامي وتبرز خصائصه وتأخذ بيد الأجيال إلى التبصر بواقعهم والعمل على النهوض من جديد للذب عن مقدساتهم، وطرده المعتدي، وبناء مستقبل مشرق.

الختمة

وفي نهاية هذه الرحلة الطويلة مع القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر، رأينا أن هذه القضية قد فرضت نفسها على عدد كبير من الشعراء في طول العالم العربي وعرضه؛ فنتج عن ذلك كم هائل من الأعمال الشعرية، اخترت منها جملة من النصوص للدراسة والتحليل.

وجملة القول إن هذه الدراسة هي أول بحث -فيما أعلم- يجمع شتات كثير من النصوص الشعرية في مأساة فلسطين، ويترجم لعدد كبير من الشعراء الإسلاميين، ويقدم دراسة تحليلية لشعرهم من حيث المعنى والمبنى؛ وقد أسفرت عملية استقراء النصوص عن نتائج كثيرة أجملها فيما يأتي:

- كان الشعراء في تناولهم لنكبة حزيران (١٩٦٧م) على وعي كامل لواقع الهزيمة، أسبابها وآثارها، مستنيرين بهدي الإسلام، ومدفوعين بطاقات العقيدة. فلم يكونوا شاهدين على الواقع المؤلم فحسب، وإنما ترقوا في ذلك ليكونوا المحرضين الفاعلين في شعرهم، مما يؤكد فهمهم الإسلامي العميق لأسباب النكبة وآثارها، ومن ثم كان تركيزهم على المشاعر الدينية لدى أبناء الأمة.

- في تصوير الشعراء لمظاهر المعاناة التي يحياها الفلسطينيون تحت نير الاحتلال الغاشم ألفينا بعضهم يكتفي بوصف مظاهر المعاناة والإشارة إلى الممارسات التعسفية لليهود، في حين يقارن آخرون بين الماضي المجيد والحاضر الأليم، وركز بعضهم الآخر على صدى المأساة، وأثرها النفسي ومعاناته الذاتية،

ولا شك أن لذلك كله عطاءاتٍ شعوريةً ورصيداً معنوياً ثائراً تحتاجه الأمة زاداً في طريقها نحو الغد الحر المشرق.

- أسهب الشعراء في تصوير مشاعر الغربة والحنين والشوق إلى الوطن المحتل فسيطر على قصائدهم جوّ الحزن والأسى، ولكن خفف من سوداوية صورهم وقتامتها مسحة من التفاؤل دفعتهم إلى تمجيد الصامدين الثائرين، وأطلقت صيحاتهم المدوية من أعماق قلوبهم لشحذ العزائم واستنهاض الهمم محرضين على الصمود والثبات في وجه الأعداء لاسترجاع الوطن المحتل. فظل الأمل يداعب نفوسهم مع ما يقاسونه بعيدين عن وطنهم مما ترك في شعرهم بصمات قوية بارزة.

- كما أسهب الشعراء في إبراز حريق المسجد الأقصى مستغلين هذا الحدث المؤلم للإنذار بخطر محقق بالبلاد ومقدساتها، فكان هذا الحدث مجالاً ثراً لتعبئة المشاعر الإسلامية الغيورة، وموحياً بعظم التبعات الملقاة على عاتق أبناء الأمة الغُير. ومما يدل على عمق تأثير هذا الحدث في النفوس الشاعرة أن بعض الشعراء حرصوا على نظم القصائد في ذكرى هذا الخطب العظيم للإبقاء على هذه الذكرى حية في النفوس تنذر المسلمين بالشروع التي ستطبق عليهم إذا ظلوا متقاعسين عن الجهاد.

- استلهم الشعراء روائع التاريخ الإسلامي فرسموا صوراً لأعلامنا الأبطال تمثل نماذج فريدة للأجيال، ورمزاً خالداً يدافعون به عن الهوية الإسلامية، ليكون جهاد الفروع امتداداً لما قامت به أصولهم من نصرة الإسلام أول مرة.

- تأكيد الشعراء فظاعة المجازر التي تعرض لها الفلسطينيون في اجتياح لبنان وفي مجازر مخيمات بيروت، وفي جنوب لبنان أيضاً. في حديث تضمن الألم الذي عصر قلوبهم، والتبكي الذي يهز أحاسيس المتخاذلين.

- اجتمع الشعراء - في الحديث عن مكانة فلسطين - على عدة معان تكررت في قصائدهم منها: أن هذه الأرض مهبط الرسالات، وملتقى النبوات؛ فيها منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، والقبلة الأولى. وقد مثل هذا الموضوع باعثاً قوياً لدفع المسلمين للجهاد والتضامن لإنقاذ الأرض المباركة من براثن العدو الغاشم.

- وفي مجال تناول الشعراء لموضوع كشف طباع اليهود وعدائهم للإسلام، رأينا أن الشعراء قد أبرزوا فهمهم الإسلامي لأبعاد المعركة العقدية بيننا وبين اليهود، كما فهمها الرسول الكريم عند إجلائه إياهم - كما بينا في الفصل الأول - وكما فهمها أتباعه القادة الأفذاذ الذين حرروا المقدسات من نير الكفر والطغيان عبر التاريخ. ولا بد لهذا الفهم أن يأخذ طريقه إلى عقل الأمة المسلمة - بعد طول غياب - وإلى عقول الأجيال لتحرير الأرض المباركة وإعادة لها إلى المسلمين طاهرة عزيزة، بعد معركة فاصلة، دينية الصميم عقدية الأساس.

- مع أغلال الإحباط التي صنعتها هزيمة حزيران (١٩٦٧م) والتي مثلت عاملاً مثبطاً إلا أن خيال الشعراء استطاع أن يتجاوز هذه العثرة، ناظراً إلى الآفاق المستقبلية نظرة أمل وتفاؤل وترقب. فعبر عن ميل النفوس إلى الأنفة والكرامة والسعي نحو الوصول إلى الآمال الكبيرة والذرا الشاخنة والذب عن الحرمات فلم يقتصر الشعر في هذه الفترة على التفاعل مع الأحداث ووصف

الدوافع والأبعاد وإنما صور حلم الثورة وأمنيات التحرير أملاً في تحول الحلم إلى حقيقة والأمنية إلى واقع معيش.

- كان حديث الشعراء عن الانتفاضة حديثاً مستفيضاً، فقد كانت هذه المرحلة أقوى وأثرى في حصادها الشعري من المرحلة السابقة (١٩٦٧-١٩٨٧م) وذلك أمر طبعي في ظل النشوة التي هزت النفوس، وأعادت إليها الثقة وجددت فيها الأمل. فكان شعر هذه الفترة جديراً بأن يتناول في بحث مستقل لخصوبة هذا الموضوع وكثرة النصوص التي قيلت فيه.

- مجّد الشعراء الشهيد؛ ورأوا فيه الباحث الصادق عن الخلاص من ظلمات العسف والخنوع والاستسلام. وسايروا خطاه مجاهداً ومغالباً العدو ثم قتيلاً يعطر المسك جراحه، ثم خالداً منعماً في جنان الخلد. وفي ذلك -ولا شك- زرع لحب الشهادة في قلوب المسلمين، وتأكيد على قيمة الشهيد ومترلته عند الله.

- وقد ذيل هذا البحث بفهرس للشعراء الإسلاميين المترجم لهم في هذا البحث فأصعدنا إلى الواجهة شعراء إسلاميين مغمورين مما يفتح الطريق لدراستهم وتقويم نتاجهم وخاصة فيما يتصل بالقضية الفلسطينية.

- وتجدر الإشارة إلى أن هذا الشعر الإسلامي المستشهد به جدير بأن يكون أناشيد حماسية يحفظها ويردها الأجيال الناشئة، وأن تدخل في المناهج الدراسية، فقد وجدنا في هذا النتاج شعراً إسلامياً حياً يدعو إلى الجهاد ويبرز قيم الإسلام، وينفخ في أرواح الشبيبة المؤمنة الحمية؛ لتنهض جادة في أداء واجبها في نصرة القيم الإسلامية والحفاظ على المقدسات أن تغتصب بمكايد المتربصين من أعداء الإسلام.

- وفيما يتصل بقضايا البناء الشعري تعرض البحث لأهم الظواهر التي برزت في معالجة الشعر الذي تناول القضية الفلسطينية، فقد أوقدت المأساة عواطف الشعراء وأضرمت أحاسيسهم، وقد تطلبت هذه العواطف ألواناً سامية من الأساليب وصوراً خيالية مستمدة -بعمامة- من واقع المأساة. وقد وجهوا عنايتهم الفنية للمبنى والمعنى أو الشكل والمضمون على حد سواء. وهذه ميزة الأدب الإسلامي ونخطه المتميز الأصيل، وفي ذلك رد قوي على دعاة نظرية ((الفن للفن)) الذين اهتموا بالشكل على حساب المضمون.

هذا، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الشعراء المترجم لهم

١٧٢	عصام الدين الغزالي	٢١٤	أحمد سالم باعطب
٦٢	عمر بهاء الدين الأميري	٦٨	أحمد فرح عقيلان
٩١	كمال عبد الرحيم رشيد	٢١١	أحمد عبد الرزاق الخاني
١٢٥	كمال عبد الكريم الوحيددي	٦٦	أحمد محمد الصديق
٧٠	مأمون فريز جرار	١٤٤	الحبيب المستاوي
٢١٩	محمد أمين أبو بكر	٧٢	حسان حتحات
١٧٢	محمد التهامي سيد أحمد	٢٢٢	خالد أبو العمرين
٢٥٢	محمد ذيب النطافي (أبو فراس)	١٦٨	خالد البيطار
٧٤	محمد محمد أحمد التاجي	٢٢٩	خالد سعود الخليي
٩٠	محمد محمود صيام	١٥٩	داود موسى معلا
٩٣	محمد المنتصر الريسوني	٩٣	شريف الحاج قاسم
٢٤٣	محمد منير الجنباز	١٤٠	صابر عبد الدائم يونس
٩٥	محمود مفلح	٩٦	صالح عبد الله الجيتاوي
٩٩	محيي الدين عطية محمد	٢٢٩	عبد الرحمن بارود
١٧٤	نبيل محمد الأصباشي	٢٢٩	عبد الرحمن بن زيد السويداء
٨٨	يوسف العظم	١٥٣	عبد الرحمن صالح العشماوي
٧٦	يوسف محيي الدين أبو هلاله	١٧٩	عبد الرحمن علي العبادي
		٩٨	عدنان علي رضا النحوي

ثبت المراجع

- ◆ الاتجاه الإسلامي بالشعر السعودي الحديث، دراسة أدبية تاريخية، خليف سعد الخليف، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ◆ الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، مأمون فريز جرار، الطبعة الأولى، دار البشير، عمان، ١٤٠٤هـ.
- ◆ الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، د. مفيد قميحة، الطبعة الأولى، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ◆ أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية، محمد عادل الهاشمي، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٦هـ.
- ◆ أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، الطريق إلى بيت المقدس، القضية الفلسطينية، الجزء الأول، د. جمال عبد الهادي محمد مسعود، دار الوفاء، المنصورة.
- ◆ الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، د. عدنان النحوي، دار النحوي، الرياض.
- ◆ الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، د. صابر عبد الدائم، الطبعة الأولى، دار الأقصى، مصر، ١٤١٠هـ.
- ◆ الأدب الإسلامي، قضية وبناء، د. سعد أبو الرضا، عالم المعرفة، جدة.
- ◆ الأرض المباركة، د. عدنان النحوي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ◆ أسباب وأسرار الحرب اللبنانية ١٩٧٥-١٩٧٦م، نصار غلمية، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.
- ◆ الإسلام وبنو إسرائيل، جواد آتلهان، ترجمة يوسف الكيراي، الرياض، ١٤٠٤هـ.

◆ الإسلام والقضية الفلسطينية، عبد الله ناصح علوان، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، الأردن، ١٤١٣هـ.

◆ أشواق وأحلام، خالد البيطار، الطبعة الأولى، دار البشير، عمان، الأردن، ١٤٠٩هـ.

◆ أطلس الصراع العربي الصهيوني، مازن البندك، دار القدس، بيروت.

◆ أعلام الجهاد في فلسطين، حسني أدهم جرار، دار الضياء، الأردن.

◆ الالتزام الإسلامي في الشعر، ناصر عبد الرحمن الخنين، دار الأصالة، الرياض.

◆ الالتزام في الشعر العربي، أحمد أبو حاق، دار العلم للملايين، بيروت.

◆ أمريكا وإسرائيل، دراسة لدور الفكر الديني من الدعم الأمريكي الإسرائيلي، محمد معروف الدواليبي، الدار الشامية، بيروت.

◆ الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية، دراسة في الإدراك والكرامة، عبد الوهاب المسيري.

◆ الانتفاضة المباركة وقائع وأبعاد، غسان حمدان، مكتبة الفلاح، الكويت.

◆ الانتفاضة المباركة ومستقبلها، جهاد محمد جهاد، مكتبة الفلاح، الكويت.

◆ الإنسان في الأدب الإسلامي، محمد عادل الهاشمي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.

◆ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، أبو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي، مكتبة المحتسب، عمان، الأردن.

◆ أهمية القدس في الإسلام، عبد الحميد السائح، الطبعة الثانية، مطبعة التوفيق، الأردن، ١٤٠١هـ.

◆ أيام دامية في المسجد الأقصى المبارك، أحمد العلي، الطبعة الأولى، دار الجليل للنشر، عمان، الأردن، ١٩٨٣م.

◆ الإيمان والتحدي، أحمد محمد الصديق، دار الضياء، الأردن.

- ◆ البداية والنهاية لابن كثير، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٠م.
- ◆ بشائر الفجر، عبد الرحمن العبادي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ◆ بشراك يا قدس، أحمد حسن القضاة، الطبعة الأولى، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- ◆ البعد الإسلامي في الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة البراق حتى الانتفاضة، إبراهيم فؤاد عباس، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ◆ بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ، عبد الفتاح أبو عليّة وعبد الحليم عويس، دار المريخ، الرياض، ١٤٠١هـ.
- ◆ بيت المقدس وما حوله، محمد عثمان شبير، الطبعة الثانية، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤١٠هـ.
- ◆ التاريخ الإسلامي، (٨) العهد العثماني، محمود شاكر، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ◆ تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، رفيق شاعر النتشة، د. إسماعيل أحمد ياغي، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤١٢هـ.
- ◆ تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، صحح بإشراف: الشيخ خليل الميس، دار القلم، بيروت.
- ◆ التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد، محسن محمد الصالح، مكتبة الفلاح، الكويت.
- ◆ ثورة الشهيد عز الدين القسام وأثرها في الكفاح الفلسطيني، عوني العبيدي، مكتبة المنار، الأردن.
- ◆ جراح على الدرب، عدنان النحوي، الطبعة الثانية، دار النحوي، الرياض، ١٤٠٧هـ.
- ◆ جراح وأفراح، حسان حتوت، الطبعة الأولى، دار القلم، الكويت، ١٣٩٧هـ.

- ◆ جراح وكلمات، أحمد محمد الصديق، الطبعة الأولى، دار الضياء، الأردن، ١٤١٠هـ.
- ◆ جرح الإباء، أحمد فرح عقيلان، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي.
- ◆ جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، صالح مسعود أبو بصير، دار الفتح، بيروت.
- ◆ حاضر العالم الإسلامي، علي جريشة، دار المجتمع، جدة.
- ◆ حجارة من سجيل، عمر بهاء الدين الأميري، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الدوحة، قطر.
- ◆ حركة المقاومة الإسلامية حماس في فلسطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.
- ◆ حركة المقاومة الإسلامية، نظرات في الفكر والممارسة، محمد عماد الدين، الطبعة الأولى، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٩٨٨م.
- ◆ حنين وأنين عبر السنين، كمال الوحيددي، الطبعة الأولى، المطبعة الأهلية، الدوحة، قطر، ١٤٠٣هـ.
- ◆ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبد الله التل، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ◆ دراسات في تاريخ العرب الحديث، أحمد عزت عبد الكريم، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م.
- ◆ دراسات في النقد الأدبي المعاصر، محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت.
- ◆ دعائم الحق، محمد الشيخ محمود صيام، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠١هـ.
- ◆ الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، علي حسون، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ◆ ديوان الانتفاضة، جمع وتقديم أحمد موسى الخطيب، الطبعة الثانية، منشورات لجنة الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، سفارة دولة فلسطين، الرياض، ١٩٩٢م.
- ◆ ديوان الانتفاضة، دراسة أحمد الخاني، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

- ◆ ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ◆ الراية، محمود مفلح، الطبعة الأولى، دار عماد، الأردن، ١٤٠٤هـ.
- ◆ رؤية دينية للدولة الإسرائيلية، حسن محمد مي، دار الفرقان، الأردن.
- ◆ رسالة إلى ليلي، أحمد فرح عقيلان، الطبعة الأولى، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٠١هـ.
- ◆ الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبو شامة المقدسي، دار الجليل، بيروت.
- ◆ زحف الطاعون المزمع، التحركات اليهودية عبر التاريخ، سليمان ناجي، الطبعة الأولى، دار النبراس، دمشق، ١٤٠٠هـ.
- ◆ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، صححه وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧هـ.
- ◆ شذو الغرباء، كمال عبد الرحيم رشيد، الطبعة الثانية، عمان، الأردن.
- ◆ شعراء عرفتهم، أحمد الخاني، الطبعة الأولى، مطابع المدينة، الرياض، ١٤٠٨هـ.
- ◆ شعراء وأدباء على منهج الأدب الإسلامي، محمد عادل الهاشمي، دار الثقافة، قطر.
- ◆ شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، أحمد الجدع وحسني جرار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ◆ شعر الجهاد في العصر الحديث، عبد القدوس أبو صالح، ومحمد رجب البيومي، نسلوة الأدب الإسلامي، الرياض.
- ◆ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مصطفى السحرني، الطبعة الثانية، مطبوعات قحاة، السعودية، ١٩٨٤م.

- ◆ الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية، من مطلع النهضة إلى عام ١٩٣٩م، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.
- ◆ شموخاً أيتها المآذن، محمود مفلح، دار الفرقان، الأردن.
- ◆ شموخ في زمن الانكسار، عبد الرحمن صالح العشماوي، مكتبة الأديب، الرياض.
- ◆ شهداء فلسطين، محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، الأردن.
- ◆ الشوقيات، شعر أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ◆ صحيح البخاري، شرح وتحقيق الشيخ قاسم الشماصي الرفاعي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.
- ◆ صحيح سنن ابن ماجه، ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- ◆ صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- ◆ صدى الصحراء، صالح عبد الله الجيتاوي، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٤٠٣هـ.
- ◆ صدى وذكري، شريف قاسم، الطبعة الأولى، دار عمار، عمان، الأردن، ١٤٠٦هـ.
- ◆ صراعنا مع اليهود من أين وإلى أين؟ أحمد الجدع، الطبعة الأولى، دار الضياء، الأردن، ١٩٩٠م.
- ◆ الصهيونية بين الدين والسياسة، عبد السميع سالم الهراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
- ◆ الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ◆ طريد الدار، كمال عبد الكريم الوحيدوي، الطبعة الأولى، الدوحة، قطر، ١٤٠٢هـ.
- ◆ الطريق إلى القدس، داود معلا، دار الفرقان، الأردن.
- ◆ عرائس الضياء، يوسف العظم، الطبعة الثانية، دار الفرقان، الأردن، ١٤٠٧هـ.

- ◆ على أبواب القدس، عدنان النحوي، دار النحوي، الرياض.
- ◆ على درب الله، محمد المنتصر الريسوتي، الطبعة الأولى، مطبعة ديسبريس، تطوان، المغرب، ١٣٩٨هـ.
- ◆ على طريق الانتفاضة المباركة، منير سعد، الطبعة الأولى، دار النفائس، الكويت، ١٤١٠هـ.
- ◆ عمر بهاء الأميري، دراسة محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- ◆ غريب الديار، د. عبد الرحمن بارود، دار الفرقان، الأردن.
- ◆ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مكتبة المعارف، الرياض.
- ◆ الفتية الأبايل، يوسف العظم، دار الفرقان، الأردن.
- ◆ من الأدب الإسلامي المعاصر، دراسة وتطبيق، محمد حسن بريغش، مكتبة الحرمين، الرياض.
- ◆ في رحاب الأقصى، يوسف العظم، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- ◆ في القدس قد نطق الحجر، خالد أبو العمرين، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨هـ.
- ◆ في النقد الأدبي الحديث، شوقي ضيف، الطبعة السابعة، دار المعارف، القاهرة.
- ◆ قادمون مع الفجر، أحمد محمد الصديق، دار الضياء، الأردن.
- ◆ قبل أن يهدم الأقصى، عبد العزيز مصطفى، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض، السعودية، ١٤٠٩هـ.
- ◆ القدس الشريف خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي (١٩٦٧-١٩٨٧م)، مهندس رائف يوسف نجم، الطبعة الثانية، من منشورات المركز الثقافي الإسلامي، عمان، الأردن.

- ◆ القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، غازي ربابعة، دار الفرقان، الأردن.
- ◆ القدس في العيون، كمال رشيد، دار الوفاء، المنصورة.
- ◆ قصائدي إلى لبنان، عبد الرحمن صالح العشماوي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- ◆ قصائد وأناشيد للانتفاضة، حسني أدهم جرار، الطبعة الأولى، دار الفرقان، إربد، الأردن، ١٤١٢هـ.
- ◆ القضية الفلسطينية بين ميثاقين ((الميثاق الوطني الفلسطيني وميثاق حركة المقاومة الإسلامية حماس)) أنس عبد الرحمن، الطبعة الأولى، مكتبة دار البيان، الكويت، ١٩٨٩م.
- ◆ القضية الفلسطينية من منظور إسلامي، فتحي يكن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ◆ قلبي بين يديك، خالد سعود الحليبي، الطبعة الأولى، منشورات نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدمام، ١٤١٣هـ.
- ◆ قناديل في عتمة الضحى، يوسف العظم، شاعر الأقصى، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٧هـ.
- ◆ الكامل في التاريخ للإمام (عز الدين ابن الأثير الجزري) عُني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ.
- ◆ لحن الجراح، أحمد الخاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- ◆ لحن الجراح، نبيل محمد الأصباشي، دار البشير، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ◆ لواعج، عبد الرحمن بن زيد السويداء، دار السويداء، الرياض.
- ◆ مبادئ في الأدب والدعوة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ◆ مختصر سيرة ابن هشام، السيرة النبوية، محمد الزعبي، عبد الحميد الأحمد، الطبعة الثانية، مكتبة المعرفة، سورية، ١٤٠٢هـ.

- ◆ المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، أنور الجندي، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الاعتصام، ١٣٩٧هـ.
- ◆ مدائن الفجر، د. صابر عبداللهم، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ — دار البشير، عمان / الأردن رقم (١٠) في إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية
- ◆ معركة الإسلام، وقائعنا في فلسطين بين أمس واليوم، محمد محمود الصواف، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.
- ◆ مدرسة بدر وشعراؤها، أحمد الخاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ◆ مدن فلسطين الكبرى، القدس، نبيل عبد القادر، دار الضياء، عمان، الأردن.
- ◆ معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥م.
- ◆ معجم بلدان فلسطين، محمد محمد شراب، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ◆ ملحمة فلسطين، عدنان النحوي، الطبعة الثانية، دار النحوي، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- ◆ ملف الانتفاضة، دراسات إسلامية في صراعنا مع اليهود، راجي نصر الله، الطبعة الأولى، دار القسام، ١٤٠٩هـ.
- ◆ الملف السري الأسود لإسرائيل، من ٣٥٠٠ ق.م حتى اليوم، حسن شكري، دار الطباعة المتميزة، ١٩٩٢م.
- ◆ من سيناء إلى كامب ديفيد (١٩٦٧-١٩٧٩م)، عاطف السيد، ١٩٨٧م.
- ◆ من الشعر الإسلامي الحديث، أعضاء رابطة الأدب الإسلامي، دار البشير، الأردن.
- ◆ من الشعر الإسلامي الملتزم في الأردن، يوسف العظم، شاعر القدس، زكي الشيخ حسين عثمان كتانة، الطبعة الأولى، دار البشير، عمان، الأردن، ١٤٠٧هـ.
- ◆ من وحي فلسطين، عمر بهاء الدين الأميري، الطبعة الأولى، دار الفتح، بيروت، ١٣٩١هـ.

- ◆ موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية.
- ◆ ميلاد أمة، محمد الشيخ محمد صيام، دار الفرقان، الأردن.
- ◆ نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، عبد الرحمن رافت الباشا، ندوة الأدب الإسلامي، الرياض.
- ◆ نداء الحق، أحمد محمد الصديق، دار الضياء، الأردن.
- ◆ النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر.
- ◆ نماذج من النقد الأدبي وتحليل النصوص، إيليا سليم الحاوي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٩م.
- ◆ نهاية اليهود، أبو الفداء محمد عزت.
- ◆ هتاف المجد، علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة.
- ◆ هذا الطريق، كمال عبد الكريم الوحيد، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- ◆ هكذا يقول الحجر، أحمد محمد الصديق، دار الضياء، الأردن.
- ◆ الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامي المعاصر في قضية فلسطين، محمد منير الجنباز، الطبعة الأولى، عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- ◆ وقائعنا في فلسطين، بين الأمس واليوم، محمد محمود الصواف، الطبعة العاشرة، ١٣٨٩هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول : لمحة تاريخية	١٥
المبحث الأول : الأرض المباركة في التاريخ الإسلامي	١٧
أ- موقف الرسول ﷺ من اليهود	١٧
ب- الإسلام والأرض المباركة	٢١
ج- فتح فلسطين والمعارك الإسلامية	٢٤
د- فلسطين في العهد المملوكي والعثماني	٣٠
المبحث الثاني : الأرض المباركة في التاريخ الحديث	٣٤
أ- أحداث ما قبل عام (١٩٦٧م) نكبة عام (١٩٤٨م) وجذورها التاريخية	٣٤
ب- أحداث ما بعد عام (١٩٦٧م) وأبرزها الانتفاضة	٤٩
الفصل الثاني : تفاعل الشعر الإسلامي مع الواقع الحي للمأساة	٥٩
مقدمة	٦١
المبحث الأول : نكبة عام (١٩٦٧م) أسبابها وآثارها	٦٢
المبحث الثاني : من معاناة الشعب الفلسطيني ومظاهر الإرهاب الصهيوني	٨٧
المبحث الثالث : مأساة النزوح ومشاعر الحنين والغربة	١٠٦
المبحث الرابع : إحراق اليهود للمسجد الأقصى عام (١٩٦٩م) وريود الفعل العربية	١٣٠

الموضوع	الصفحة
المبحث الخامس: اجتياح اليهود لبنان ومذبحة صبرا وشاتيلا.....	١٤٧
الفصل الثالث: الشعر الإسلامي ومجاورة الإبداع الشعري	١٦٥
المبحث الأول: مكانة فلسطين وقداصة المسجد الأقصى.....	١٦٧
المبحث الثاني: كشف طباع اليهود وعدائهم للإسلام.....	١٨١
المبحث الثالث: استنهاض همم أبناء الإسلام للجهاد لتحرير الأرض المقدسة.....	١٨٨
الفصل الرابع: الشعر الإسلامي واستلهام قيم الانتفاضة	٢٠٧
مقدمة.....	٢٠٩
المبحث الأول: الابتهاج بالانتفاضة والأمل بالنصر والعودة.....	٢١١
المبحث الثاني: رثاء الشهداء وتهوين الموت في سبيل العقيدة.....	٢٣١
المبحث الثالث: الحل الإسلامي هو الطريق لإنقاذ فلسطين.....	٢٤٦
الفصل الخامس: التجربة الإبداعية في ميزان النقد الفني	٢٥٩
مقدمة.....	٢٦١
المبحث الأول: التجربة الوجدانية والتعبير عنها.....	٢٦٢
المبحث الثاني: الوحدة العضوية.....	٢٧٩
المبحث الثالث: الخيال الإبداعي.....	٢٩٤
المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية.....	٣١٤
الخاتمة.....	٣٢١
فهرس الشعراء المترجم لهم.....	٣٢٧
ثبت المراجع.....	٣٢٩
فهرس الموضوعات.....	٣٣٩

منشورات

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

- ١- من الشعر الإسلامي الحديث، لشعراء الرابطة
- ٢- نظرات في الأدب، أبو الحسن الندوي.
- ٣- ديوان (رياحين الجنة)؛ عمر بهاء الدين الأميري.
- ٤- دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث، إعداد د. عبد الباسط بدر.
- ٥- النص الأدبي للأطفال، د. سعد أبو الرضا.
- ٦- ديوان البوسنة والهرسك - مختارات من شعراء الرابطة.
- ٧- لن أموت سدى (رواية)، جهاد الرجبي (فازت بالجائزة الأولى في مسابقة الرواية).
- ٨- ديوان (يا إلهي)، محمد التهامي.
- ٩- يوم الكرة الأرضية (مجموعة قصصية)، د. عودة الله القيسي.
- ١٠- ديوان (مدائن الفجر)، د. صابر عبد الدائم.
- ١١- العائدة (رواية)، سلام أحمد إدريسو (فازت بالجائزة الثانية في مسابقة الرواية).
- ١٢- (محكمة الأبرياء) مسرحية شعرية، د. غازي مختار طليمات.
- ١٣- الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، د. حلمي القاعود.
- ١٤- ديوان حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري، د. جابر قميحة.
- ١٥- في ظلال الرضا، شعر أحمد محمود مبارك.
- ١٦- في النقد التطبيقي، د. عماد الدين خليل.
- ١٧- أبو الحسن الندوي: بحوث ودراسات.
- ١٨- القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر، حليلة بنت سويد الحمد.

- ١٩- د. محمد مصطفى هدارة: بحوث ودراسات.
- ٢٠- معسكر الأرامل - للروائية الأفغانية مرال معروف، ترجمة د. ماجدة مخلوف.
- ٢١- قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم، دراسة أدبية، محمد رشدي عبيد.
- ٢٢- قصص قصيرة من الأدب الإسلامي (الفائزة في المسابقة الأدبية الأولى).

* * *

سلسلة أدب الأطفال:

- ١- غرد يا شبل الإسلام (شعر)، محمود مفلح.
- ٢- قصص من التاريخ الإسلامي، أبو الحسن الندوي.
- ٣- تغريد البابل (شعر)، يحيى الحاج يحيى.
- ٤- مذكرات فيل مغرور، د. حسين علي محمد.
- ٥- أشجار الشارع أخواتي (شعر).. أحمد فضل شبلول.
- ٦- أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب (قصص) فوزي خضر.
- ٧- باقة ياسمين (قصص)، للكاتب التركي علي نار، ترجمة شمس الدين درمش.

* * *

تطلب من مكاتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

- ١- مكتب المملكة العربية السعودية: الرياض ١١٥٣٤ - ص.ب: ٥٥٤٤٦ هاتف:
- ٤٦٤٩٧٠٦ فاكس: ٤٦٣٤٣٨٨ - ٤٦٢٧٤٨٢
- ٢- مكتب الأردن: عمان ١١١٩٢ - ص.ب ٩٢٣٠٨٤ - هاتف/فاكس: ٥٦٢٠٩٣٥
- ٣- مكتب مصر: ص.ب ٩٦ - رمسيس القاهرة - هاتف: ٥٧٥٠٨٣٠ - ٣٨٢١٦٢٤
- ٤- مكتب المغرب: ص.ب ٢٣٨ وجدة ٦٠٠٠١ - هاتف/فاكس: ٥٠١٩٢٥

* * *

